منشورات جامعة حلب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

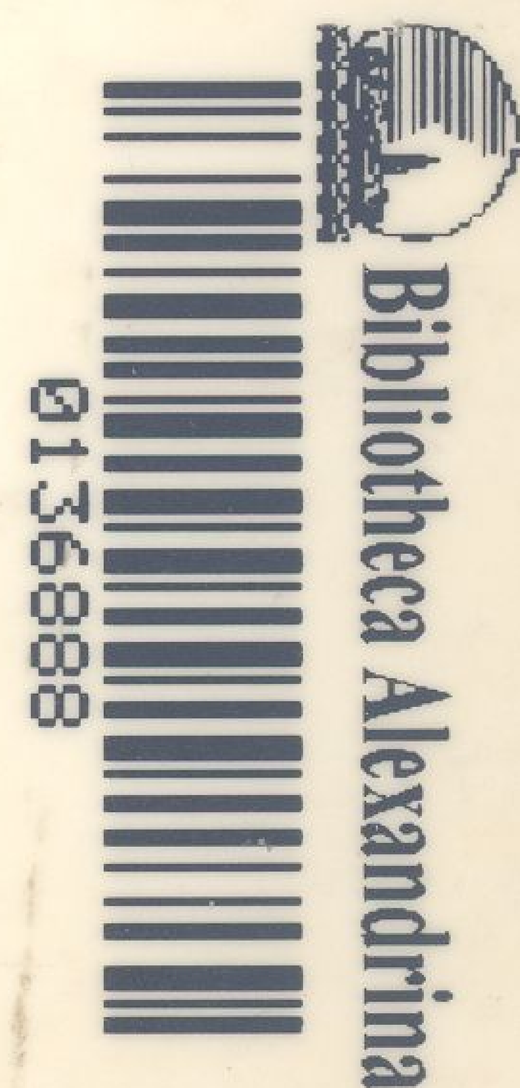


ابو محجن الثقفي

حياته - شعره

محمود فاخوري

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



منشورات جامعة حلب
كلية الآداب



أبو محجن الثقفي

حياته - شعره

دراسة وتحقيق

محمود فاخوري

المدرس في كلية الآداب

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

١٩٨٨ - ١٩٨٩ م

السنة الثانية

قسم اللغة العربية

المقدّمة

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

حول الموضوع – المصادر والمراجـــــع –
ديوان أبي محجن – طبعات الديـــــــوان –
مخطوطات الديوان – منهج التحقيق .

١ – حول الموضوع :

تعود الوُصلة بيني وبين أبي محجن إلى عقدين من السنين ، حين وقعت بيدي نسخة من ديوانه الصغير المطبوع في مصر ، فكانت فرصة أنست فيها ، عن كثب ، إلى شعر هذا الفارس الذي لم أكن أعرف عنه ، كأكثر الناس ، إلاّ خبره يوم القادسية ، وأنه كان خِدن الخمر ، وله فيها وصية مشهورة .

ومنذ ذلك الأوان ، استهواني هذا الشاعر البطل ، فطفقت أنقّب عن أخباره في بطون الأسفار ، وأجمع شعره من مظانّه المختلفة ، وأتسقّط النسخ الخطية لديوانه ، كل ذلك في تؤدةٍ وإرواد ، لا أتعجّل الأمور ، ولا أتلَهوَجُ العمل .

وما إن اتخذ عملي هذا طابعاً منهجياً ملتزماً حتّى رحت أواصل الجهد والعزم ، لا أضنّ بالوقت مهما امتدّ ، ولا أعبأ بالعقاب مهما كأّدت .

وكانت النيّة أن أشفع تحقيق الديوان بترجمة موجزة لحياة أبي محجن ، أقرنها بدراسة تشبهها ، لشعره وخصائصه الفنية . **لكنّ حبّ الحَرث في أرضٍ بائرة أغراني بالإفاضة في ذينك الجانبين : الترجمةِ والدراسة** ... وهذا ما جعل العملَ أمامي شائك

الدرب ، لأن أبا محجن لم يكن من أولئك الأعلام الذين احتفت بهم كتب الأدب والتاريخ والمحاضرات احتفاء عالياً ، كما لم يكن حظه عند المعاصرين أوفر منه عند القدماء .

وكان عملي في الكشف عن معالم حياة أبي محجن أشبه بمن يرمّم أثراً قديماً ليجعل منه صرحاً ممرّداً . وقد كان شعره – إلى جانب المصادر الأخَر – عونا لي في هذا السبيل، فمن يستنطق هذا الشعر يجده وثيقة تاريخية وحجة بالغة لا تقبل الردّ ، لأن أبا محجن من أولئك الشعراء القُلُل الذين صوّر شعرُ كلٍ منهم حياتَه أصدق تصوير .

وقد حاولت خلال البحث تحليل مختلف الظواهر الاجتماعية والتاريخية والنفسية التي أحاطت بحياة أبي محجن . وربطت في كل ذلك بين الأسباب والنتائج ، كما قرنت الأمور بأشباهها ، حتى استطعت أن أوضح بعض معالم هذه الشخصية الفذة في تراثنا التاريخي والأدبي .

أما شعر أبي محجن فقد كان له حظه الكبير من الدراسة والتحليل أيضاً ، إذ تناولتْ وقفتي عنده قلّة هذا الشعر ، ودراسة أغراضه البارزة ، وخصائصه الفنية ، وموازنته بأشعار من عاصروه أو سبقوه ، ومن تأثر به ممن أعقبوه .

ثمّ أتبعت الترجمة والدراسة ، بأشعار أبي محجن، بادئاً بنصوص الديوان المخطوط الذي صنعه أبو هلال العسكري ، وملحقاً بها ما وقعتُ عليه من الزيادات التي خلت منها أصول الديوان ، وحفظتها لنا كتب التراث العربي .

٢ – المصادر والمراجع :

وكانت استعانتي بالمصادر والمراجع تسير في وجهتين :

أولاهما : ترجمة أبي محجن وتأريخ حياته في أطوارها المتعاقبة .

وثانيتهما : تخريج أشعاره وتتبع رواياتها في مظانّها المختلفة .

ففي الناحية الأولى : تضنّ علينا المصادر بإشارة ما عن نشأة أبي محجن . وأقدم ما وصل إلينا من ذلك : كتاب « **المغازي** » الذي فصّل فيه الواقدي (– ٢٠٧ هـ) ما قام به أبو محجن يوم حصار الطائف بعض التفصيل ، وهو يومئذ على الشرك . كما كان لابن هشام (– ٢١٨ هـ) ، معاصر الواقدي ، فضل السبق في تعريفنا بأسرة أبي محجن

ومكانتها في ثقيف ، حين تحدث في « السيرة النبوية » عن خروج النبي (ص) إلى الطائف أول مرة .

ويعدّ « **طبقات فحول الشعراء** » **لابن سلام** (– ٢٣١ هـ) أول مصدر يضع أبا محجن في مكانه الصحيح ، إذ صنفه في طبقة شعراء القرى العربية ، وسبق غيرَه إلى ذكر بعض أخباره التي تتصل بالخمر أو بيوم القادسية .

فإذا سرنا مع الزمن قليلاً ، وجدنا **ابن قتيبة** (– ٢٧٦ هـ) يكرر في « **الشعر والشعراء** » ما ذكره ابن سلام ، لكنه يمدّنا بأمرين جديدين : إذ نعرف أن لابي محجن ابناً بقي إلى أيام معاوية ، كما يحدثنا عن قبر أبي محجن ومكانه بين شجرات الكَرْم ، وزاد في كتابه : « **المعارف** » شيئاً عن نسبه وقبيلته .

وتأتي بعد ذلك كتب التاريخ لتزودنا بشيء من مواقف أبي محجن في الفتوح . وفي مقدمتها « **فتوح البلدان** » **للبلاذري** (– ٢٧٩ هـ) الذي يعرّفنا بخبر أبي محجن يومي الجسر والقادسية ، لكن تفوّق عليه معاصره **أبو حنيفة الدينوري** (– ٢٨٢ هـ) في كتابه « **الأخبار الطِوال** » إذ أورد تفاصيل أوفى عن أخبار فارسنا في ذينك اليومين .

ويختم القرن الثالث بالطبري (– ٣١٠ هـ) الذي قدّم إلينا في تاريخه الكبير أخباراً مفصلة بأسانيدها ، لانجدها في كتب مَن سبقه ، عن جَلْد عمر لأبي محجن ونفْيه ، وما قام به يوم القادسية من خوارق ، إلا أنه اهتضم أبا محجنٍ فلم يذكر له شيئاً يوم الجسر .

ولقد كان ما ذكره (تاريخ الطبري) مادة أساسية للكتب التي ظهرت منذ مطلع القرن الرابع فصاعداً : كالاشتقاق ، والعقد الفريد ، ومروج الذهب ، والمؤتلف ، والبصائر ، وقطب السرور ، وجمع الجواهر ، وتاريخ ابن الأثير .

ولكتب تراجم الصحابة الفضل في تعريفنا بأبي محجن صحابياً ، يفد على الرسول (ص) مسلماً مع قومه ، فيكون في عداد مَن سمع منه ، ويكون أثيراً عند صاحبه أبي بكرٍ من بعده .

على أن أوسع المصادر التي أعانتني في هـذا البحث : كتابان اثنان أفدت منهما كثيراً في بعض أخبار أبي محجن : أحدهما « **الأغاني** » لأبي الفرج الأصفهاني

(ــ ٣٥٦ هـ)، وأما الآخر فلا يزال مخطوطاً وهو : (**الكشف عن مساوىء الخمر**)(١)، وإن كانت بعض نقولهما مقبوسة مما سبقهما .

أما كتب المتأخرين فقد كانت ، على اختلافها ، جمعاً وترديداً لما كتبه السابقون كشرح المقامات للشريشي (ــ ٦٢٠ هـ) وشرح شواهد المغني للسيوطي (ــ ٩١١ هـ) وكتابَيْ البغدادي (ــ ١٠٩٣ هـ) : الخزانة ، وشرح أبيات المغني . لكن هذه المراجع لا تخلو من فائدة كبيرة أحياناً لأنها استمدت بعض الروايات والأخبار من مصادر مفقودة لم تصل إلينا .

وفي الناحية الثانية : ، أعني مصادر شعر أبي محجن ومراجعه ، نجد كتب التراث تضمّ جانباً كبيراً من هذا الشعر ، وتغفل الجانب الآخر :

آ ــ فنصوص الديوان الذي صنعه أبو هلال : لم يرد لبعضها ذكر في المصادر القديمة ، وهي التي تحمل الأرقام (٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤) وبعضها ذاع واشتهر ، حتّى كاد لا يخلو منه كتاب ، كالقصائد (١ ، ٨ ، ١٦) .

على أني أفدت من بعض المصادر في رواية أبيات من قصائد الديوان ، لم يرد لها ذكر فيه : كالقصيدة الثامنة ، والقطعة الثانية عشرة .

ويعدّ **طبقات ابن سلاّم** أقدم المصادر التي استعنت بها في تخريج أشعار هذا القسم ، **ويبدو بعد ذلك** أن أبياتاً من القصيدة الأولى ، والثامنة ، والسادسة عشرة ، قد شاعت على ألسنة العلماء والنقاد والأدباء ، لذلك ترددت في بعض كتب القرنين الثاني والثالث : كالحيوان ، والعثمانية ، والأشربة ، والشعر والشعراء ، وعيون الأخبار ، وفتوح البلدان ، وتاريخ الطبري .

وما إن انتصف القرن الرابع ، وتتابعت السنون بعده ، حتّى وجدنا فيضاً من هذا الشعر القليل يتناثر في : الأغاني ، وجمهرة الأمثال ، والبصائر ، وقطب السرور ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وكتب تراجم الصحابة ، يأخذ بعضها عن بعض ، ما بين مقلٍّ ومكثِر .

ب ــ **وكان لا بدّ ، بعد هذا ، من تعقّب ما خلصتْ نسبتُه إلى أبي محجن ، مما لم**

---

(١) يظن أن مؤلفه علي بن القطاع الصقلي « ــ ٥١٥ هـ » . وتاريخ نسخه سنة ٥٨٦ هـ .

تحوْه أصول ديوانه ، فكشفت كتب التّراث نقابها عن (**٣١**) بيتاً ، موزعة على القصائد والقطع ذوات الأرقام (**٨ ، ١٧ - ٢٤**).وقد انفرد بعضها مصدر واحد كالقصيدة السابعةعشرة التي فازبها« المؤتنف ». والقطعة التاسعةعشرة التي ذهب بها « الشعر والشعراء » ، كما استقل « الأغاني » بالقطعة الحاديةوالعشرين، « والأشباه والنظائر » بالثانية والعشرين ، ومن هنا كان لهذه المصادر قيمتها الكبرى في حفظ تلك النصوص وإيصالها إلينا .

وأكثر مصادر هذا القسم من شعر أبي محجن قديمة وثيقة : كالمغازي ، وسيرة ابن هشام ، والوحشيات ، والعثمانية ، والشعر والشعراء ، والمؤتلف ، وتاريخ الطبري ، والأغاني ، والأشباه والنظائر ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، يضاف إليها مرجعان متأخران هما : نهاية الأرب ، وشذرات الذهب . ويلاحظ أن بعض الكتب هذه ورد ذكرها في مصادر القسم الأول من شعر أبي محجن أيضاً .

ج - **وظفرت خلال التنقيب بقطعٍ ستٍّ أخَر تحمل الأرقام (٢٥ - ٣٠) ولكنها لم تُسلم لأبي محجن ، بل نازعه فيها شعراء آخرون** . وفرسان هذه الحلبة بعضهم جاهليون كنَضْلة السُّلَمي ، وأُحيحة بن الجُلاح ، وصفوان بن أمية ، وبعضهم من المخضرمين ، كغَيلان بن سَلَمة الثقفي ، وقيس بن عاصم ، ومنهم المحدَث كالأُقَيشر الأسدي .

وأبرز مصادر هذا القسم : البيان والتبيين ، ومجالس ثعلب، ومجموعة المعاني، وكتب التفسير ، والمحبّر ، والمثل السائر ، وكتب أبي العلاء المعري .

ومما سبق يلاحظ أن شعر أبي محجن قد حفلت ببعضه كتب التّراث على اختلاف أنواعها ، ولا سيما كتب الأدب ، والأمالي ، والمحاضرات ، والحماسات وما إليها من كتب الاختيار ، وكتب التاريخ والسير ، ولا سيما تراجم الصحابة .

كما حفلت بأبيات من هذا الشعر كتبُ النحو ، والنقد ، والبلدان ، وكتب اللغة ومعجماتها المختلفة ، التي أخذت منه مادةً لتفسير بعض الألفاظ ، والتراكيب .

٣ ــ ديوان أبي محجن :

لا أدري لِمَ أغفلَ صاحب (الفهرست) ذكرديوانأبي محجن وصانعيه،مع أنه أورد لهم ما صنعوه من الدواوين الأُخَر : كابن الأعرابي ، وابن السكيت . وقل مثل ذلك فيمن تعاقب بعد ابن النديم ، ولا سيما صاحبا كشف الظنون وهدية العارفين . ولعلّ سّر هذا الإغفال أن أولئك العلماء لم يصل إلى علمهم أمر النسخ الخطية لديوان أبي محجن .

على أن هذا الديوان قد ورد له ذكر في مصادر أُخَر، فعرفنا منرواته ثلاثة وهم:

١ ــ ابن الأعرابي، عن المفضل الضبي(١) : وأول من ذكر هذه الرواية: ابن عبد البر ، ونقل عنها(٢) . ومثله أبو الفرج الأصفهاني(٣) ، وابن حجر(٤) .

وكانت من هذا الديوان نسخة في حوزة البغدادي الذي أخذ منها بعض النقول(٥) .

٢ ــ ابنالسكيت(٦): وقد انفرد البغدادي بذكر رواية ابن السكيت لديوان

---

(١) ابن الأعرابي : هو محمد بن زياد ، الكوفي الراوية النسابة ، ربيب المفضل الضبي،كان أحد العالمين باللغة ، المشهورين بمعرفتها . توفي سنة ٢٣١ هـ « وفيات الأعيان ٣٠٦/٤ » . والمفضل الضبي : ابن محمد ، كوفي عالم بالنحو والشعر والغريب ، راوية للأدب والأخبار وأيام العرب ، وكان موثقاً في روايته. من كتبه: " المفضليات " . توفي سنة ١٦٨ هـ « إنباه الرواة ٢٩٨/٣ وهدية العارفين ٤٦٨/٢ » .

(٢) انظر الاستيعاب ١٧٤٨/٤ « بجاوي » .

(٣) في الأغاني : ١٨/ ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ « ثقافة » .

(٤) الإصابة ٤ / ١٧٤ « مصطفى محمد » .

(٥) انظر الخزانة ٣ / ٥٥٢ ، ٥٥٥ وشرح أبيات المغني ١ / ١٤١ « ط . دمشق » . وقد نقل بروكلمان ١ / ١٧٦ عن الفهرس الذي عمله كرافت سنة ١٨٤٢ م أن من هذا الديوان نسخة في الأكاديمية الشرقية بفينا .

(٦) هو يعقوب بن إسحق . والسكيت لقب أبيه . عاش في بغداد وأحاط بعلوم شتى . قتله المتوكل سنة ٢٤٤ هـ . من أشهر تصانيفه : إصلاح المنطق . « نزهة الألباء ١٧٨ ووفيات الأعيان ٦ / ٣٩٥ ».

أبي محجن ، ونقل منه شرح القصيدة السادسة عشرة بتمامها(1) .

٣ ـ **أبو هلال العسكري**(2) : وقد صنع ديوان أبي محجن وشرحه . وهذا الشرح هو الذي حققناه في هذا الكتاب .

ومن الجدير بالذكر أن شرح أبي هلال لديوان أبي محجن لم يرد له ذكر عند القدماء ، حتى الذين ترجموا لأبي هلال نفسه . ولكن إغفالهم له لا يقدح في صحة نسبته إلى أبي هلال ؛ **إذ لا نعدم أدلة مادية أخرَ تثبت هذه النسبة ، ومن هذه الأدلة :**

آ ـ تصريح أبي هلال ، نفسه ، في مقدمة شرح الديوان ، بأنه صنع هـذا الديوان وشرحه .

ب ـ طريقته في التقديم للعبارة بمثل قوله: « قال الشيخ أبو هلال رحمه الله » ، هذا التقديم يتكرر كثيراً في كتبه الأُخَر(3) .

ج ـ نقلُ أبي هلالٍ خبرَ وفود غيلان بن سلمة على كسرى ، عن خاله وأستاذه أبي أحمد ، الحسنِ بن عبد الله العسكري(4) . ومن المعروف أن أبا هلال يكثر في مؤلفاته النقلَ عن أبي أحمد هذا(5) .

د ـ ورابع هـذه الحجج وأقواها : ذلك السند الذي أورده أبو هلال في قوله :

---

(1) انظر الخزانة ٣ / ٥٥٢ وشرح أبيات المغني ١ / ١٤١ . وكان البغدادي قد ذكر ديوان أبي محجن أيضاً في معرض تعداده لمصادر الخزانة في المقدمة ١ / ٩ ولكنه لم يعين فيها راوي الديوان : أبن الأعرابي أم ابن السكيت ؟ ولعله يريد روايتيهما معاً ، لأن نسختيهما كانتا في حوزته ونقل منهما جميعاً في ترجمته لأبي محجن ، كما سبق .

(2) هو الحسن بن عبد الله بن سهل ، كان عالماً فقيهاً عفيفاً ، يغلب عليه الأدب والشعر والنقد وغريب اللغة . نشأ في " عسكر مكرم " وتنقل في التجارة إلى بلاد متعددة ، وفي خلال تطوافه لقي العلماء وأخذ عن فضلائهم ، ولم يشغله ذلك عن التصنيف . ومن مؤلفاته : الأوائل ، جمهرة الأمثال ، ديوان المعاني ، كتاب الصناعتين . توفي بعد سنة ٣٩٥ هـ . « بغية الوعاة ١ / ٥٠٦ والخزانة ١ / ١١٢ » . ولم نقف طويلا عند ترجمة أبي هلال ، لاستفاضتها في مقدمات كتبه المطبوعة .

(3) انظر الصناعتين ١ وديوان المعاني ١ / ٧ وجمهرة الأمثال ١ / ١٤ .

(4) ورد ذلك في شرح القطعة رقم ١٣ من ديوان أبي محجن .

(5) كالصناعتين ٩ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧ ... وديوان المعاني ١ / ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٦٠ ... وجمهرة الأمثال ١ / ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ...

« أنشدني أبو القاسم الكاغَدي ، عن العُقَدي ، عن أبي جعفر ، عن المدائني ، هذه الأبيات لأبي محجن ...(1) » . فإذا عدنا الى بعض تصانيف أبي هلال وجدناه يُكثر من إيراد هذا السند بنصّه الكامل(2) ، بل يورده أحياناً بتفصيل أوفى ، كقوله في كتاب « جمهرة الأمثال(3) » :

« أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أحمد الكاغَدي ، عن أبي بكر عبد الله بن حمّاد العقدي ، عن أبي جعفر أحمد بن الحارث الخزّاز ، عن المدائني ... » .

أما المعاصرون الذين ذكروا شرح العسكري لديوان أبي محجن فقد اعتمدوا في ذلك على ما وقع في أيديهم من نشراته المطبوعة ، كما فعل محققا « جمهرة الأمثال » في المقدمة ، أو على فهارس المخطوطات التي ذكرت نسخ الديوان في مكتبات العالم ، كما فعل بروكلمان(4) . وقد يقع بعضهم في خطأ يضلل الباحث ، كمؤلف كتاب : « أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية »(5) ، فقد سرد مؤلفات أبي هلال – وفيها شرح ديوان أبي محجن – زاعماً أنه أوردها « كما ذكرها ياقوت » في معجم الأدباء . وكان واهماً في ذلك ، إذ أن ياقوتاً لم يذكر « شرح ديوان أبي محجن » مع مؤلفات أبي هلال . ثم إن ذلك المؤلف لم يلتزم بما ذكره ياقوت من مؤلفات أبي هلال التزاماً تاماً ، بل كان يزيد كتاباً هنا ، وينقص آخر من هناك .

٤ – طبعات الديوان :

طبع ديوان أبي محجن خمس مرات ، هذا بيانها :

١ – **نشرة المستشرق عمر السويدي «لندْبرج»** بشرح أبي هلال ، في مجموعة (طُرف عربية) ، وقد اعتمد فيها على مخطوط نقل من نسخة بخط الشنقيطي . وطبعت في ليدن سنة ١٣٠٣ هـ – ١٨٨٦ م . وهي طبعة جيدة متقنة ، وأخطاؤها يسيرة ،

---

(١) شرح ديوان أبي محجن ، القطعة رقم : ١٥ .

(٢) انظر ديوان المعاني ٢ / ١١٢ وجمهرة الأمثال ١ / ١٠٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٧٦ ، ٣٣٠ .

(٣) ١ / ١٣ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ١ / ١٦٨ .

(٥) هو الدكتور بدوي طبانة . انظر كتابه هذا ص ٣٣ – ٣٤ .

ولكنها خالية من التعليقات والتخريج ، ولم يلحق بها شيء من الزيادات التي تنسب إلى أبي محجن . على أن في آخرها بعض الفهارس الجيدة .

٢ — ثمّ اعتنى المستشرق **فون آبل** بطبع الديوان في ليدن سنة ١٨٨٧ م[١] ، وتضمنت طبعته « ثلاثاً وعشرين قطعة قصيرة جداً ، وأبياتاً منفردة بلغ مجموعها مائة بيتٍ ونيّفاً »[٢] .

٣ — **وطبع بشرح أبي هلال في مصر** ، بمطبعة الأزهار البارونية ، بلا تاريخ . وهذه الطبعة تجارية كثيرة التحريف ، ولا يعرف الأصل الذي أخذت عنه .

٤ — **ثمّ نشر في مجلة (ثقافة الهند)** — عدد سبتمبر ١٩٥٢ — بتحقيق امتياز علي عرشي[٣]

٥ — وآخرها **نشرة الدكتور صلاح الدين المنجد** ، التي طبعت في بيروت ١٩٧٠ وأصدرتها (دار الكتاب الجديد) وتقع في (٥٧) صفحة ، وقد اعتمد ناشرها على نسختي (آيا صوفيا)[٤] .

وعندما علمت بهذه الطبعة تهيّبت الإقدام على إكمال ما بقي من العمل ، وكنت قد قطعت فيه الشوط الأكبر ، إلا أن اطلاعي عليها زادني إقداماً على المضي فيما ندبت له نفسي :

يقول « الناشر » في الكلمة التي قدّمها للديوان[٥] : « وقد اعتمدنا في نشرتنا هذه على المخطوطة التي كتبها ياقوت المستعصمي ، وقايسناها بالمخطوطة الثانية . وعارضنا الأبيات بما ورد منها في كتب الأدب والتاريخ .. ثم أردفنا الديوان بمقطوعات شعرية لا توجد في الديوان ، بل ذكرتها كتب الأدب منسوبة لأبي محجن .. » .

---

(١) اكتفاء القنوع ٣٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ / ١٦٨ والمنجد في الآداب والعلوم ٤٨٠ ، والمستشرقون ٣ / ٦٣٢ . لكن في تاريخ الأدب لبلاشير ٢ / ١٠٤ أن تاريخ طبع الديوان هو : ١٨٨٦ م .

(٢) تاريخ الأدب لبلاشير ٢ / ١٠٤ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق — مج ٤٨ سنة ١٩٧٣ ص ٦٩٣ .

(٤) سيأتي الحديث عنهما بعد قليل .

(٥) ص ١٢ .

فالناشر قام إذن بثلاثة أعمال في نشره للديوان :

١ — **الاعتماد على مخطوطتي آيا صوفيا** : لكنه في الحقيقة اعتمد في إثبات النص على طبعتي لندبرج ومصر في كثير من المواضع، كما أنه لم يقايس بين المخطوطتين مقايسة كاملة ، ولا أشار في الهوامش إلى الفروق كلّها .

٢ — **معارضة الأبيات بما ورد منها في كتب الأدب والتاريخ** : وهذا كلام مطلق ، لا يستثني ولا يقيّد ، وهو يوهم أن « الناشر » قد رجع إلى كتب الأدب والتاريخ كلها ، واستعان بها في تخريج شعر أبي محجن . والحقيقة خلاف هذا ، فكم من كتب أغفلها ولم يرجع اليها ، مع أنها مبذولة شائعة :

فهو على سبيل المثال ، يذكر (ص ٣٨) أن بيت أبي محجن (هلمّ سلاحي ...) روي في الشعر والشعراء « وحده » مع أنه مروي أيضاً في طبقات ابن سلام (ص ٢٢٥) .

ويكتفي في تخريج القطعة التي مطلعها : « إن كانت الخمر قد عزّت .. » (ص ٤١) بذكر موضع واحد من الأغاني مصدراً لها ، وهو الموضع الذي ترجم فيه أبو الفرج لأبي محجن . إلا أن هذه القطعة نفسها وردت أيضاً في موضع آخر من الأغاني ، في ترجمة الأقيشر الأسدي ، كما رويت في العقد الفريد ، وقطب السرور ، والحماسة البصرية . وكل ذلك لم يعرّج عليه الناشر .

وعندما يخرّج القطعة القافيّة التي مطلعها (إذا متّ فادفنّي ...) ص ٤٨ ، يكتفي بالاشارة إلى أن البيتين الأول والثاني في الأغاني ، مع أنهما وردا في أكثر من ثلاثين مصدراً بعضها مما اعتمد عليه الناشر ، بَلْهَ المصادر التي أوردت معظم أبيات القصيدة أو بعضاً منها : كالخزانة ، وتاريخ الطبري ، والعيني .

٣ — **إرداف الديوان بالمقطوعات الشعرية** : ويؤخذ على المحقق أنه لم يميّز في الزيادات بين ما نسب إلى أبي محجن وحده ، وما اختلطت نسبته ، ثم إن ما ذكره منها لم يتجاوز سبع قطع ، في حين أن ما أردفناه نحن من زيادات في آخر الديوان بلغ أربع عشرة قطعة ، ثمانٍ منها نسبت إلى أبي محجن ، وستٌّ نازعه فيها شعراء آخرون .

يضاف إلى هذه الملاحظات على نشرة الدكتور المنجد ، أمور أخَر أبرزُها :

١ ــ كثْرة الأخطاء المطبعية ، ومنها :

ــ ص ١٥ س ١٢ : « أن يخاطبوا نسائهم » . والصواب : نساءهم .

ــ ص ٢٠ س ٥ : « الغَمامة الّتي تجعل على فم البعير » والصواب : الغِمامة ...

ــ ص ٤٤ س ١٦ : « عيلان بن سلمة » . والصواب : غَيلان ... وقد تكرر هذا الخطأ ص ٤٥ « في موضعين » وفي فهرس الأعلام أيضاً ص ٥٧ .

ــ ص ٥٢ س ١٤ : « ولم أك طائعاً » . والصواب : ... كائعاً .

٢ ــ اكتفاء الناشر بتخريج الشواهد الشعرية الّتي صرّح العسكري بنسبتها إلى قائليها المشهورين : كالنابغة ، وكثيّر ، وذي الرمة ، وإغفال ما أهمل أبو هلال نسبته إلى قائله ، وبعضه في كتبٍ حققها الناشر نفسه ، كقول الشاعر :

مَن فارسٌ كَرِه الطعانَ يُعيرني فرَساً إذا نَزلوا بمَرْجِ الصُّفَّرِ

فقد مرّ بهذا البيت ص ٣٩ ولم يشر إلى قائله أو شيءٍ من مراجعه ، مع أنه ورد في (فتوح البلدان) الذي حققه الدكتور المنجد ، وفي معجم البلدان ، وهو لخالد ابن سعيد بن العاصي .

وزبدة القول أن نشرة دار الكتاب الجديد قامت على السرعة وتعجّل الطبع ، وهي تحتاج إلى مزيد من الدقة والعناية والتمهل . وأظن أن الدكتور المنجد يوافقني على هذا الحكم من جهة ، كما يتسع صدره لذلك النقد البريء من جهة أخرى ، وهو الذي يقول في مقدمة رسالته : « قواعد تحقيق المخطوطات » في معرض ردّه على الأستاذ عبد السلام هارون : « لقد كنا نرحب بالانتقاد ، لو انتَقَدَنا أو نبهَنا إلى خطأ وقعنا فيه، ونكون شاكرين له فضله ، فبالنقد البريء تُعرف الحقيقة »(١) .

٥ ــ مخطوطات الديوان :

لديوان أبي محجن عدة مخطوطات موزعات في أنحاء العالم ، لا يتجاوز عددها

(١) قواعد تحقيق المخطوطات ــ ص ٤ ، الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م.

الثماني ، وبعضها منسوخ عن بعض أو مكرر(١) . وقد اعتمدت في تحقيق هذا الديوان – الذي صنعه وشرحه أبو هلال العسكري – على النسخ الخمس الآتية :

١ – نسخة آيا صوفيا : « الأصل الأول : ي / ١ »

أصلها محفوظ في مكتبة آيا صوفيا برقم (٣٨٨١ مكرر) في مجموع ناقص الآخر ، يضم ديوانَي أبي محجن (١ – ٣٤) والحادرة (٣٦ – ٦١) وأبياتاً متفرقة من شعر المتنبي ومعلقة امرىء القيس (٦٢ – ٧١) .

وقد طمس العنوان الأصلي لهذا المجموع ، وكتب فوقه بخط ناسخ متأخر : « ديوان شعر أبي محجن الثقفي بخط ياقوت ، وديوان الحادرة بخط ياقوت » .

بلغت صفحات ديوان أبي محجن في هذه النسخة أربعاً وثلاثين ، في كل صفحة تسعة أسطر وقد تصل أحياناً إلى أربعة عشر سطراً ، وفي السطر ثماني كلمات ، وقد تبلغ عشراً .

وعلى صفحة الغلاف جمل متفرقة مبتورة بخط « محمد بن مهنا » وعبارات وقفية بالتركية والعربية ، أبرزها العبارة الآتية ، التي أثبتت في أسفل الصفحة بالخط الريحاني :

« برسم الخزانة الكريمة العالية المولوية السيدية المخدومية الملك أمرائية السيفية : منكلي بُغا الأشرفي(٢) ، كافل السلطنة المعظمة بالشام المحروس ، حماها الله بحِماه » .

---

(١) ذكر بروكلمان ١ / ١٦٨ من الديوان أربع نسخ متفرقة في : « فينا ، وآيا صوفيا ، والقاهرة ، وليدن » . لكن في دار الكتب وحدها بالقاهرة أربع نسخ : اثنتان بخط الشنقيطي ، والثالثة بخط مصطفى الإمام الدمشقي ، والرابعة ملحقة بمخطوط « منتهى الطلب » .

أما في آيا صوفيا فهناك نسختان إحداهما بخط ياقوت ، ويغلب على الظن أن الثانية بخطه أيضاً .

ومن الجدير بالذكر أن المكتبة الوطنية في بيروت تضم نسخة حديثة العهد جداً برقم ٢٢٣ ، تقع في ثماني صفحات ، وقد نقلت من نسخة الشنقيطي المؤرخة في ١٧ رمضان ١٢٩٥ ، وفيها شروح متفرقة اختصرها الناسخ من شرح أبي هلال . ولم نعول على هذه النسخة لحداثتها ووجود أصلها نفسه بين أيدينا .

(٢) هو الأمير سيف منكلي بغا بن عبد الله الشمسي . كان من أجل الأمراء وأعظمهم حرمة وهيبة ووقاراً ، وله اشتغال في علوم متعددة ، ولي نيابة السلطنة في صفد ، وطرابلس وحلب ودمشق ، ثم أعيد إلى حلب ثانية . وما لبث الملك الأشرف أن استدعاه إلى الديار المصرية وجعله أتابك العسكر « أمير الجيش » فاستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٧٧٤ هـ . « النجوم الزاهرة ١١ / ١٢٤ » .

وعبارة أخرى بالخط الفارسي ، في أعلى الصفحة ، هذا نصّها :

« قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم ، والخاقان المعظم ، مالك البرّين والبحرين خادم الحرمين الشريفين ، السلطان بن السلطان ، السلطان الغازي محمود خان ، وقفاً صحيحاً شرعياً . حرره الفقير أحمد شيخ زاده ، المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين ، غفر لهما » .

وهذه النسخة جيّدة الخط ، مشكولة الكلمات ، ولكنها تنقص من وسطها عدة صفحات ، وذلك بين الصفحتين (٣٠) و (٣١). ولم يتنبه مرقّم الصفحات إلى هذاالنقص الذي تناول القصائد والقطع ذوات الأرقام (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) ، وقد استدركناه من النسخ الأخرى .

أما ناسخها فهو ياقوت المستعصمي[1] الذي كتبها سنة ٦٨١ هـ ، وجعل أبيات أبي محجن بخط الثلث ، وأتبع كلّ بيت شرحَه بخط النسخ . إلا أن هناك مواضع قليلة عثر فيها الناسخ بضبط الكلمات ، أو أهمل إعجام الحروف ، ولا سيّما الياء والتاء والزاي ، وقد يعجم الحرف المهمل مثل (خَضَوْضَى ، عُميز) بدل (حَضَوْضَى ، عُمير) ، ويهمل رسم الألف الفارقة بعد واو الجماعة ، ويكتب : (مرؤه ، الصلوة ، لاتسئلي). وقديجمع في الرسم بين قطعة الهمزة المكسورة ونقطتي الياء في مثل: (وسائلي، نائلة).

وقد رمزنا لهذه النسخة بالحرف : (ي / ١) :

ب ـ نسخة أخرى في آيا صوفيا : (الأصل الثاني : ي / ٢)

رقم هذه النسخة A ٣٨٨١ وتقع في أربعين صفحة ، عدد أسطر كل صفحة عشرة ، وربما بلغت أربعة عشر سطراً . ولكنها ناقصة من آخرها مقدار صفحة واحدة ، وذهب مع هذا النقص اسم الناسخ وتاريخ النسخ. والأرجح أنه ياقوت المستعصمي أيضاً، للتشابه التام بين هذه النسخة والتي قبلها (ي / ١) من حيث: نوع الخط، وقواعده ، وطريقة الكتابة ، وإهمال رسم الألف الفارقة ، ونقط الحروف المعجمة . وتنتهي بقول أبي محجن :

---

(١) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي ، المشهور بجودة الخط . كان من مماليك الخليفة المستعصم ، واشتغل في العلوم العربية بأسرها ، وفاق في النظم والنثر . توفي سنة ٦٩٨ هـ . « مفتاح السعادة ١ / ٨٦ » .

وأعجلن عن شدّ المآزرِ وُلهاً مفجّعةَ الأصوات قد جفَّ ريقُها

وتمتاز هذه النسخة بأن صفحةَ الغلاف تحوي العنوان بخط الناسخ نفسه ، ونصُّه بخط الثلث : « ديوان شعر أبي محجن الثقفي » وتحته بالنسخ : « صنعة الشيخ أبي هلال العسكري رحمة الله عليه وغفرانه » .

وهناك أيضاً ختمان ، نقش في الأول قوله تعالى : « الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله » ، وفي الثاني : « توكلت على خالقي » ، كما أثبتت العبارة الوقفية التي كتبها أحمد شيخ زاده ، والتي ذكرنا نصّها في حديثنا عن الأصل الأول (ي / ١) .

وقد جعلنا رمز هذه النسخة (ي / ٢) .

ج ـ النسخة الشَّنقيطية : (ش)

هذه النسخة كاملة ، وأصلها محفوظ في دار الكتب المصرية برقم (٣٤ أدب ش) وهي بخط مغربي صغير ولكنه واضح ، كتبها محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي(١) سنة ١٢٩٥ هـ ، عن نسخة ياقوت المؤرخة في شوال سنة ٦٨١ ، أي الأصل الأول (ي / ١) .

وتقع في إحدى عشرة صفحة ، في كل صفحة ثلاثون سطراً ، ويضم كل سطر ثلاث عشرة كلمة ، تصل أحياناً إلى سبع عشرة . وقد التزم الناسخ فيها نظام « التعقيبة » فذيّل كل صفحة بالكلمة التي تبدأ بها الصفحة التالية .

وهذه النسخة جيّدة الضبط ، يندر فيها الخطأ . وجرت عادة الناسخ أن يضع نقطة الفاء تحتها ، ولا يعجم القاف في آخر الكلمة ، فإذا وقعت في أول الكلمة أو وسطها اكتفى بوضع نقطة واحدة فوقها مثل : (الفَوم) بدل (القَوم) ، و (أذوفُها) بدل (أذوقُها) ، ويضع فتحة الحرف المشدّد تحت الشدة مثل : (تحطّمت) ، وكثيراً ما يرسم الشدة كالهمزة في مثل : (تحطئمت) كما يرسم قطعة الهمزة هكذا (٤) ، ويكتب : (تسئلي ، وسايِلي) .

---

(١) ولد في شنقيط « موريتانية » وأقام في القاهرة . يعد علامة عصره في اللغة والأدب . وقد رحل إلى مكة وإسبانية والمدينة المنورة واطلع على كثير من المخطوطات ، ونسخ بعضها بخطه . توفي سنة ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤ م . « الأعلام ٧ / ٣١١ » .

وليس على صفحة الغلاف إلاّ العنوان ، ونصّه :

« ديوان شعر أبي محجن الثقفي الصحابي ، صنعة الشيخ أبي هلال العسكري ، رحمة الله عليه وغفرانه . يليه إن شاء الله تعالى ديوان شعر الحادرة ، واسمه قطبة بن أوس ، رواية أبي عَبدالله محمَّد بن العباس اليزيدي ، رحمة الله وغفرانه عليه » .

وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف (ش) .

د ـ نسخة حقّي : (ق)

وهي مصورة عن أصل محفوظ بدار الكتب المصرية برقم (٥٣ أدب ش) ، في مجموع يقع في ٤٢١ صفحة ، ويضم « منتهى الطلب » لابن ميمون ، ثمّ دواوين الشعراء : لقيط الإيادي ، فالحادرة الذبياني ، فأبي محجن الثقفي ، فعلقمة الفحل ، وأبنائه وأخيه .

وهذا المجموع كلّه بقلم إسماعيل حقيّ المغربي ، كتبه سنة ١٢٩٦ هـ(١) في الآستانة، ويبدو أنّه نقله من نسخة ياقوت المستعصمي . وقد ملكه محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي ، كما جاء على صفحة غلافه .

ويقع ديوان أبي محجن ، في هذا المجموع ، في عشرين صفحة (من ٣٧٤ ـ ٣٩٣) ، ونصّ العنوان : « هذا شرح ديوان شعر أبي محجن بن حبيب الثقفي الصحابي ، صنعة الشيخ أبي هلال العسكري ، رحمة الله عليه وغفرانه آمين » .

وجاء في مكان آخر من صفحة غلاف الديوان العبارتان التاليتان :

١ ـ « ملكه محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي المغربي ، غفر الله له ولكاتبه ولجميع المسلمين آمين » .

٢ ـ « ثم وقفه مالكه محمد محمود بن التلاميذ على عَصَبته بعده وقفاً مؤبداً ، فمن بدّله فإثمه عليه ، والله على ما نقول وكيل » .

---

(١) عرّف الناسخ نفسه بأنه : « إسماعيل حقي بن يوسف بن عبد القادر بن عبد الرحمن ، المغربي أصلاً ، الطرابلسي مولداً وسكناً (موطناً) » .

وهذه النسخة جيّدة الخط ، يقلّ فيها الخطأ ، وقد عني فيها الناسخ بضبط الأبيات أكثر من عنايته بضبط الشرح ، وقد رمزنا لها بحرف (ق) .

ه ــ نسخة دار الكتب : (ص)

وأصلها محفوظ في دار الكتب المصرية ، برقم (٦٠٧ أدب) ، كتبها مصطفى الإمام الدمشقي ، لكنه أهمل ذكر تاريخ نسخها ، ويبدو أنه متأخر . وقد ذكر في أولها أنها اشتُريت وضُمت إلى الدار في ٢٣ يونيه ١٨٨٣ . وعنوان الديوان كما هو على غلاف الأصل الثاني (ي / ٢) بزيادة « آمين » في آخره .

وتقع هذه النسخة في ثمانٍ وعشرين صفحة غير مرقمة ، وكتبت كلها بخط النسخ الواضح ، إلا أنه لا يرقى إلى مرتبة خط ياقوت في الدقة والجمال ومراعاة القواعد . وتحوي كل صفحة تسعة عشر سطراً ، في كل سطر خمس كلمات ، تصل أحيانا إلى سبع .

ويبدو أن ناسخها ليس من الأدباء المحققين ، لأنه يجهل كثيراً من مبادىء الرسم والعروض والضبط : فتراه حيناً يَصِل شطري البيت ، أحدَهما بالآخر ، أو يضع مصراع البيت في سياق النثر بلا تمييز . ومِن ثَمّ كثر عنده التحريف والتصحيف . وكثيراً ما يهمل إعجام بعض الحروف ، ويضع قطعة الهمزة المكسورة فوق الألف في أول الكلمة ، كما يندر لديه تقييد الحروف بالشكل .

ورمزنا لهذه النسخة بحرف (ص) .

٦ ــ منهج التحقيق

اتبعت في تحقيق الديوان ما اصطلح عليه العلماء وأولو الخبرة في هذا الشأن ، ليقدَّم النص صحيحاً كما وضع في أصله ، مُخرجاً بروح العصر وعلى طريقته . وهذه أهم الخطوات التي قام عليها منهج التحقيق :

١) جعلت نسختي آيا صوفيا : (ي / ١) و (ي / ٢) أصلين أعتمد عليهما في التحقيق ، وعارضت بهما سائر النسخ الخطية الثلاث : (ش) و (ق) و (ص) ، وضممت إليها طبعة ليدن التي نشرها (لندبرج) ورمزت لها بالحرف (ل) ،

لِما تمتاز به من دقة وتحرٍّ للصواب ، ولأن ناشرها اعتمد على نسخة خطية نقلت من النسخة الشنقيطية . واستأنست بعد ذلك بطبعة (مطبعة الأزهار) بمصر ، في بعض المواضع التي تدعو الحاجة إليها ، وجعلت رمز هذه الطبعة : (هـ) . واستخدمت كلمة (النسخ) للإشارة إليها جميعاً .

٢) عُنيت بتقصي الفروق بين النسخ الخطية والمطبوعة، وتصحيح ما وقع فيها جميعاً من تصحيف أو تحريف أو أوهام ، وأشرت إلى ذلك كله في الهوامش والتعليقات .

٣) وجّهت الاهتمام إلى ضبط النص ، وتقييد الأبيات بالشكل ، مكتفياً بما قد يكون مظنةً للّبس ، وحرصت على استخدام علامات الترقيم في مواضعها المناسبة ، كما جعلت لقصائد الديوان ومقطوعاته أرقاماً متسلسلة ، من أول الديوان إلى آخره ، ليسهل الرجوع إليها والإحالة عليها ، وأثبتّ في رأس كلٍ منها اسم البحر الذي نظمت عليه .

٤) خرّجت الشواهد : من الأبيات الشعرية ، والأمثال العربية ، والآيات القرآنية ، وأوردت تمام الشاهد أحياناً إذا كان في ذلك توضيح للسياق الذي جاء فيه .

٥) ترجمت لكل الأعلام الذين ورد ذكرهم، ممّن لهم بموضوع الرسالة وشيجة من القربى ، إلا من شحّت المصادر بتراجمهم، كما عرّفت بالأمكنة التي ورد ذكرها أيضاً ، مستعيناً في ذلك بكتب التراجم والبلدان الموثوق بها .

٦) أشرت ، فيما سبق ، إلى أنني قسمت شعر أبي محجن ثلاثة أقسام :

آ — ما حواه الديوان المخطوط : ولم يلتزم فيه أبو هلال العسكري ترتيباً معيّناً ، وقد خرّجت كل قصيدة أو مقطوعة ، في آخر الديوان ، مبتدئاً بالأبيات المفردة ، فالأبيات المجتمعة . ثم أوردتُ في آخر الديوان أيضاً لكل بيت رواياته المختلفة في المصادر والمراجع ، لتكون في متناول يد الباحث ، وأضفت إلى « النصوص » ما نقصها من الكتب الأُخَر .

وقد ذكرت في الهوامش بعض الشروح والتعليقات التي لا غنى عنها، وحرصت على أن أورد ما وجدته في مختلف الكتب العربية من تعليقات على شعر أبي محجن ، أو شرحٍ له .

ب- **ما نُسب إلى أبي محجن وحده :** وقد رتبت نصوص هذا القسم على حروف المعجم ، بحسب الروي ، وحاولت أن أقدّم لكل نصّ بذكر مناسبته ، بقدر ما أسعفتني المصادر . وعنيت بعد ذلك أيضاً بتخريج أبياته ورواياتها المختلفة في الكتب ، وإذا تعددت مصادر النص الواحد ، أثبتّ أقدم رواية له . وأضفت إلى هذا القسم بعض التعليقات والفوائد ، على نحو ما فعلت في القسم الأول .

ج - **ما اختلطت نسبته:** وفي هذا القسم ذكرت القطع التي نازع فيها أبا محجن شعراء آخرون،وأثبتّ أقدم رواية تَنسب النص إلى أبي محجن، إلا إذا كان هناك رواية أتمّ وأوفى ، فأقدّمها على ما سبقها في الزمن ، ولم يحصل ذلك إلا في القطعة التاسعة والعشرين .

وقد رتبت نصوص هذا القسم على حروف المعجم أيضاً ، وسرت على المنهج السابق نفسه من حيث التعليقات وتخريج الأبيات وذكر رواياتها المختلفة ؛ كلّ في مكانه .

٧) وقد حاولت - في تخريج أشعار أبي محجن جميعاً - أن أذكر ما استطعت الوصول إليه من الطبعات المختلفة للمصدر الواحد إذا تعددت ، ليكون التخريج أتمّ ، والعمل أدعى إلى الدّقة والشمول ، فكثيراً ما تختلف طبعات الكتاب نفسه فيما بينها ، على حسب الأصول الخطية التي اعتمد عليها الناشر أو المحقق . وإذا كان للكتاب عدة طبعات ، وأوردتُ اسمه مطلقاً ، فمعنى ذلك أن طبعاته كلها تتفق في الرواية نفسها .

٨) وعُنيت أيضاً - وأنا أورد الروايات - بالإشارة إلى ما ذكره المحققون في هوامش الكتب من فروق بين النسخ التي اعتمدوا عليها ، مهما اختلفت طبعات الكتاب ، كالأغاني ، والاستيعاب ، ومروج الذهب ، والشعر والشعراء ، وما إليها .

٩) وأخيراً ، صنعتُ للديوان وشرحه فهارس متنوعة تيسّر الانتفاع بها ، وهي تتناول: أشعار الديوان، والآيات القرآنية ، والشواهد الشعرية ، واللغة ، ومسائل العربية، والأعلام ، والأمكنة ، وضممتُ إليها معجم الخمرة في شعر أبي محجن جمعت فيه ما ورد في هذا الشعر من ألفاظ وأمور تتعلق بالخمر ، مما يهمّ به دارسو الخمريات في شعرنا العربي .

وبعـــــــد :

فإنّني لم أدّخر جهداً ولا وقتاً فيما قمت به من ترجمة ودراسة وتحقيق ، ولا أدعي – مع ذلك – بلوغ الكمال الذي ليس وراءه مطمح أو غاية، فتلك أمنيةٌ دونها خرط القتاد .

ومن النَّصَفة أن أزجي الشكر إلى كل من بذل لي العون في عملي مهما كان يسيراً ، وأخصّ بالتقدير الأوفر الدكتور صبحي الصالح الذي قام بالإشراف على هذا البحث ودفعني إلى إنجاز العمل بصبر وأناة ، والدكتور شكري فيصل ، عضو لجنة المناقشة ، وقد كان لكثيرٍ من ملاحظاتهما القويمة آثارٌ لا تُجحد .

ولا أنسى أيضاً تقديم خالص الشكر إلى الأستاذ أحمد راتب النفاخ – عضو مجمع اللغة العربية بدمشق – الذي هزّته أريحيته المعروفة ، فقدّم إليّ المصوّرتين عن نسختي آيا صوفيا ، وهما الأصلان اللذان اعتمدت عليهما في التحقيق ، كما يسّر لي الانتفاع ببعض المصادر النادرة .

ذلك مبلغ الجهد المبذول ، وتلك بضاعتي أزجيها إلى القارىء ، مؤمّلاً أن يكون ما قمت به دانياً من التوفيق والسّداد .

حلب – ٢٠ من جمادى الأولى ١٤٠٢

١٤ من آذار ١٩٨٢

محمـــود فاخـوري







صفحة العنوان من نسخة «آيا صوفيا» المرموز إليها بحرف «ي / ٢»

ديوان شعر أبي محجن الثقفي
صنعة الشيخ أبي
هلال العسكري
رحمة الله
عليه
وغفرانه
آمين

مشترى [illegible] بالخط [illegible]
في ٢٢ يونيه سنة ٨٢ ١٨٧٤٦ نمرة ٦٠٧ ادب



صفحة العنوان من النسخة المرموز إليها بحرف «ص».

وقف ١

ديوان شعر أبي محجن الثقفي الصحابي
صنعة الشيخ أبي هلال العسكري
رحمة الله عليه وغفرانه
يليه إن شاء الله تعالى
٢ ديوان شعر الجادرة واسمه قطبة بن أوس
رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي
رحمة الله وغفرانه عليه

عمومية ٤٢٩٢٤
خصوصية ٢٤ ادب ش



صفحة العنوان من النسخة المرموز إليها بحرف «ش»

بسم الله الرحمن الرحيم

أعطاك الله خير ما يعطي أمثالك ومنحك أفضل ما منح أشكالك
من الراغبين في الأدب الحاملين على الجنب الدائبين فيما زينهم من
ابتغاء مجد واقتناء شكر وحمد وذكرت أن أبا يوسف
يعقوب بن السكيت وأبا سعيد السكري وأبا الحسن الطوسي
قد عملوا صنعة دواوين المكثرين والمشهورين من شعراء الجاهلية
والإسلام فاستوعبوا تفسير مشكلها وبالغوا في إيضاح غامضها
واستقصوا شرح غريبها إلا ما غفلوا فيه منهم منها وأغفلوا
دواوين المقلين والمغمورين فلم يلموا بها فالتمست أن أسلك
في دواوين المقلين والمغمورين مسلكهم في دواوين المكثرين
والمشهورين وأن أنحو في الإبانة عن معانيها نحوهم على الإحسان
بكثير ومغمورين بعشرة وقد أجبتك إلى ذلك فابتدأت
بتفسير ديوان أبي محجن وضمنته ونبهته نبهًا ما وأنا أتبعه بما يمر
بي من دواوينهم واحدًا بعد واحد حتى آتي على أكثرها إن شاء الله تعالى

صفحة المقدمة من نسخة «ي / ٢».

بسم الله الرحمن الرحيم

أعطاك الله خير ما يعطي أمثالك ومنحك أفضل ما يمنح أشكالك
من الرغبة في الأدب والحرص على الحديث الدارس فيما يرشدهم من أمثاله وتبع
واجتناء ثمره وجنيه ذكرت أن أبا يوسف يعقوب بن السكيت وأبا سعيد السكري
وأبا الحسن الطوسي قد عنوا بصنعة دواوين المكثرين والمشهورين من شعراء
الجاهلية والإسلام فاستوفوا تفسير مشكلها وبالغوا في إيضاح غامضها واستقصوا
شرح غريبها فلا يجد من جاء بعدهم ما يزيد فيه عليهم منها وأغفلوا دواوين المقلين والمغمورين
فلم يلتفتوا إليها المقتبس إذا تناوله لديه دواوين المقلين والمغمورين مثلكم محتويين
للمكثرين والمشهورين وأشار الإبانة عن معانيها الباقية قليل الاحتفال بكثيره ومغموره
بمشهوره وقد اجتهدت في ذلك ما بدأت بتفسير ديوان أبي محجن وصنعته صنعة ترضاها
وأنا أتبعه بما يتيسر من دواوينهم واحدًا واحدًا حتى آتي على آخرها إن شاء الله تعالى
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمة الله عليه هو أبو محجن بن حبيب بن عمرو
ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وكان شاعرًا شريفًا فمن قوله أبياته
القافية على كل شعر فيه معناها وهي قوله

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته • وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي

قال الشيخ رحمه الله إنه خاطب امرأته وكان من عادة العرب أن يخاطبوا نساءهم
فتأبى همّا إذا حضروا لو غابوا خليليهما إذا نأسوا الأيام لا يعاقر منهم أقل من ثلاثة
ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الحنظلي لا تسألي عن جل مالي واسألي حسبي وخيري
وأخذ ما أخرجناه بيتًا آخر فقال لا تسألي الناس عن مالي وكثرته قد يقتر المرء يومًا وهو محمود

قد يعلم القوم أني من سراتهم • إذا سما بصر الرعديدة الفرق

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله سراة القوم خيارهم واحدهم سري والسراة أيضًا على الشيء
والجمع السروات ويقال هو من سروات القوم أي من أعاليهم وسادتهم قال الشاعر
من السروات والرهط الكرام والرعديدة الجبان ويسمى رعديدة لأنه إذا رأى الحرب أرعد
ودخول الهاء فيها على المبالغة والفرق الفزع ورجل فرق وفروقة كثير الفرق ومعناه
شخص من الفزع وهو أن يبقى مبهوتًا وهو من قوله تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار جعل نفسه
من خيار القوم في الحروب وخيارهم الثابتون عند الهزيمة الصابرون على مرارة الحرب ومجاهتهم
في اللقاء ولو قال إنا نصبر وثباتنا إذا استبان اتباع الصبور لكان أجود وأبلغ

أعطي السنان غداة الروع نحلته • وعامل الرمح أرويه من العلق

أنحل البلد أن يعطي الرجل الرجل ناقة فينتفع بما فيها ثم يردها ثم هي على عطية وجعل
أبو محجن ما نال السنان من الدم نحلة وروي حصته ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم فلان يروي
هذه

صفحة المقدمة من النسخة « ش »

وأمنع جار البيت مما ينوبه وأكرم أضيافا فأقراها

طروقهن

الوقاء ما صنا جمع والمعوذ التي تجربت من الضرع

وأجل عن شدة المكان من قرع القنا ويقول أي أشرب

مع ... الحال والحنيفة النسب ... المخافة

كأنه يشرب الخمر ... فتناها

عند ... بها والطرون الأشيار ...

تم شعر أبي محجن بأسره والحمد لله وحده

كتبه ياقوت المستعصمي في شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة

حامدا لله تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله وصحبه ومسلما

الصفحة الأخيرة من نسخة «آيا صوفيا» : «ي / ١».

وعندي على شرب العقار حبيطة ... إذا ما نساء الحي ضاق خلوفها
وأغفل عن بيت المآزر ولهاه مجمعة الأصوات فدجف زيفها
وأمنع جار البيت مما يسوءه وأكرم أضيافا قراها هزوفها

...

تم شعر أبي محجن بأسره والحمد لله وحده
وكتبه محمد محمود بن التلاميد لطف الله به
ثم وقفه على عصبته بعده وقفا مؤبدا فمن بدله فإثمه
يليه إن شاء الله تعالى
ديوان شعر الجاذرة واسمه قطبة بن أوس
رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد بن سيف في شهر رمضان سنة خمس وستين وثلثمائة ... أبو عبد الله محمد بن العباس ابن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي إملاء من لفظه في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلثمائة قال قرأت على عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخي الأصمعي قال قرأته على عمي الأصمعي قال الجاذرة واسمه قطبة بن أوس بن محصن ابن جرول بن حبيب بن عبد العزى بن خزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة ابن ذبيان وإنما سمي الجاذرة لقول زبان بن سيار الفزاري له

كأنك جاذرة المنكبين ضيعاء تنفض في حاجر

جاذرة المنكبين أي ضخمة المنكبين يقال رجل جاذر المنكبين وكل ضخم جاذر ... أي غليظ ... جذور أي آثار ويقال جذر أثر الشوك ... والنفض ... يقال انفض الضفدع ينفض انفاضا وانفض العقرب ... وانفضت الحبرة ... وأنشد ...

عجوز ضفادع مجهوبة يطوف بها صبية الحاضر

... وأجابه الجاذرة فقال
لحى الله زبان من شاعر أخي خنعة غادر فاجر

الخنعة ...

كأنك فقاحة نورت مع الصبح في طرف الحاجر

الصفحة الأخيرة من النسخة « ش ».

حاملها والنزع ع تاجر مثل صحب وصاحب
وعندي على شرب العقار حفيظة اذا ما نسا، الحي ضاحلوبتها
وأعجلن عن شد المآزر ولَّهاً مجمعة الأصوات قد جف ريقها
وامنح جان البيت مما ينوبه وأكرم أضيافاً قراها طروقها
الولّه هاهنا جمع والهة وهي التي تحيرت من الفزع
وأعجلن عن شد المآزر من فزع الغارة يقول
أني أشرب على هذه الحال والحفيظة الغضب وهي
هنا المحافظة على شرب الخمر وقال قراها طروقها
أي قربناها عند طروقها والطروق الأتيان
ليلاً تم شعر أبي محجن بأسره والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه
وسلم
بقلم الفقير
مصطفى
الإمام
الذ...



الصفحة الأخيرة من النسخة « ص » .

بطون ثقيف
وأشهر رجالها في الجاهلية والإسلام

- ثقيف (قسي)
  - عوف
    - غيرة
      - عبد العزى — أبو سلمة — عمرو (علاج) — عمرو — كلدة — الحارث
      - عقدة — عوف
        - ربيعة — أبو الصلت — أمية
        - عمير — عمرو
          - عبد ياليل — كنانة
          - حبيب
            - أبو محجن
              - عبيد
              - علي ؟ — عبد الله ؟
            - قيس
          - ربيعة — حبيب — أبو الحكم
          - مسعود
            - أبو عبيد
              - جبر
              - المختار
            - الحكم — جبر
            - عبد الله
            - سعد
          - هلال
    - سعد — عمرو — كعب — مالك — معتب
      - مسعود
        - أبو عامر — شعبة — المغيرة
        - عروة
      - سلمة — غيلان
      - عامر — مسعود — أبو عقيل — الحكم — يوسف — الحجاج
  - جشم — حطيط — مالك
    - يسار — أبان — همام — عبد الله — عبد دهمان — بشر — أبو العاص — عثمان
    - سالم — سفيان — جابر — عوف — الأقرع — السائب
    - الحارث

- ١ -

أبو محجن الثقفي

حياته - دراسة شعره

الفصل الأول

الطائف وثقيف : في الجاهلية والإسلام

في الجاهلية

ينتسب أبو محجن إلى « ثقيف » ، القبيلة العربية المشهورة ، التي كانت لها السيادة في الطائف قبل ظهور الإسلام بزمن بعيد .

ومدينة الطائف من أقدم مدن الحجاز(١) ، إذ كانت في أيام العرب البائدة مقراً للعمالقة قبل ثمود . وقد عرفت قديماً باسم « وَجّ » ، وهو وَجّ بن عبد الحيّ ، أحد أولئك العمالقة الذين سكنوها(٢) ثم سكنها بعد العمالقة : بنو عَدوان ، حتى غلبهم عليها بنو ثقيف :

يروي المؤرخون أن قَسيّ بن منبّه قدم من وادي القرى إلى بلاد وج — وهي الطائف — حيث تقيم قبيلة عَدْوان ، مصطحباً معه عيداناً من الكرمة . واستقر مقامه في وَجّ بعد أن صاهر عامر بن الظَّرِب ، زعيم عَدوان ، وغرس ما كان معه من قضبان الكرمة ، وكثرت ذريته . فلما أثمرت القضبان قال الناس : « ... كيف ثقف هذه

---

(١) الحجاز : بلاد في الجزيرة العربية تحجز بين مرتفعات نجد والسهول المنخفضة الواقعة على الساحل المسمى تهامة .

(٢) فتوح البلدان ١ / ١٦٦ « منجد » ، ومعجم البلدان « الطائف » .

العيدان حتى جاء منها ما جاء ؟ » فسمي قَسيّ ثقيفاً من يومئذ(١) ، وكان هذا أصلَ أعناب الطائف(٢) .

وأصبحت وَجّ بعد ذلك مقراً لثلاث فئات متجاورة ، هي : ثقيف ، وعَدوان وبنو عامر بن صعصعة أصهار عدوان أيضاً . ثمّ وقعت حرب بين عدوان أنفسهم ، فتفرقت جماعتهم ، فطمعت فيهم بنو عامر وأخرجتهم من وجّ ، وعرَفت ثقيف فضل وَجّ، فأقنعت بني عامر بتركها إلى المراعي، على أن تشاطرهم الأعناب والثمار اقاءحقـّهم فيها ، فقبل بنو عامر بذلك ، وآلت وَجّ إلى ثقيف التي أحسنت عمارتها وملأتها جناناً . فلبثوا على ذلك زماناً من دهرهم حتى كثرت ثقيف وزادت قوتها ، فبنت حول وَجّ سوراً يطيف بها ويحصّنها ، وامتنعت من بني عامر ، فقاتلهم هؤلاء فلم يقدروا عليهم . ومنذ ذلك الوقت سميت وج بالطائف(٣) .

وأصبحت السيادة ، بعد ، لثقيف في الطائف . ثم انتسبوا إلى قيس ، فقالوا : « قَسِيّ (أو ثَقيف) بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصفة ابن قيس بن عَيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان »(٤) .

وثبتت طائفة منهم على نسبهم إلى إياد بن نزار ، فقالوا :

« قَسيّ بن منبه بن منصور بن يَقدم بن أفصى بن إياد بن نزار بن معـدّ بن عدنان »(٥) .

وبعض النسابين يذهبون إلى أن ثَقيفاً كان عبداً للنبي صالح ، فهرب منه واستوطن الحرم . وقيل أيضاً : إن ثقيفاً هو من بقايا ثمود ، انتمى إلى قيس . كما تذهب رواية

---

(١) معجم ما استعجم ١ / ٦٤ ومعجم البلدان « الطائف » .

(٢) الروض الأنف ٧ / ٢٦٤ .

(٣) معجم ما استعجم ١ / ٧٦ وهناك أقوال أخر في سبب تسمية وج بالطائف ، ذكرها ياقوت في رسم « الطائف » .

(٤) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٦٩ والمعارف ٤١ والأغاني ٤ / ٣٠٤ ومعجم ما استعجم ١ / ٧٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨ .

(٥) الإنباه على قبائل الرواة ٨٩ وفي هذا النسب نفسه خلاف . انظر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦ ومعجم المرزباني ٢٢١ .

أخرى إلى أن ثقيفاً هذا هو عين أبي رغال الذي أرشد جيش أبرهة الحبشي إلى مكة . وقبره على الطريق بين الطائف ومكة ، وقد اعتاد الناس رجمه بالحجارة(١) .

ومن هنا تبدو لنا صحة ما قاله ابن عبد البر(٢) : « وفي ثقيف وأصلها أخبار يطول ذكرها... وهي آثار كلها ضعيفة الأسانيد، لا يقوم بشيء منها حجة » . وقال المرزباني(٣) : « ونسبهم غامض على شرفهم » . وقد روي عن النبي (ص) أنه قال ، وقد ذكرت القبائل عنده : « قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب : حمير من تبّع ، وجرهم من عاد ، وثقيف من ثمود »(٤) .

أما مدينة الطائف ، موطن ثقيف ، فموقعها إلى الجنوب الشرقي من مكة ، من جهة الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، « على مسيرة ثلاثة أيام منها ، على الرفق والتؤدة »(٥) ولا تزيد هذه المسافة بينهما على اثني عشر فرسخاً(٦) ، وتقدر بمئة وعشرين كيلومتراً على وجه التقريب(٧) .

وترتفع الطائف عن سطح البحر حوالي ألف وستمائة متر(٨) ، وتحيط بها منطقة صحراوية واسعة ، تتخللها أكثبة وآكام خصيبة ، ووديان متسعة ، وسفوح ممتدة مع الهضاب ، وفيها جبل رحب الجوانب يدعى جبل غزوان ، وفي أعلى وادٍ من ودیانه كانت تربض الطائف(٩) .

والطائف ذات إقليم متباعد الأطراف ، كثير القرى ، ومنطقتها خصيبة ، ذات نخيل وأعناب ، ومزارع وبساتين تضمّ ألوان الفاكهة ، وتسقيها العيون والآبار ، حتى

---

(١) الإنباه : ٩٠ ، ٩١ والأغاني ٤ / ٣٠٤ والعقد الثمين ١ / ٢٦٤ .

(٢) الإنباه : ٩١ ، ٩٢ .

(٣) معجم الشعراء ٢٢١ .

(٤) الأغاني ٤ / ٣٠٨ .

(٥) رحلة ابن جبير ١٠١ .

(٦) معجم البلدان « الطائف » .

(٧) مجلة العربي — العدد ٧٠ والموسوعة الميسرة ١١٤٩ .

(٨) الارتسامات اللطاف ١٢٤ وفي الموسوعة الميسرة ١٥٠٠ م .

(٩) معجم البلدان — « الطائف » ومراصد الاطلاع ٢ / ٨٧٧ . أما موقع الطائف اليوم فهو قريب من موقعها القديم . انظر « ما رأيت وما سمعت » ٧٣ وفي منزل الوحي ٣٤٩ .

وصفت بأنها بقعة اقتطعت من الشام ، يضاف إلى ذلك طيب هوائها واعتدال جوّها(١) . وقد أجمع على ذلك كل من تحدث عن الطائف أو زارها . نقل عن الأصمعي أنه قال : « دخلنا الطائف فكأني كنت أبشّر ، وكأنّ قلبي ينضح بالسرور ، وما أجد لذلك علة إلا انفساح جوها ، وطيب نسيمها »(٢) .

فلا عجب إذاً أن تكثر خيرات الطائف من الزروع والفواكه والكروم التي انفردت بأضرب من العنب الطائفيّ العذب ، وتبع ذلك كثرة معاصر الخمرة ، والزبيب الذي ضرب بحسنه المثل ، وكانت تصدر منه غلاّت عظيمة ، ويحمل من الطائف فينبذ في السقاية للحاجّ(٣) .

فجدير بالطائف – وهذه حالها – أن تكون مصيفاً لأهل الحجاز ولا سيما أشراف مكة الذين اعتادوا أن يقضوا الصيف في الطائف ، والشتاء في مكة ، والربيع في جدّة(٤) ، حتى قال النُّميري في زينب أخت الحجاج :

تشتو بمكةَ نَعمةً ومَصيفها بالطائفِ(٥)

وإلى ذلك كله حظيت الطائف بمكانة اقتصادية رفيعة ، تنمّ عن ازدهار ونعيم ورفاهية ، بسطت ظلالها الوارفة على تلك المدينة التي كانت ، فيما مضى ، أحد أبواب الحجاز التجارية الكبرى ، اذ كان يمر بها طريق القوافل الممتد من جنوب البلاد العربية إلى شمالها ، ومن العراق إلى اليمن(٦) .

ومما زاد موقع المدينة رفعةً : وقوع سوق عكاظ على مقربة منها ، وهي من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ، وفيها كانت القبائل تجتمع كل سنة في أول ذي القعدة ، لمختلف شؤونها التجارية والمعاشية والأدبية ، ثم يتفرقون بعد عشرين يوماً متجهين إلى مكة ، فيقضون مناسك الحج ، ويرجعون إلى أوطانهم(٧) .

---

(١) معجم البلدان « الطائف » وتقويم البلدان ٩٥ .
(٢) العقد الفريد ٦ / ٢٥١ .
(٣) فتوح البلدان ١ / ٦٦ وتقويم البلدان ٩٥ .
(٤) انظر معجم البلدان « الطائف » .
(٥) الأغاني ٦ / ١٩٤ والنميري : هو محمد بن عبد الله النميري الثقفي ، من شعراء الدولة الأموية .
(٦) ما رأيت وما سمعت ٤٦ ومجلة المعرفة « المترجمة » : العدد ١٠٦ ص ١٦٨١ .
(٧) سبائك الذهب ١٢٠ .

وصلة مكة بالطائف وما حولها لا تقتصر على أمر عكاظ ، وإنما هي صلة متشابكة الأطراف : فقد كان أثرياء مكة يمتلكون القرى والبساتين والكروم في منطقة الطائف التي تمدّ مكة بالفواكه[1] . كما توثقت أسباب المصاهرة بين أشراف المدينتين ، فكان كثير من نساء قريش وبني كنانة متزوجات في ثقيف[2] . وفشا التداين بالرّبا بين هؤلاء وأولئك[3] . وإذا كان لقريش الكعبة وبعض الأصنام ، فقد كان لثقيف اللاّت يضاهئون بها قريشاً[4] .

وقد أدّى ذلك كله إلى أن تُقرن الطائف بمكة فيقال : القريتان . وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى : « وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »[5] .

لا جرم ، بعد هذا ، أن تكون هاتان المدينتان ، الطائف ومكة ، أشبه بفرسي رهان في حلبة سباق ، وأن يبلغ التنافس بينهما – في الميدان التجاري ، أو الديني ، أو الاقتصادي – حداً جعل ثقيفاً تحسد قريشاً في بعض الأحايين ، وتشعر بالغَيرة إزاءها ، لما حازته من مجد وسؤدد لدى العرب ، وما تجنيه من أرباح ثرّة بقدوم الحجاج والتجار سنوياً إلى مكة ، وافدين على الكعبة المعظمة ، مهوى الأفئدة ..

ولا نعجبنّ إذا أضحت ثقيف من أمنع قبائل العرب ، وأعزها جواراً ، وأن تصبح الطائف ملجأ للخائف ، وملعباً للفروسية وفنون القتال . ويشيع ذلك في أبنائها أكثر مما شاع في قريش ، حتى أتقنوا صناعة الدبابات والمجانيق والضُبور[6] ، ونسبت إليهم – في بعض الأقوال – السيوف المشرفية « نسبة إلى مشرف ، وهو رجل من ثقيف[7] » . . ومرد ذلك كله إلى طبيعة موقعهم ، وإحاطة القبائل بهم ، وحسدها إياهم على منزلتهم

---

(١) رحلة ابن جبير ٩٩ ، ١٠١ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٤٨٣ وجمهرة أنساب العرب ٢٦٩ .

(٣) يرجع إلى تفسير البحر المحيط ٢ / ٣٣٧ والإصابة ٣ / ٥٦٧ .

(٤) الأصنام ١٣ ، ١٦ وسيرة ابن هشام ١ / ٤٧ .

(٥) سورة الزخرف ٣١ . انظر تفسير القرطبي ١٦ / ٨٣ والبحر المحيط ٨ / ١٣ .

(٦) جوامع السيرة ٢٤٢ والروض الأنف ٧ / ٢٦٦ . الضبور : جلود يغشى بها خشب ويتقى بها في الحرب عند الانصراف .

(٧) الفروسية في الشعر الجاهلي ١٧١ ولم يذكر المؤلف مصدره في ذلك .

وأراضيهم ، فضربتهم العرب مثلاً في المنعة والتحصين والقوة ، فقال أبو طالب بن عبد المطلب :

منعْنا أرضَنا من كلّ حيٍّ كما امتنعَتْ بطائِفِها ثقيفُ(١)

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قومي ثقيفٌ ، إن سألتَ ، وأسرتي وبهم أدافعُ ركْنَ مَن عاداني
وإذا دعوتهمُ لكلِّ ملمّةٍ سَدّوا شعاع الشمس بالفرسان(٢)

أدى ذلك كله إلى ازدهار في الحياة الاقتصادية والاجتماعية عرفته مدينة الطائف إلى جانب ما تمتعت به من مكانة عسكرية وسياسية وتاريخية ، فعمرت بصنوف النعيم وألوان الترف . وما نقله المؤرخون والباحثون في ذلك يدل على أن أهل الطائف كانوا في جاهليتهم أهل قصف ولهو ، وغنى ويسار ، فقد شاع فيهم الربا والزنى ، وكثر المغنون والقيان ، وكان في الطائف دار خاصة للبغاء في محلة يقال لها : حارة البغايا(٣) . ولذلك شرط عليهم النبي (ص) عندما أسلموا ألاّ يربوا ، ولا يزنوا ، ولا يشربوا الخمر(٤) .

وكانت الطائف إحدى حواضر العرب التي ظهر فيها أصل الغناء ، وفشا معدنه، شأنها في ذلك شأن المدينة وخيبر واليمامة وغيرها من مجامع أسواق العرب ، التي أصبحت مستراداً خصباً لوفود القبائل ، ينمو فيها الغناء وينتشر ، وتكثر فيها القيان ، إلى جانب الرقيق والإماء(٥) .

وقد بدا أثر ذلك في شباب الطائف وشعرائها العابثين من سراة القوم ، الذين كانوا يمضون بعض أوقاتهم في الحانات والمواخير التي كانت هذه المدينة تعجّ بها ، أو في مجالس اللهو التي يعقدها السادة الأشراف يستمعون إلى غناء القيان ، وهكذا قامت لذاذات الناس في ذلك المجتمع على دعامات ثلاث : المرأة ، والخمر ، والغناء . وقد جلّى لنا أبو محجن الثقفي تلك الدعامات في مثل قوله :

---

(١) معجم البلدان « الطائف ».
(٢) ديوانه ٦٨ .
(٣) المروج ٣ / ٦ .
(٤) فتوح البلدان ١ / ٦٦ وزاد المعاد ٢ / ١٩٨ و ٣ / ٢٦ ، ٢٨ .
(٥) القيان والغناء ١٢٢ .

فقد أُباكرها رِيّاً ، وأشربهُــا صِرفاً ، وأطرب أحياناً فأمتزجْ
وقد تقوم على رأسي مغنّيــهٌ فيها ، إذا رفَعت من صوتها ، غُنج

أما سكان الطائف فقد كانوا فئات مختلفة ، تتفاوت قلة وكثرة ، إذ لم تكن هذه المدينة مستقراً لثقيف كلها ، ولا كان أهلها جميعاً من الثقفيين ، وإن كان جلهم من هذه القبيلة . ففيهم جماعات من حِمير ، وبني شَبابة ، .. وقلّة من قريش ، وهذيل وهوازن(١) وكان فيها قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب ، فأقاموا بالطائف للتجارة(٢) وربما اختلط بهم عدد يسير من الأحباش ، بعضهم تزوجوا في الطائف نفسها ، وبعضهم من القيان والمغنيات(٣) .

وأشهر بطون ثقيف فرقتان :

١ ــ بنو مالك بن حُطيط بن جُشَم بن قَسيّ بن منبّه . ومنهم السائب بن الأقرع(٤) .

٢ ــ الأحلاف : وهم بنو سعد وغِيَرةَ ، ابني عوف بن قَسيّ بن منبّه ، ومنهم أبو محجن الثقفي ، وسمّوا بالأحلاف لأنهم تحالفوا على بني مالك(٥) .

---

(١) معجم البلدان : « الطائف » .
(٢) فتوح البلدان ١ / ٦٦
(٣) انظر المحبر : ٣٠٦ والاشتقاق ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ والأنساب ١١٥ / ٢ .
(٤) أدرك النبي « ص » غلاماً ، وكان له في فتوح العراق أيام عمر أثر جلي ، جندياً وقائداً ، استعمله عمر على المدائن ، ثم ولي أصبهان ومات بها ـ تاريخ خليفة ١ / ١٢٤ ، والإصابة ٢ / ٨ .
(٥) المعارف ٤١ وجمهرة أنساب العرب ٤٦٨ .

في الإسلام

ذلك كان شأن ثقيف والطائف في أيام الجاهلية ، وفي تلك البيئة نشأ أبو محجن ، وبها تأثر .. حتى بزغت شمس الإسلام ببعثة النبي العربي ، صلى الله عليه وسلم ، فراح يدعو إلى الدين الجديد ، صادعاً بما أُمِر ، ومنذراً عشيرته الأقربين في مكة ، وعضده في هذا العناء : عمه أبو طالب الذي كان له حرزاً وناصراً ، وزوجته خديجة التي كانت له وزير صدق . ولكن موتهما في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، كان مصيبة فاجعة ، ورزءاً فادحاً ، دفع قريشاً إلى أن تنال من الرسول (ص) ما لم تكن تناله في حياة عمه ولا تطمع فيه(١) .

أراد عليه السلام أن ينأى بنفسه عن مواطن العنَت والأذى ، ويبحث عن أرض أطيب يغرس فيها بذور الدعوة ، فيمّم وجهه شطر الطائف في أواخر شوال سنة عشرٍ من نزول الوحي ، وكان أول ما فعله أن عمد إلى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم — وفيهم والد أبي محجن وأعمامه — فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله .. ولكنهم أصمّوا عنه آذانهم ، وأغلقوا في وجهه أبوابهم ، ولم يكتفوا بما فعلوا ، بل أغروا به سفهاءهم وصبيانهم .. حتى آب إلى مكة محزوناً وقد يئس من خير ثقيف ، إذ لم يستجب له رجل واحد ، ولا امرأة(٢) .

وكانت بعد ذلك بيعتا العقبة ، فالهجرة إلى المدينة .. ثم سار الإسلام يشقّ طريقه يوماً بعد يوم .. حتى فتحت مكة في رمضان سنة ثمانٍ للهجرة ، وبهذا الفتح كان النصر المبين ، وتداعت سلطة قريش ، وتدافع الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ومنهم نفر من بني ثقيف ، فسبّح النبي (ص) بحمد ربّه واستغفره .

وكانت هوازن وثقيف من أقوى القبائل التي لبثت على الشرك . وقد خشي هؤلاء أن تدور عليهم الدائرة ، وأن يقتحم المسلمون عليهم منازلهم ، فأرادوا اتّقاء الخطر ..

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٤١ وسيرة ابن هشام ١ / ٤١٩ .

(٢) الطبقات أيضاً ١ / ١٤٢ وسيرة ابن هشام ١ / ٤١٩ ونهاية الأرب ١٦ / ٢٨٠ .

وتجمعوا مع بعض القبائل ، وفي نيتهم مباغتة المسلمين في مكة ، وأوكلوا قيادتهم إلى مالك بن عوف النصري(١) . إلا أن رسول الله نهد إليهم في شوال سنة ثمان ، وفي حنين — بين مكة والطائف — دارت معركة حاسمة انتهت بهزيمة المشركين(٢) .

وقدم فَلُّ ثقيف ، ومن انضم إليهم من بعض المنهزمين ، إلى الطائف . وفيهم مالك بن عوف ، وأغلقوا عليهم أبواب المدينة ، واستعدوا للقتال بعد أن جمعوا ما يحتاجون إليه من الميرة والمؤن(٣) .

وما لبث رسول الله أن سار إلى الطائف وحاصرها بضع عشرة ليلة من ذي القعدة ، أو بضعاً وعشرين، ورمى أهلها بالمنجنيق . كما زحف نفر من الصحابـة ، بدبابة أو بدبابتين ، على سور الطائف ، إلا أن الثقفيين رموهم بالحجارة والنبال ، وألقوا عليهم سكاك الحديد المحماة بالنار ، فقتلوا عدداً منهم . فأمر عليه السلام بقطع أعناب ثقيف ونخيلهم .... فعزّ ذلك عليهم ، وسألوه أن يدعها لله وللرّحِم ، فاستجاب لهم وأمر أصحابه بالكف عنها . ثم آثر أن يرحل عن الطائف تاركاً أمر استسلامها إلى الزمن ، بل إنه تركها إلى حصار أطول وأشد ، إذ أصبحت ثقيف في عزلة عن سائر العرب حولها ، بعد أن أسلموا جميعاً وأصبحوا يناصبونها العداء ، وفيهم من أسلم من الثقفيين أنفسهم(٤)

على أن مالك بن عوف ما عتّم أن قدم على النبي (ص) في المدينة معلناً إسلامه ، فاستعمله على من أسلم من قومه وعلى ثُمالة وفَهْم وسَلِمة ، فكان يغاور بهم ثقيفاً ويغزو بلادهم ، لا يخرج لهم سَرْح إلا أغار عليه ، حتى ضيّق عليهم(٥) ، وشعروا بعجزهم إزاء وطأة هذا الحصار الذي تتابع أشهراً ، ورأوا أفراداً منهم يقدمون على الرسول مسلمين . فخافوا أن يعود إليهم ثانية ويجدد حصارهم .

عندئذ أجمعوا رأيهم على الدخول في الإسلام .. فأرسلوا وفداً من ستة رجال

---

(١) من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومن شعراء الصحابة . أسلم بعد حنين فرد إليه الرسول « ص » أهله وماله ، وحسن إسلامه ـ الاستيعاب ٣ / ١٣٥٦ .

(٢) جوامع السيرة ٢٣٦ وتاريخ خليفة بن خياط ١ / ١ ٥ والمختصر لأبي الفداء ١ / ١٤٦ .

(٣) الطبري ٣ / ٨١ وابن الأثير ٢ / ١٧٦ .

(٤) خبر حصار الطائف مفصل في طبقات ابن سعد ٢ / ١١٤ وسيرة ابن هشام ٢ / ٤٧٨ والمغازي ٣ / ٩٢٣ والطبري ٣ / ٨٢ والعقد الثمين ١ / ٢٦٤.

(٥) الطبقات ١ / ٥٣ والمغازي ٣ / ٩٥٤ والطبري ٣ / ٨٨.

على رأسهم عم أبي محجن الثقفي : **عبد ياليل بن عمرو** ، وقدم هذا الوفد على رسول الله في رمضان من السنة التاسعة للهجرة معلناً إسلام ثقيف وبيعتها له فأقرهم الرسول على ما في أيديهم من الأموال ، واشترط عليهم ألاّ يربوا، ولا يزنوا ولا يشربوا الخمر. وكتب لهم كتاباً بذلك ، ثم توجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعد أن استعمل النبي عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي(١) . وكان الثقفيون بعد وفاة النبي عليه السلام من أثبت الثابتين على الإسلام حتى قال المغيرة بن شعبة الثقفي(٢) : « .. فلا أعلم قوماً من العرب — بني أبٍ ولا قبيلة — كانوا أصح إسلاماً ، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم » . وقد تجلى ذلك أيام الردّة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١١ هـ ، إذ لبّت ثقيف دعوة الجهاد التي أطلقها الخليفة الأول، واشتركت في الحملات التي توالت لقتال المرتدين، بعد أن اقتصر الإسلام على فئات أربع : ثقيف ، وعبد القيس ، وأهل مكة والمدينة . وارتد سائر العرب(٣) .

وكان بعد ذلك « من ثقيف خلق كثير : من الصحابة والتابعين والخالفين ، من العلماء والأمراء والفرسان والشعراء ، وعامتهم كانوا من الطائف ، ثم انتشروا في البلاد »(٤) . وقد نبغ من هؤلاء وأولئك جموع غفيرة في ميادين الحرب والاقتصاد والسياسة ، والطب ، والإدارة والخطابة ، والأدب ، والشعر ، والقيادة ، والدهاء ، على الرغم من تهاون المؤرخين القدامى في الاهتمام بثقيف والطائف ، مما أضاع على المعاصرين تراجم كثير من أبناء هذه القبيلة .

---

(١) تفصيل إسلام ثقيف في سيرة ابن هشام ٢ / ٥٣٨ والطبري ٣ / ٩٨ . ويقال إن رئيس الوفد كنانة ابن عبد ياليل أو أخوه مسعود — « أسد الغابة ٣ / ٥١٢ والإصابة ٢ / ٤٣٤ » . وقد اختلف في عدد أفراد الوفد ، كما سيأتي عند الكلام على إسلام أبي محجن .

(٢) طبقات ابن سعد ١ / ٥٤ والمغيرة : أحد دهاة العرب من الصحابة اشترك في الفتوح أيام عمر ، وولي له البصرة ثم الكوفة إلى أيام عثمان . ولحق بمعاوية في خلافته فولاه الكوفة أيضاً ومات سنة ٥٠ هـ — الاستيعاب ٤ / ١٤٤٥ .

(٣) المختار الثقفي ١٤ وقادة فتح الشام ومصر ٣٣١ .

(٤) عجالة المبتدي ٣٥ .

ففي السياسة والحنكة والإدارة : تتردد أسماء المغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف(١) عضد الدولة الأموية ، ..

ونبغ في الطبّ : الحارث بن كلدة الثقفي(٢) .

وفي **ميدان الفروسية والفتوح** : حسبك بعامر بن غيلان بن سلمة ، وأبي عبيد ابن مسعود ، ومحمد بن القاسم(٣) .

أما في الشعر فقد سمعنا بغيلان بن سلمة ، وأبي محجن ، وطريح بن إسماعيل(٤) . وغيرهم . ومكانة ثقيف في الشعر بين القبائل تأتي الثالثة ، فقد قال أبو عبيدة(٥) . « **اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر** : أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف » .

ولكن الشعر في ثقيف قليل بالقياس إلى القبائل الأخرى . وقد علل ذلك ابن سلام(٦) بقلة الحروب والغارات التي أسهمت فيها ثقيف ، وإقامة هذه القبيلة في مكان ناءٍ من الجزيرة العربية .

وللثقفيين نصيب في رواية الأحاديث النبوية ، فقد روى عن النبي (ص) من ثقيف جماعة ، منهم : المغيرة بن شعبة ، وعثمان بن أبي العاص ، وغيلان بن سلمة

---

(١) سبقت ترجمة المغيرة . وأما زياد : فهو أحد دهاة العرب وخطبائهم المعدودين ، ليست له صحبة ولا رواية . استلحقه معاوية وولاه العراقين إلى أن توفي بالكوفة سنة ٥٣ . ـ الاستيعاب ٢ / ٥٢٣ . وأما **الحجاج** : فهو باني واسط ، بين الكوفة والبصرة ، كان قائداً داهية ، وسفاكاً سفاحاً ، وخطيباً مصقعاً . اعتمد عليه عبد الملك بن مروان في قمع ثورة ابن الزبير في الحجاز ، ثم ولاه العراق . ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥ هـ ـ وفيات الأعيان ٢/ ٢٩ .

(٢) الحارث : طبيب العرب في عصره ، وأحد الحكماء المشهورين ـ المؤتلف ٢٦١ .

(٣) عامر بن غيلان ، فارس ثقيف ، أسلم قبل أبيه وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس ، وأبوه يومئذ حي.ـ « الاستيعاب ٢ / ٧٨٦ ». وأبو عبيد: صاحب يوم الجسر لعهد الفاروق ويومئذ قتل ١٣ هـ. « الاستيعاب ٤ / ١٧٠٩ » . ومحمد بن القاسم : فاتح السند وواليها ، من كبار القادة ومن رجال الدهر في العصر الأموي مات في أيام سليمان بن عبد الملك ـ فتوح البلدان ٣ / ٥٣٤ .

(٤) غيلان بن سلمة أحد وجوه ثقيف ومقدميهم وشعرائهم . كان من وفد على كسرى ، وتوفي في آخر خلافة عمر. « الاستيعاب ٣ / ١٢٥٦ » . وطريح الثقفي : شاعر الوليد بن يزيد الأموي وأكثر شعر في مدحه وهو من مخضرمي الدولتين . ـ الأغاني ٤ / ٣٠٤ .

(٥) الأغاني ٤ / ١٢٥ .

(٦) طبقات فحول الشعراء ٢١٧ .

وأبو محجن(١) وغيرهم كثير . كما وفد عدد من نساء ثقيف على رسول الله وروين عنه بعض الأحاديث ، كالفارعة بنت أبي الصلت(٢) ، ورقيقة بنت وهب(٣) .

ذلك كله يدل أبلغ الدلالة على ما ارتفعت إليه ثقيف من درجات الشهرة والمكانة المكينة في الإسلام ، بالقياس إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، زد على ذلك أمراً آخر يرتبط بلغة هذه القبيلة المضرية ومنزلتها في رسم القرآن ، ولغاته ، وجمعه ، وكتابته . فقد نقل السيوطي عن ابن عباس قوله : « نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العَجُز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم : عليا هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها : سعد بن بكر ، وجُشَم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف »(٤) .

ثم قال السيوطي(٥) « ... وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف. وقال عثمان : « اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف » .

وهكذا لا تذكر مأثرة طيبة إلا وجدت للثقفيين فيها أوفى نصيب ، ولا تمتد أفنية المكارم إلا راعك منهم المجلّي والمصلّي، حتى تنوعت الميادين التي فيها يُسلكون والفضائل التي عنها يَصدرون . وما ذلك بغريب من قبيلة تأثلت في أفرادها حظوظ وافرة من الفطنة النادرة ، والعبقرية الفذة ، والموهبة الكامنة التي تقوم على ركيزة من العقل والمقدرة حتى شاع ذلك عنها بين القبائل . وآية ذلك أن عُيينة بن حصن الفزاري(٦) انضم إلى جيش المسلمين في حصار الطائف لا ليقاتل ثقيفاً ، بل لأنه كان يأمل أن يتم فتح الطائف للنبي (ص) فيصيب هو جارية من ثقيف ، يتبطّنها لعلّها تلد له رجلاً ، لأن ثقيفاً — كما يقول عيينة — قوم مناكير ، أي ذوو دهاء وفطنة(٧) .

ومثل ذلك ما روي عن النبي الكريم أنه قال لرجل من ثقيف : ما المروّة فيكم ؟ قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلةُ الرحم . فقال النبي (ص) : كذلك هي فينا »(٨).

---

(١) الإنباه على قبائل الرواة ٩٢ .

(٢) الفارعة: أخت أمية بن أبي الصلت، وكانت ذات لب وعفاف، تحفظ شعر أخيها – الإصابة ٣٦٤/٤ .

(٣) أسلمت رقيقة حين خرج النبي « ص » إلى الطائف أول مرة وكتمت إسلامها حتى ماتت قبل فتح الطائف – الإصابة ٤ / ٢٩٦ .

(٤) المزهر ١ / ٢١٠

(٥) نفسه ١ / ٢١١ .

(٦) من المؤلفة قلوبهم ، شهد الفتح مسلماً ، وكان من الأعراب الجفاة – « الاستيعاب ٣ / ١٢٤٩ » .

(٧) الطبري ٣ / ٨٥ وابن الأثير ٢ / ١٧٧ . وفي سيرة ابن هشام ٢ / ٤٨٥ : " يطؤها " بدل " يتبطنها " .

(٨) الموشى ٥١ .

الفصل الثاني

حياة أبي محجن الثقفي

نسبه وأسرته

هو أبو محجن بن حَبيب بن عَمرو بن عُمير بن عوف بن عقدة بن غِيَرة بن عَوف بن ثقيف(١) . أما اسمه ففيه أقوال :

سماه بعضهم عَمراً(٢) ، وآخرون عبدَ الله(٣) ، وقيل : إنه مالك(٤) . وفيهم من ذهب إلى أن اسمه كنيته(٥) .

أمّا أسرة أبي محجن فيكتنفها الشرف والسيادة والثراء من أطرافها كافة ، وهو القائل :

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٢٦٧ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٩ والعقد الثمين ٨ / ٨٦

(٢) كنى الشعراء « نوادر المخطوطات ٧ / ٢٨٤ » والإصابة ٤ / ١٧٣ ونهاية الأرب ٤ / ٩٠

(٣) الأغاني ١٨ / ٢٨٩ والحماسة البصرية ١ / ٩ والتوابين ١٣٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ ومنتهى أمل الأريب ٤٢ / أ .

(٤) الإصابة ٤ / ١٧٣ والتوابين ١٣٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ ومنتهى أمل الأريب ٤٢ / أ .

(٥) طبقات ابن سلام ٢١٧ ، ٢٢٥ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٣٧٧ والاشتقاق ٣٠٤ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨ والتوابين ١٣٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ ومنتهى أمل الأريب ٤٢ / أ . هذا وقد انفرد الآمدي وابن الشجري بتسميته « حبيب بن عمرو » في المؤتلف ١٣٣ والحماسة ١ / ١٧٤ ، كما سماه الحصري « عروة بن حبيب » في جمع الجواهر ٨٣ وكلاهما لا يعول عليه لسقوط اسم الشاعر في الأول قبل اسم أبيه وتحريفه في الثاني عن « عمرو » .

قد يعلم الناسُ أنّا من سَراتِهِمُ إذا سما بَصرَ الرِّعديدةِ الفَرَقِ

فأمه : كَنُود بنت عبد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(1) ، فهي قرشية النسب أمويّته ، وهي أيضاً ابنة خال أمية بن أبي الصلت ، الشاعر الثقفي المشهور(2) .

أما أبوه حبيب فمن سادة ثقيف ورجالها البارزين «وكان ممن عظم قدره في السنّ والجاه وكثرة المال »(3) ، وهو أحد الرجلين اللذين أشارت إليهما الآية في قوله تعالى : « وقالوا لولا نُزّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم »(4). وقد أسلم حبيب بعد قدوم وفد ثقيف على رسول الله (ص) ، إلا أن ابن الأثير شكّ في صحبته(5) ولعلّ هذا ما حمل ابن عبد البر ، من قبل ، على أن يغفل ذكره في « الاستيعاب » .

وقد عرفنا من أبناء حبيب اثنين : أبا محجن ، وقيساً الذي قتل يوم الجسر سنة ١٣ هـ(6) .

كما وقفنا على أسماء أربعة من إخوة حبيب ، **أعمام أبي محجن** ، وهم :

١ ــ **عبد ياليل بن عمرو** : كان وجهاً من وجوه ثقيف ، وهو الذي رأس وفد قومه إلى النبي (ص) لإعلان البيعة والإسلام . وقد جعله الميداني أحد مطاعيم الريح الذين يُضرب بهم المثل : « أقرى من مطاعيم الريح » ، كانوا إذا هبّت الصَّبا أطعموا الناس . وخصّوا الصَّبا لأنها لا تهبّ إلا في جَدب(7) .

٢ ــ **مسعود بن عمرو** : ويدعى أيضاً (عبد كُلال)(8) . ذكره ابن حجر ، وأشار

---

(1) جمهرة أنساب العرب ٢٦٩ .

(2) نشأ أمية في الطائف ، ثم رحل إلى دمشق فالبحرين ، وكان حكيماً مطلعاً على الكتب القديمة . وشعره ذو نزعة حنيفية . مات في الطائف سنة ٥ هـ على الشرك ــ الخزانة ١ / ١١٩ .

(3) تفسير البحر المحيط ٨ / ١٣ .

(4) الزخرف ٣١ . انظر تفسير القرطبي ١٦ / ٨٢ . والبحر المحيط ٨ / ١٣ والإصابة ٢ / ٤٧٠ .

(5) أسد الغابة ١ / ٤٤٠ « صبيح » .

(6) الأخبار الطوال ١١٣ .

(7) مجمع الأمثال ٢ / ١٢٧ . وفي الدرة الفاخرة ٢ / ٣٥٧ أن مطاعيم الريح « أربعة ، أحدهم عم أبي محجن الثقفي » ولم يسمه .

(8) السيرة الحلبية ١ / ٣٥٤ .

إلى أنه أحد المعنيين بقوله تعالى : « ... رجل من القريتين عظيم »[1] . وفي إسلامه خلاف[2] .

٣ ـ **ربيعة بن عمرو** : وهو عمّ أبي عُبيد الثقفي ، والد المختار بن أبي عُبيد . أغفله ابن عبد البرّ ، وذكره ابن الأثير ، وابن حجر[3] .

٤ ـ **هلال بن عمرو** : زاده بعضهم على أنه من أبناء عمرو بن عمير أيضاً[4] .

وهؤلاء الإخوة جميعاً سادة ثقيفُ ، وأشرافها . وبثلاثة منهم (عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب) اجتمع الرسول (ص) يوم مجيئه أول مرة إلى الطائف لنشر الدعوة في شوال سنة عشرٍ من النبوة ، فلم يستجيبوا لدعوته[5] . ولكن الإخوة الخمسة ما لبثوا أن أسلموا بعد أن ظهر النبي على الطائف وصالَح ثقيفاً[6] . وهم الذين نزلت فيهم آية الربا ، فقد كانت لهم ديون ربِاً على بني المغيرة ، فأرادوا تقاضيها ، فأمِروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها ، ونزل قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذَروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فائذنوا بحربٍ من الله ورسوله وإن تُبتم فلكم رؤوس أموالِكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون »[7] .

ذلك كله يدل على ما كانت تتمتع به أسرة أبي محجن ، من سيادة وشرف ووجاهة في ثقيف والطائف معاً . وقد ورث أبو محجن سلائق هذه الطبقة في الجاهلية والإسلام ، حتى عُدّ من الأشراف أيضاً[8] .

---

(١) الإصابة ٣ / ٢٩٢ ، ٥٧٦ .

(٢) انظر أسد الغابة ٣ / ٥١٢ والإصابة ٢ / ٤٣٤ والسيرة الحلبية ١ / ٣٥٤ .

(٣) في أسد الغابة ٢ / ٢١٤ وفي الإصابة ١ / ٤٩٧ وقد وهما في جعلهما ربيعة عم المختار . «انظر ٩٩».

(٤) الإصابة ٣ / ٥٧٥ .

(٥) تفصيل الخبر في سيرة ابن هشام ١ / ٤١٩ .

(٦) مجمع البيان ١ / ٣٩٢ والإصابة ٣ / ٥٧٦ .

(٧) البقرة ٢٧٨ ـ ٢٧٩ . وتفصيل سبب النزول تجده في تفسير البحر المحيط ٢ / ٣٣٧ ومجمع البيان ١ / ٣٩٢ والكشاف ٢ / ٤٠١ .

(٨) سلكه في جملة الأشراف صاحبا : الأشربة ٣١ والعقد الفريد ٦ / ٣٥٠ .

نشأة أبي محجن

ولد أبو محجن في مدينة الطائف ، إلا أن التاريخ يضنّ علينا بتفاصيل عن ميلاده ونشأته ، فالغموض يحيط بطفولته ، والظلام يكتنف جوانب حياته الأولى ، ولا نظفر من المصادر بما ينقع الغلّة . إذ ما يكاد المرء يصبح ملء سمع الدنيا وبصرها ، حتّى تكون سيرة حياته الغابرة قد طويت في مسارب الزمن ، لا يعيها التاريخ ، ولا تبقى منها إلا لُمَعٌ خابية الضياء . زد على ذلك ما كانت تفتقر إليه الحياة عصرئذ من وسائل التدوين والكتابة ، مع انتشار الأمية ، وفقدان الرقي العقلي المتقدم .

وما وقر في نفوسنا عند الكلام على نسب أبي محجن وأسرته يحملنا على أن نقول : إنه نشأ في ذلك المجتمع الذي كان يضم طبقة من الشباب أولاد السَّراة ، من أمثاله ، اعتادوا أن يتلفوا أموالهم في الشراب ، حين يجتمعون في المواسم والمناسبات المختلفة فينحرون ويشربون وتغنّيهم القيان ، وجاء شعر أبي محجن ليترجم ذلك ويسجله في مثل قوله :

فقد أباكِرها رِيّاً ، وأشربها صِرفاً ، وأطرب أحياناً فأمتـزجُ
وقد تقوم على رأسي مغنّيـةٌ فيها ، إذا رفعتْ من صوتها، غُنُجُ

ولكن هذه الفئات من الشباب لم تفقد إباءها ومروءتها، بل بقيت محافظة على مُثلها العربية : من شجاعة ، وجود ، وفروسية ، ونجدة صريخ . ولم يختلف أبو محجن عن أترابه من هذه الطبقة ، فهو شاب « من سروات ثقيف ، درج في رياض الطائف وكرومه ، ونشأ على فتوة أهله ، وصبوة شبابه ، فهو رضيع كأس ، وتبْع نساء ، ومِسْعر حرب ، وصنّاجة شعر ، وصنو مروءة »(١) ، وكانت مجالس اللهو والقيان والطرب ملاذه في الطائف .

وكانت الطائف — كمكة والمدينة — مظهر الفتوة العربية ، ومجمع السيادة والقوة ، ومنبع الرفاهةِ والثروة . والفتوةُ العربية — وإن جمعت أطراف المروءة — كانت تدور على ثلاثة الشاعر الشاب طرفة ، وهي : الحبّ ، والشرب ، والحرب ، ثمّ تصوير كل

(١) الزيات في مجلة الرسالة : العدد ٢٩٧ ص ٤٨٧ .

أولئك بالشعر الغنائي الرقيق . « وقد تمكنت نوازي الهوى في نفوس نشأت على فتون الجهالة ومرح الشرك ، فكان في الطائف مساحب من جرّ الزقاق على الثرى ، لا تزال معطرة الأديم بمناجاة الحب ، ومطارحة الشعر ، ومناقلة الحديث»(١) .

فالحبّ ، والخمرة ، والفروسية : ثلاثة تتلازم في حياة أبي محجن خاصّة ، وشباب الطائف عامّة . وإذا كان الحبّ والخمرة من سمات تلك الحياة اللاهية العابثة فإن ذلك المجتمع القبلي — بظروفه المحيطة به — كان يتطلب الفروسية والتمرس بالقتال والحرب ، والتضحية الصادقة ، والاستبسال العفيف ، وإجلال السمو الخلقي ، والوفاء بالوعد ، وقد حقق أبو محجن كل هذه المعاني والقيم في أفعاله وأقواله :

— وأكشفُ المأزِقَ المكروبَ غُمّتَه ... وأكتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنـق
وأهجرُ الفِعلَ ذا حُوبٍ ومنقَصة ... وأتركُ القولَ يُدنيني من الرَّهَـق

— وعندي ، على شُرب العُقار حفيظةٌ ... إذا ما نساءُ الحيّ ضاقت حلوقُها
وأمنع جارَ البيت مما ينوبُـه ... وأكرمُ أضيافاً قَراهـا طُروقها

لقد تجسّد في شخص أبي محجن معنى البطولة التي يرتفع بها البطل عمّن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم إجلالاً وإكباراً ، ذلك أن للأبطال والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر ، والكلمة العليا بين القبائل ، إذ كانوا يسجلون بطولاتهم بأشعارهم ، فتنتشر ، ويُتغنى بها في أسواق عُكاظ ، وفي البادية والأمصار .

وقد استكمل أبو محجن أنواع الفروسية المادية جميعاً ، وهي التي أشار إليها ابن القيّم بقوله(٢) : « والفروسية أربعة أنواع ، أحدهما : ركوب الخيل والكرّ والفرّ بها ، الثاني : الرمي بالقوس . الثالث : المطاعنة بالرماح . الرابع : المداورة بالسيوف . فمن استكملها استكمل الفروسية » .

وهذه الحقائق جميعاً تؤكدها لنا أخبار أبي محجن في المعارك والفتوح التي خاضها فيما بعد ، في حصار الطائف ، ومعركة الجسر ، والقادسية ... ففيها تتجلى لنا متانة الأسس التي قامت عليها فروسيته وإصابة رميِه ، إذْ كان لا يسقط له سهم طائش ، وقد شهد له بذلك كل من عرفه وعاين فعاله(٣) .

---

(١) مجلة الرسالة أيضاً .

(٢) الفروسية ١٠٧ .

(٣) انظر المغازي ٣ / ٩٣٠ .

في حصار الطائف

هكذا أمضى أبو محجن فتوّته وشبابه في الجاهلية ، وكان موقفه من الإسلام بعد ذلك موقف قبيلته جميعاً . ولكن اسمه لا يظهر للملأ ظهوراً لامعاً إلا مع حصار الطائف سنة ثمانٍ للهجرة ، بعد هزيمة هوازن وثقيف في حنين :

كان نور الإسلام قد بدأ يضيء الآفاق ، حين اتجه الرسول العربي بجيشه إلى **حصار الطائف** ، واشترك في هذا الحصار جماعة من جلّة الصحابة ، وفيهم بعض من أسلم من ثقيف كالمغيرة بن شعبة وغيره .

ويذكر التاريخ لأبي محجن آنذاك — وكان على الشرك — نصيباً كبيراً في القيادة والمشورة ، وفي الدفاع ورمي السهام : فقد وقف على رأس الحصن يرمي بسهامه المسددة مع بعض أصحابه ، حتى قال عمرو بن أمية الضّمْري(1) : « إني لأنظر إلى أبي محجن يرمي من فوق الحصن بِعشْرته ، بمعابل كأنها الرماح ، ما يسقط له سهم »(2) . وقد رمى بسهمه يومئذ عبد الله بن أبي بكر الصديق . فدمل الجرح وما لبث أن انتقض به حتى أخرج السهم ، فأمسكه أبو بكر عنده ، ولم يزل عبد الله منه جريحاً حتى مات في أول خلافة أبيه(3) .

وكان أبو محجن ينادي المسلمين من حائط الطائف : « يا عبيد محمد ! إنكم والله مالاقيتم أحداً يُحسن قتالكم غيرنا . تقيمون — ما أقمتم — بشرّ محبس ، ثم تنصرفون لم تدركوا شيئاً مما تريدون ، نحن قسيّ ، وأبونا قسا :

والله لا نُسْلِم ما حَيينــــا وقد بنَينـــا طائفاً حصينــــــاً »

فناداه عمر بن الخطاب : « يابن حبيب ، والله لنقطعنّ عليك معاشك حتى

---

(1) عمرو الضمري : من رجال العرب في الجاهلية والإسلام ، جرأة ونجدة ، عاش إلى خلافة معاوية بعد أن شهد وقائع كثيرة علت بها شهرته في البسالة . ومات بالمدينة — الإصابة ٢ / ٥١٧ .

(2) المغازي ٣ / ٩٢٦ . المعابل : نصال عراض طوال ، مفردها : مِعبلة .

(3) المغازي ٣ / ٩٣٠ ، ٩٣٨ والطبري ٣ / ٢٤١ والاستيعاب ٣ / ٨٧٤ .

تخرج من جحرك هذا ، إنما أنت ثعلب في جُحْرٍ يوشك أن يخرج . فابرز من الحصن إن كنت رجلاً » .

فقال أبو محجن : « إن قطعتم يابن الخطّاب حبلات عنب ، فإن في الماء والتراب ما يعيد ذلك » . فقال عمر : « لا تقدر أن تخرج إلى ماء ولا تراب ، لن نبرح عن باب جحرك حتى تموت جوعاً »(١) .

وكان بعد ذلك ما عرفناه من فكّ الحصار عن الطائف، وقدوم وفد هوازن على النبي مُسْلمين ، واستعمال الرسول لمالك بن عوف على من أسلم من قومه ، هَوازن ، ومن القبائل التي كانت حول الطائف : كبني سَلِمة وفَهْم و ثُمالة ، فكان يقاتل بهم من كان على الشرك ، ويُغير بهم على ثقيف ، ولم يكونوا من القبائل المشهورة بين العرب ، فقال في ذلك أبو محجن :

هابتِ الأعداءُ جانبَنا ... ثم تغزُونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بهمُ ... ناقضاً للعهد والحُرُمَهْ
وأتَوْنا في منازلنا ... ولقد كنّا أولي نَقِمَهْ

فقال مالك بن عوف :

ما إن رأيتُ ولا سمعت بمثله ... في الناس كلّهم بمثل محمدِ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدي ... ومتى تشأ يخبرك عما في غدِ
وإذا الكتيبةُ عرَّدت أنيابُها ... بالمشْرفيّ وضربِ كلّ مهنّد
فكأنه ليثٌ على أشباله ... وسْطَ الهباءة خادرٌ في مرصَد(٢)

(١) المغازي ٣ / ٩٣٥ والثمانية ٨٥ والحيوان ٦ / ٣٠٣ .

(٢) المغازي ٣ / ٩٥٦ . اجتدي : طلب منه العطاء — عردت : اعوجت — الهباءة : الغبرة — الخادر الأسد الداخل في خدره . وقد سبقت ترجمة مالك ص ٤٥ .

إسلام أبي محجن وصحبته

وانتهى الأمر بثقيف إلى الإسلام — كما سبق — ودخل أبو محجن في الدين الجديد مع قومه في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، وهي السنة التي قدم فيها وفد ثقيف على رسول الله في المدينة المنورة ، يتقدمهم عبد ياليل بن عمرو الثقفي ، عم أبي محجن .

وقد أجمع من ترجموا لأبي محجن على أنه صحابي أسلم مع قومه : كابن عبدالبر وابن الأثير ، وابن حجر . وكلهم التزموا ترجمة من يُعدّون في صحابة النبي (ص) فحسب ، دون غيرهم ، على تشعب آراء أولئك العلماء فيمن يستحقّ صفة « الصحبة » ، ولم يشر أحد منهم إلى مغمزٍ في « صحبة » أبي محجن ، أو توهينٍ لها :

فابن عبد البرّ يتوسع في معنى الصحابي ، ويطلقه على كل من لقي النبي الكريم ولو لقية واحدة ، أو سمع منه لفظة فأدّاها عنه ، أو من ولد على عهده فدعا له ، أو نظر إليه وبارك عليه ، وبهذا كله يستكمل القرن الذي أشار إليه الرسول عليه السلام(1) .

وفصّل ابن الأثير ذكر الآراء المختلفة في ذلك : فأشدها رأي سعيد بن المسيب في أن الصحابي هو الذي أقام مع الرسول (ص) سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين ؛ وأيسرها أن كلّ من صحب الرسول ، أو رآه من المسلمين ولو ساعة فهو من أصحابه ، وهو رأي ابن حنبل والبخاري . لكن جرى العرف — كما يقول القاضي أبو بكر بن الطيب والغزالي — أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثُرت صحبته ، والصحابة — من بعد — على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام(2) .

أما ابن حجر فقد أخذ على ابن عبد البر أنه فاته أسماء كثير من الصحابة ، وعلى ابن الأثير أنه « خلط من ليس صحابياً بهم » ، وذكر أنه ميّز في كتابه الصحابة من غيرهم ، وصفّاه مما وقع في كتب سابقيه من الشوائب ، وقسم كتابه أربعة أقسام بحسب طبقات الصحابة ومنازلهم، وذكر أبا محجن في القسم الأول من باب الكنى : وهو « فيمن

---

(1) مقدمة الاستيعاب ١ / ٢٤ .

(2) أسد الغابة ١ / ٢٧ « صبيح » .

وردت صحبته بطريق الرواية عنه ، أو عن غيره ... أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة ، بأي طريق كان »(١) .

ذكرت ذلك كله ليتضح لنا مدى تحرّي أولئك العلماء في معرفة كل صحابي ، وأنهم على اختلاف مذاهبهم في ذلك ، ترجموا جميعاً لأبي محجن ، وأجمعوا على أنه من أصحاب رسول الله (ص) بلا خلاف ، بَلْه من سبقهم أو جاء بعدهم كابن سعد(٢) ، وابن منده ، وأبي نعيم الأصبهاني(٣) ، والسيوطي(٤) وغيرهم . يدل على ذلك قول ابن حجر : « لم يبق من ثقيف في حجة الوداع إلا وقد أسلم وشهدها »(٥) .

فمتى أسلم أبو محجن ؟ وهل طالت صحبته للرسول (ص) ؟ وهل روى عنه أو سمع منه ؟

يقول الذهبي : « قدم مع وفد ثقيف فأسلم »(٦) . وقد كان ذلك ، كما أسلفنا ، في رمضان سنة تسع . وقد عرفنا أن هذا الوفد جاء برئاسة عبد ياليل بن عمرو ، وعدد أفراده ستة ، ليس فيهم أبو محجن(٧) .

على أن بعض المصادر الموثوق بها لا تقف عند أولئك النفر الستة الذين قام عليهم وفد ثقيف ، بل تجعل عددهم أكثر من ذلك . فابن سعد يقول ، بعد أن ذكر وفد الستة : « فساروا في سبعين رجلاً ، وهؤلاء الستة رؤساؤهم . وقال بعضهم : كانوا جميعاً بضعة عشر رجلاً ، وهو أثبت »(٨) .

ويروى أيضاً عن أوس بن حذيفة الثقفي قوله : « خرجنا من الطائف سبعين رجلاً

---

(١) الإصابة ١ / ٦ .

(٢) الطبقات ٥ / ٣٧٧ « التحرير » حيث ترجم لأبي محجن تحت عنوان " تسمية من نزل الطائف من أصحاب رسول الله " ص " .

(٣) في مصنفيهما اللذين ألفاهما في معرفة الصحابة ـ أسد الغابة ٦ / ٢٧٨ في آخر ترجمة أبي محجن .

(٤) شرح شواهد المغني ٣٧ .

(٥) الإصابة ١ / ٣٠٤ ، ٤ / ٣٣٢ .

(٦) تاريخ الإسلام ٢ / ٧٢ . وانظر الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وعنه الخزانة ٣ / ٥٥٣ ، وكتاب التوابين ١٣٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ .

(٧) انظر ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٨) الطبقات ١ / ٥٣ .

من الأحلاف وبني مالك ، فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة ، وأنزلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له بين مسكنه وبين المسجد »(١) .

فإذا ربطنا بين روايتي ابن سعد ، وما سبق من إسلام أبي محجن مع وفد ثقيف سنة تسع ، ثبت لدينا أنه كان في جملة الوفد الكبير ، من غير الستة ، الذي يبلغ عدد أفراده ما بين بضعة عشر ، وسبعين رجلاً . ويؤيدنا فيما ذهبنا إليه كثرة من دخلوا في الإسلام من ثقيف ولم تذكر أسماؤهم في ذلك الوفد : كالحارث بن أويس الثقفي(٢) . ووهب بن أمية بن أبي الصلت(٣) ، وأفراد من أسرة أبي محجن كوالده وأعمامه . فأحرِ بأن يكون أبو محجن كذلك .

وهذا البحث يؤدي بنا إلى أن نتساءل: هل سمع أبو محجن من النبي (ص) بعض الأحاديث ؟ وهل روى عنه شيئاً منها ؟ . في ذلك أقوال وآراء :

فابن عبد البر وآخرون يثبتون له السماع والرواية جميعاً(٤) . واقتصر ابن الأثير والسيوطي على إثبات الرواية وحدها(٥) ونفاها عنه الذهبي(٦) . كما أن ابن حزم لم يذكر اسم أبي محجن في رسالته « أسماء الصحابة الرواة(٧) » مع أنه ذكر فيها من روى عن النبي (ص) من الصحابة حديثاً فما فوقه ، حتى الألوف .

ولا تذكر المصادر بعد هذا إلا حديثاً واحداً رواه أبو محجن عن رسول الله (ص) ، وهو قوله : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي ثلاث : إيمان بالنجوم ، وتكذيب بالقدر ، وحيف الأئمة »(٨) .

---

(١) الطبقات ٥ / ٣٧٤ .

(٢) الطبقات ٥ / ٣٧٦ .

(٣) الطبقات ٥ / ٣٧٧ .

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ والتوابين ١٣٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ . لكن ابن عبد البر يكتفي في كتابه الآخر « الإنباه : ٩٢ » بذكر الرواية ولا يشير إلى السماع .

(٥) أسد الغابة ٦ / ٢٧٦ ، وشرح شواهد المغني ٣٧ وعنه الخزانة ٣ / ٥٥٣ ومنتهى أمل الأريب ٤٢ / أ .

(٦) تاريخ الإسلام ٢ / ٧٢ وعنه منتهى أمل الأريب ٤٢ / أ .

(٧) طبعت مع كتابه « جوامع السيرة » ص ٢٧٣ – ٣١٥ .

(٨) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وعنه الخزانة ٣ / ٥٥٣ . وورد أيضاً ، بتغيير يسير في بعض ألفاظه ، في أسد الغابة ٦ / ٢٧٦ « الشعب » والإصابة ٤ / ١٧٣ .

وهذا الحديث مرسل، انفرد بروايته عن أبي محجن: أبو سعد البقال(١) «وأبوسعد ضعيف ولم يدرك أبا محجن(٢)»، وقد قال عنه الذهبي: «ما علمت أحداً وثقه»(٣) وقال البغدادي: «ورواية أبي سعد البقال عن أبي محجن إنما هي بتدليس، لأنه لم يدرك عصره، وقد ذكروه في الضعفاء»(٤).

وإذا رجعنا البصرَ إلى ما صنفه المحدّثون من الكتب المطبوعة المتداولة، لم نجد ذكراً لذلك الحديث النبوي إلا في الجامع الصغير للسيوطي الذي نقله من تاريخ ابن عساكر ولفظه عنده:

«أخاف على أمّتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر: ابن عساكر عن أبي محجن»(٥).

لكن السيوطي لم يصرّح بمنزلة هذا الحديث من الصحة، أو الضعف، أو الحسن، خلافاً لعادته في جامعه الصغير، ويبدو أنه ضعيف، لأن السيوطي يتبعه بحديث آخر وصفه بالضعف، وهو: «أخاف على أمّتي من بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم»(٦).

على أن صحبة أبي محجن للرسول كانت قصيرة فيما يبدو، اقتصرت على لقائه مرة أو مرتين نال بهما شرف الصحبة، ثم عاد إلى الطائف، ولم يتح له الجهاد تحت اللواء النبوي؛ لأن إسلامه كان بعد تبوك، وهي آخر غزوة في حياة الرسول (ص).

ولا تروي عنه كتب التاريخ والأدب شيئاً ذا خطرٍ بُعيد إسلامه، سوى ولعه

---

(١) المصادر السابقة نفسها، والتجريد ٢ / ٢١٢. وفي بعض طبعاتها: "أبو سعيد" تحريف. وأبو سعد هذا: هو سعيد بن المرزبان الكوفي، العبسي، مولاهم. اختلف المحدثون في جرحه وتعديله، وتعددت – تبعاً لذلك – أوصافه عندهم. مات سنة بضع وأربعين ومائة – «تقريب التهذيب ١ / ٣٠٥» ٢ / ٤٢٧ وخلاصة تذهيب الكمال ١ / ٣٨٩». فبينه وبين أبي محجن أكثر من قرن.

(٢) الإصابة ٤ / ١٧٣.

(٣) خلاصة تذهيب الكمال ١ / ٣٨٩.

(٤) الخزانة ٣ / ٥٥٣ ومثله في شرح أبيات المغني له ١ / ١٤٤ «ط. دمشق».

(٥) الجامع الصغير «بشرح المناوي وتعليق عمارة» ١ / ٢٠.

(٦) رواه – كما ذكر السيوطي – أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل، والخطيب البغدادي في كتاب النجوم عن أنس. وهذه الكتب الثلاثة لما تطبع.

بالشراب واشتهاره به ، لا يكاد يقلع عنه(١) ، وهو في منأى عن الرقابة والعقاب . وليس له في هذه الفترة أيّة مأثرة أو خبر . وأغلب الظن أن حياته سارت سيرتها الأولى ، بطابعها القديم ، لأنها بقيت تحمل هذا الطابع نفسه في عهد الفاروق عمر ، كما سنرى ، وفي المدينة عاصمة الخلافة ، وموطن الرقابة .

لكن تعاطيه للخمرة لم يصل به إلى درجة المجون والخلاعة ، بل كان تعلقه بها في غير مجاهرة ولا إعلان ، يعكف عليها متزوياً في بيت أو بستان من بساتين الطائف ، ولا يستطيع عنها صبراً ، يؤيد ذلك أنه لم يصل إلينا شيء من شعره الخمري أو أخبار مجونه في عهد النبوة .

أضف إلى ذلك أن القوم حديثو عهد بتحريم الخمرة ، التي كانت مما يستطاب عندهم وكان شربها « مباحاً معمولاً به معروفاً عندهم ، بحيث لا يُنكَر ولا يغيّر ، وأن النبي (ص) أقرّ عليه ، وهذا ما لا خلاف فيه »(٢) . فلما نزل تحريمها الأخير(٣) — وكان منجّماً — لم يكن تأثيرها في النفوس قد امّحى ، بل احتاج إلى بعض الوقت ، على الرغم من أن الرسول (ص) اشترط على ثقيف عند إسلامهم ألاّ يشربوا الخمر ، فقبلوا بعد جدال طويل .

(١) الأغاني ١٨ / ٢٨٩ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وقطب السرور ١٢٠ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٦ وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٧ .

(٣) كان ذلك سنة ثلاث للهجرة ، بعد وقعة أحد — تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٥ ، وتفسير البحر المحيط ٤ / ١٣ .

في عهد أبي بكر

وفي خلافة الصدّيق التي امتدت بين سنتي إحدى عشرة وثلاث عشرة للهجرة(١) تبدأ معالم من حياة أبي محجن بالاتضاح والظهور، على ضآلة تلك المعالم. إذ ينتقل أبو محجن من الطائف إلى المدينة، عاصمة الخلافة. ويذكر الواقدي(٢) أنه لما قدم على أبي بكر ذكر الخليفةُ السهم الذي رُمي به ابنه عبد الله يوم الطائف، وكان سبب موته فيما بعد، فأخرجه — وكان ممسكاً إياه عنده — وقال لأبي محجن: « هل تعرف هذا المِشقَص(٣) »؟ فقال: « وكيف لا أعرفه؟ وأنا بريت قِدحه وريّشته، ورصفته(٤) ورميت به ابنك! فالحمد لله الذي أكرمه على يديّ، ولم يُهنّي على يديه »(٥).

ويبدو أن أبا محجن حظي بمكانة خاصة لدى الخليفة الأول بعد ذلك. ومن المؤسف ألاّ يفصح عنها ابن عبد البر حينما قال: « وكان أبو بكر الصدّيق يستعين به »(٦) وتبعه على هذه الإشارة نفسها كل من الذهبي والفاسي والبغدادي(٧)، ولكنهم لم يكشفوا عنها النقاب.

فما حقيقة تلك الاستعانة؟ لا ندري! ...

وربما طاب المقام لأبي محجن بعد ذلك في المدينة، حتى متنت الوشيجة بينه وبين خليفة رسول الله (ص)، يدل على ذلك أبيات ثلاثة قالها فيه، يشيد فيها بمآثره ومكانته:

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٦٤، ٨٩.

(٢) المغازي ٣ / ٩٣٠.

(٣) المشقص: النصل الطويل العريض، أو سهم ذو نصل عريض.

(٤) رصف السهم: شد عليه رصافة، وهي عقبة تشد على مدخل سنخ النصل.

(٥) في الأغاني ١٨ / ٩، ١٢ رواية أخرى تجعل هذا الحوار بين أبي بكر وسعيد بن عبيد الثقفي، من بني علاج، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٦) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦.

(٧) تاريخ الإسلام ٢ / ٧٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ والخزانة ٣ / ٥٥٣.

وسُمّيت صدّيقاً ، وكلُّ مهاجرٍ سواكَ يسمّى باسمه غيرَ منكَرِ
سَبقتَ إلى الإسلام ، واللهُ شاهدٌ وكنتَ جليساً بالعَريش المشَهّرِ
وبالغار ، إذ سُمّيت بالغار صاحباً وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المطهّرِ

هذا كل ما نعرفه عن أبي محجن لعهد أبي بكر. أما الخمرة وصحبته لها: فالمصادر التي بين أيدينا تسكت عن ذلك ، ولا تشير إليه من قريب أو بعيد ، حتّى يتولى عمر الخلافة بعد صاحبه ، فتأتي أخصب فترة في حياة أبي محجن .

أبو محجن والفاروق عمر

أ ـ عمر يواجه الموقف الحربي :

قُبض أبو بكر سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وبايع المسلمون عمر بن الخطاب الذ واجه الموقف الحربي الجليل في العراق والشام بعزيمة وثبات ، وكان أمر الجيوش العربي فيهما يومئذ بالغاً غاية الدقة . وعزم الفاروق على أن يتابع الفتوح ، ويرمي بالمجاهد في تينك الجبهتين ، يصطلمون جذور الأكاسرة والقياصرة ، ويخوضون أشد المعار هولاً ، وأصعبها مراساً :

كان خالد بن الوليد قد غادر العراق إلى الشام في نصف الجيش بأمر أبي بكر بعد أن فتح الحيرة وغيرها ، وخلّف المثنى بن حارثة الشيباني في العراق(1) يتخذ مر الحيرة مقاماً له ولجيشه ريثما تصل إليه النجدات . ولكن خبر الخليفة أبطأ عليه ، فاغتن فرصة تنازع أهل فارس على الملك في المدائن ، ويمم وجهه شطر المدينة ، فإذا أبو بكر على فراش الموت ، فأخبره بالأمر ، فاستدعى عمر وأوكل إليه ندب الناس مع المثنى بلا ريث ، إذا وُسّد إليه الأمر(2) .

وكذلك كان ، إذ ندب عمر الناس إلى العراق مع المثنى ، فكان أولَ المنتدبين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وتتابع الناس بعده : من المهاجرين ، والأنصار ، والثقفيين أنفسهم(3) ، وكان فيمن انتدب : **أبو محجن الثقفي** ، وأخوه قيس ، وابن عمه حبيب ابن ربيعة(4) .

---

(1) الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٧٣ ومعجم البلدان « الجسر ».

(2) الطبري ٣ / ٤٤٥ وابن الأثير ٢ / ٢٨٠ ، ٢٩٢ . وفي شرح ديوان أبي محجن « القطعة ٣ » ومعجم البلدان « الجسر » : أن المثنى كتب إلى عمر يعرفه بالأخبار ، فندب عمر الناس . ولم يذكر مجي المثنى إلى المدينة .

(3) المروج ٢ / ٣٠٧ والطبري ٣ / ٤٤٤ ، ٤٤٧ وابن الأثير ٢ / ٢٨١ ، ٢٩٢ ، وتاريخ عمر الخطاب ٩١ .

(4) لم تشر المصادر إلى ذلك ، لكن إجماعها على اشتراك هؤلاء الثلاثة في موقعة الجسر يؤيد ما ذهبنا إليه .

ب – المثنى وأبو عبيد في العراق :

كافأ عمر أبا عبيد فأمّره على الجيش ، ونصحه أن يشاور أصحاب النبي (ص). وسار أبو عبيد في الجموع الجديدة حتى وافى خفّان(١) ، وكان المثنى قد سبقه إليها وذلك لثلاث مضين من شعبان سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وأقام المسلمون هناك أياماً طلباً للاستجمام(٢) .

أمّا الفرس فقد آل ملكهم إلى بوران بنت كسرى ، التي جعلت رستم صاحب الحرب ، وأطلقت يده في أمور الدولة . وما لبث رستم أن أرسل الجيوش تترى إلى العراق ووزع قياداتها بين جابان ، ونرسي ، والجالنوس ، فخاض العرب معها ثلاث معارك ضاريات في كل من(النمارق) و(السّقاطية) و(باقسياثا) خلال عشرة أيام فحسب من شعبان نفسه على التوالي (٨ ، ١٢ ، ١٧) سنة ١٣ هـ ، وقد أبلى فيها قواد العرب – وعلى رأسهم أبو عبيد والمثنى – بلاءً حسناً ، حتى غلبوا على تلك البلاد وهزموا الفرس واحتلوا سواد العراق كله(٣) ، ثمّ ارتحل أبو عبيد بجنده وقواده حتى استقرّ في الحيرة لأنها أكثر أمناً أمام استعداد الفرس المرتقب ، بعد أن تعاظم الأمر على رستم إزاء الهزائم المتوالية التي لحقت بالمملكة الفارسية وجيوشها .

ومن الثابت أن أبا محجن قد اشترك في هذه المواقع أو في بعضها ، لأنه اشترك في معركة الجسر التي أعقبتها واتصلت بها(٤) . وإذا كانت المصادر قد أغفلت التنويه به إذ ذاك ، فلأنه لم يكن له في القيادة نصيب ، كما أن المدة التي استغرقتها المواقع الثلاث المتلاحقة كانت قصيرة خاطفة لا تفسح المجال لإظهار البطولات الفذة ، والأعمال الخارقة ، على نحو ما سنرى في معركتي الجسر والقادسية .

---

(١) موضع قرب الكوفة ، فتحه خالد صلحاً عندما كان في العراق . « ياقوت » .

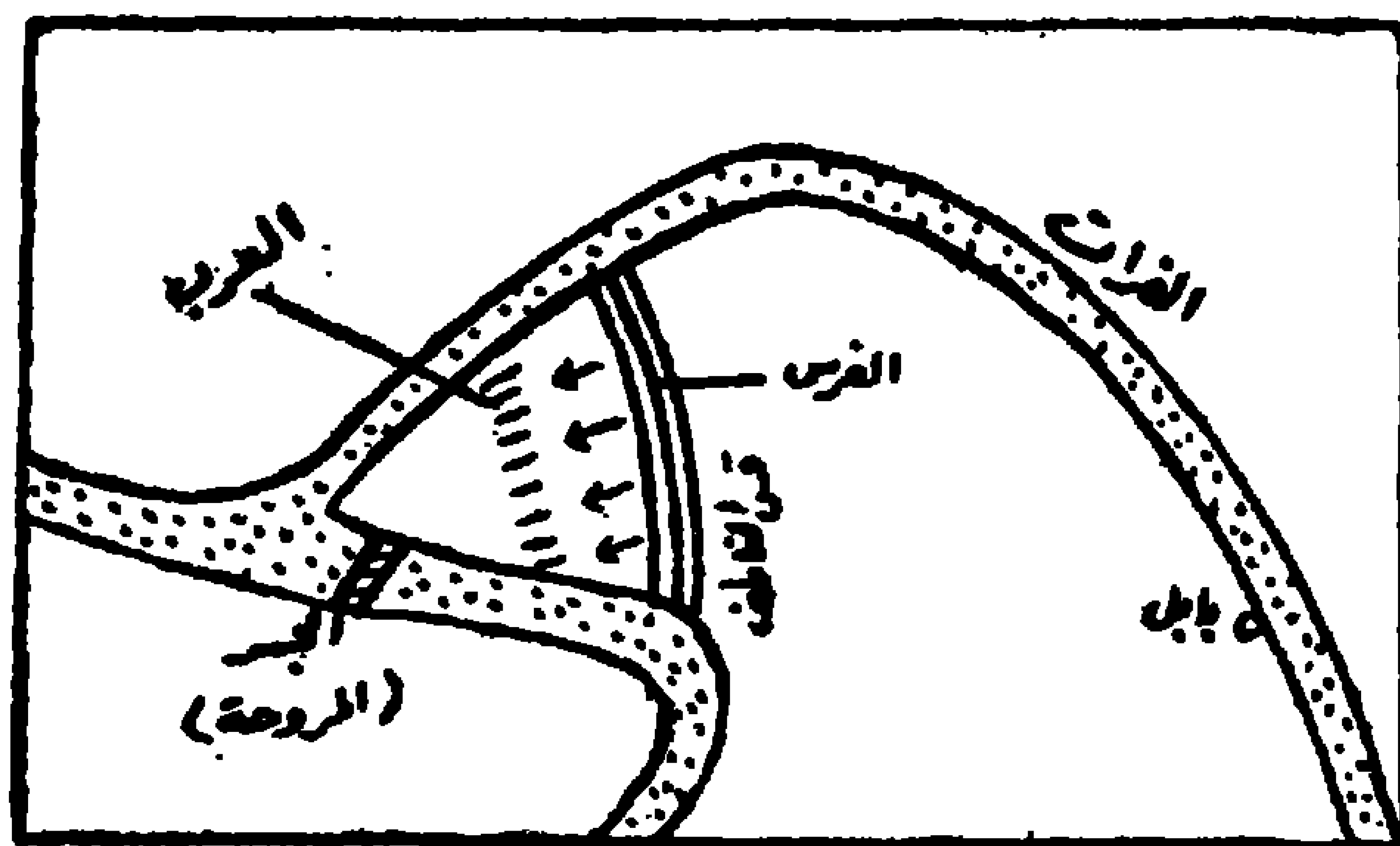
(٢) فتوح البلدان ٢ / ٣٠٧ والطبري ٣ / ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٣) الطبري ٣ / ٤٤٧ .. وابن الأثير ٢ / ٢٩٤ .. والطريق إلى المدائن ٣٨٧ .. النمارق : قرية قرب الكوفة بين الحيرة والقادسية . والسقاطية : ناحية قريبة من واسط . وباقسياثا : ناحية من عمل باروسما في أرض السواد . « ياقوت » .

(٤) كان بين الموقعة الأخيرة « باقسياثا » ويوم الجسر « أواخر شعبان ١٣ هـ » أسبوع في روايتي الطبري ٣ / ٤٥٥ وابن الأثير ٢ / ٢٩٨ وخمسة أسابيع في رواية البلاذري الذي أرخ المعركة في ٢٣ رمضان . « فتوح البلدان ٢ / ٣٠٩ » . وفي الاستيعاب ١٧١٠ أن يوم الجسر كان « في آخر شهر رمضان أو أول شوال من سنة ١٣ » .

ج – يوم الجسر(١) (١٣ هـ)

ولقد عظمت هزائم الفرس على رُستم فدعا بالقائد بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب ، ووجّهه في قوة عظيمة تصحبها الفيلة . فأقبل من المدائن حتّى نزل على الشاطىء الشرقي للفرات في (قس الناطف) قرب موضع الكوفة . أما أبو عبيد فقد كان معسكراً بجنوده على الشاطىء الغربي للنهر في (المروحة) ، وأصبح الفرات فاصلاً بين الجيشين(٢) .



معركة الجسر

ثم بعث بهمن إلى أبي عبيد يخيّره في العبور ، فاختار أن يعبر إليهم ، فنهاه ذوو الرأي من أصحابه لئلا يجعل نفسه ومن معه غرضاً لأهل فارس . فلم يعبأ بنصحهم ، وعبر من المروحة بجيشه ، فلم يحصل إلا على مستطرّد ضيق(٣) .

وتدانى الزحفان، وألحم الناسُ الحربَ، واقتتلوا قتالاً شديداً، ولما رأى أبوعبيد صفوفه توشك أن تضطرب ترجّل مع بعض جنوده ، ثم مشوا إلى الفرس فصافحوهم بالسيوف ، وأصيب من أهل فارس ستة آلاف ، من آخر النهار . كما نادى أبو عبيد أصحابه أن يحيطوا بالفيلة ويقطعوا أحزمة أقتابها ويقلبوا أهلها عنها ، فكان ما طلب(٤) .

أما أبو عبيد فقد واثب فيلاً أبيض عظيماً ، وتعلق بحزامه فقطعه ، فسقط مَن عليه ، ثم ضرب مشفره بسيفه فاتّقاه الفيل بيده وخبطه بها فوقع ، فوطئه الفيل وقام عليه

(١) ويقال له أيضاً : قس الناطف ، والمروحة ، والقرقس ، « الطبري ٣ / ٤٥٤ » . وهو على مرحلتين من الكوفة – الشذرات ١ / ٢٧ .
(٢) الطبري ٣ / ٤٥٦ ومعجم البلدان : قس الناطف ، والمروحة .
(٣) فتوح البلدان ٢ / ٣٠٨ والمروج ٢ / ٣٠٧ والأخبار الطوال ١١٣ ، والطبري ٣ / ٤٥٤ .
(٤) الطبري ٣ / ٤٥٤ ... وابن الأثير ٢ / ٢٩٧ .

فمات تحته ، وتتابع بعده سبعة من ثقيف ، كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت . إلى أن انتهت الراية إلى المثنى فجاش بها ساعة وهرب الناس[1] .

وكان مما زاد البلاء في هذه الهزيمة أن رجلاً من ثقيف بادر إلى الجسر في شيء من الحماسة فقطعه ليحول دون تراجع الناس ، إلا أن عمله هذا جعلهم يتهافتون في الفرات ، فغرق من لم يصبر ، وأسرع الفرس فيمن صبر ، وخشي المثنى — وقد جُرح — أن تعم الفوضى ، فأمر بإصلاح الجسر ، ونادى الناس أن يعبروا مترفقين ، ووقف مع بعض الفرسان يحمي عبورهم إلى المروحة ، ثم عبروا في أثرهم ، واضطرب عسكر المسلمين[2] ، وقد أصيب منهم في تلك الوقعة أربعة آلاف ، ما بين غريق وقتيل، وهرب ألفان أكثرهم من أهل المدينة ، وبقي ثلاثة آلاف مع المثنى[3] .

وقد استشهد من ثقيف وحدها ثلاثمائة رجل[4]، منهم : الحكم، أخو أبي عبيد، وابناهما : جبر بن الحكم ، وجبر بن أبي عبيد[5] وقيس بن حبيب : أخو أبي محجن[6] ، وهذا يدل على أن عدد الثقفين الذين اشتركوا في يوم الجسر ، يفوق ذلك كثيراً ، لأن أثرهم يومئذ كان بارزاً : فالقيادة منهم ، والمحاربون البارزون منهم... وكذلك الشهداء[7] .

وأما أعمال أبي محجن يوم الجسر ، والبطولات التي أبداها ، فإن ما وصل الينا من تفاصيلها القليلة يدل على أنه كان له شأن يذكر في تلك الأمواج المتلاطمة من المحاربين ولولا ذلك لما أتيح له أن يتقدم غيره ، ويبرز مُعلَماً من بين الآلاف المؤلفة . إلا أن أكثر المؤرخين قد غمطوه حقه ، ولم يوفّوه حسابه من الإنصاف ، وينظروا إليه بعين العدل :

---

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣٠٨ ، والطبري ٣ / ٣٥٧ وابن الأثير ٢ / ٢٩٧ .

(٢) الطبري ٣ / ٤٥٥ .. وابن الأثير ٢ / ٢٩٧ . وفي فتوح البلدان ٢ / ٣٠٩ والاستيعاب ١٧١٠ أن الفرس هم الذين قطعوا الجسر . أما صاحب المروج فيذكر ٢ / ٣٠٧ أن أبا عبيد هو الذي أمر بقطع الجسر لما خلف الفرات وراءه .

(٣) المروج ٢ / ٣٠٨ والطبري ٣ / ٤٥٧. وقيل غير ذلك — انظر شرح ديوان أبي محجن : القطعة ٣ .

(٤) الإصابة ٤ / ٤٥ .

(٥) قادة فتح العراق ٢١٩ .

(٦) الأخبار الطوال ١١٣ .

(٧) المجتمعات الإسلامية ٣٤.

فالبلاذري يكتفي بالإشارة إلى أن أبا عبيد الثقفي لما ضرب خرطوم الفيل ، حمل عليه أبو محجن فضرب رجلـه فعلّقها(١) . وتبعه على ذلك ابن عبد البر وأبو هلال العسكري(٢) .

وأثار لنا الدينوري جانباً آخر ، وهو أن أبا عبيد ولّى أبا محجن الثقفي الخيل ووقف هو في القلب(٣) . أما ابن الأثير فيذكر أن أبا محجن قاتل قتالاً شديداً مع عروة ابن زيد الخيل ، عندما عبر المسلمون الجسر إثر هزيمتهم(٤) .

وكنا ننتظر من الطبري ، في تاريخه الكبير ، أن يفصل القول فيما نحن فيه ، ويخص أبا محجن بنصيب من الأخبار المسندة الوافية ، إلا أنه خالف عن عادتـه تلك ، ولم يشر إلى أبي محجن في حديث يوم الجسر من قريب أو بعيد ، فكان مجحفاً بحقه قاسياً عليه .

ولولا أن أبا محجن قد أنصف نفسه، بعض الإنصاف، في شعرٍ قاله في ذلك اليوم بدافع من حزنه على أبي عبيد ، .. لولا ذلك لما عرفنا جوانب أخرى من يوم الجسر الذي قام على أكتاف الثقفيين ، وما قام به أبو محجن من فروسية وبطولة تنبئان عن شجاعته وإقدامه ، وأنه لم يقصر في دفع الأعداء عن قومه والمنافحة دونهم ، وإن كتبت له الحياة ، وحضرت آجالهم . ولا شك أنّ ما قاله من شعرٍ في ذلك اليوم يعدّ وثيقة تاريخية ، إذ يكاد أبو محجن وحده يستأثر بما قيل في وصف المعركة بعد أن سكتت أصوات الشعراء في تلك المحنة . ومما قاله عن نفسه :

وما لمتُ نفسي فيهم ، غيرَ أنها ... إلى أجَلٍ لم يأتِها وهو عاجـلُ
وما رِمتُ حتّى خرّقوا برماحهم ... ثيابي ، وجادت بالدماء الأباجِلِ
وحتّى رأيتُ مُهرتي مُزْوَئِرّةً ... لدى الفيلِ يَدمَى نحرُها والشواكل
وما رحتُ حتّى كنت آخرَ رائح ... وصرِّعَ حولي الصالحون الأماثـلِ

---

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣٠٨ .

(٢) الاستيعاب ٤ / ١٧١٠ وشرح ديوان أبي محجن : مقدمة القطعة ٣ .

(٣) الأخبار الطوال ١١٣ .

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٧. وعروة بن زيد الخيل : طائي ، من رجال الفتوح في صدر الإسلام ، عاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين . وفي اجتماعه بالنبي « ص » شك — الإصابة ٢ / ٤٦٩ .

فهو يذكر مآثره في تلك الموقعة لا مفتخراً ولا مباهياً ، وإنما هو يريد أن يبرىء ساحته من التقصير ، ويدفع عن نفسه تهمة التخاذل ، بعد أن قتل ذوو قرابته من الثقفيين وبقي هو حياً . إنه يصرّح بأنه لم يبرح ميدان الجلاد حتى مزقت رماح الأعداء ثيابه ، وملأت الجراح المدمّاة جسمه وجسم جواده الذي ازورّ نافراً أمام الفيل ، بل إنه كان آخر من غادر ساحة المعركة بعد أن حمى جانب الجسر للعابرين المتراجعين ، ورأى بعينيه أصحابه الأفاضل يُصرعون .

على أن بعض المصنفين يذكرون لأبي محجن عملاً قيادياً في معركة الجسر ، ويجعلونه أحد الثقفيين السبعة الذين تتابعوا على أخذ الراية بعد مقتل أبي عبيد . ويروون أن أبا عبيد قد أوصى أصحابه قبل هجومه على الفيل الأبيض بقوله : « يا معشر الناس ! إني حامل على هذا المخلوق ، فانظروا : إن قتلته وهزمت من حولَه فأنا أميركم ، وإن قُتلت فأخي الحكم أميركم ، فإن قُتل فولدي وهب أميركم ، فإن قُتل فولدي مالك ، فإن قُتل فولدي جَبر ، فأبو محجن ، فالمثنى »(١) .

وهذه الرواية تفتقر إلى سند صحيح ، لأنها لا تتفق مع ما ذكره الطبري وابن الأثير(٢) من أن أولئك الثقفيين السبعة قد قتلوا ، حتى أخذ المثنى الراية . والمثنى لم يقتل ولا أبو محجن .

د ـ أُلّيس الصغرى(٣) :

تابع المثنى سيره إلى أُلّيس ، بعد انسحابه إلى المروّحة ، فنزلها في اليوم التالي مع الآلاف الثلاثة الذين بقوا معه(٤) . أما بهمن جاذويه فقد رجع بجنده إلى المدائن بعد أن ثار الفرس برستم وعادت الاضطرابات إلى البلاد ، ولم يتخلف من قواده إلا جابان ومردانشاه في كتيبة من الجند . وكان هذان القائدان قد خرجا في ذلك اليوم ، حتى أخذا بالطريق في بعض الخيل ، وظنّهم بالعرب أنهم منفضّون ، وأن شوكتهم قد انكسرت

---

(١) المثنى بن حارثة ١١٢ .

(٢) انظر ص ٦٦ .

(٣) أليس : موضع على الفرات في أول أرض العراق من ناحية البادية، وكان خالد بن الوليد قد فتحها سنة ١٢ أو ١٣ هـ . « ياقوت » .

(٤) فتوح البلدان ٢ / ٣٠٨ والطبري ٣ / ٤٥٨ .

فأخبر أهل ألّيس المثنى بخروجهم ، وبما أنهي إليهم عن بلاط فارس . فخرج المثنى في رجاله وفي عدد كبير من الأليسيّين(١) ــ وكان أبو محجن فيمن خرج معه ــ وانطلق يطوي المسافة حتى أسر قائدي الفرس وأصحابهما ، وضرب أعناقهم جميعاً(٢) .

وقد اشترك أبو محجن في يوم ألّيس هذا ، وأبلى فيه بلاءً حسناً أيضاً(٣) ، ولكن لمّا رجع المثنى إلى عسكره في ألّيس ، هرب أبو محجن من هناك وترك المثنى يتابع فتوحه في أرض العراق(٤) . وقد أشار إلى ذلك في آخر قصيدته السالفة التي رثى فيها أبا عبيد فقال :

مررتُ على الأنصار وسْطَ رحالهم ... فقلت لهم : هل منكمُ اليومَ قافلُ ؟
وقرّبت رَوّاحاً وكُوراً وُنمْرُقاً ... وغودرَ في « ألّيسَ » بكرٌ ووائل
ألا لعنَ اللهُ الذينَ يَسرُّهم ... رَدايَ ، وما يدرون ما اللهُ فاعل

ويبدو أنه كان لمعركة الجسر وتمزق شمل الثقفيين فيها أثر كبير في نفسه ، شأن غيره ممن ثقل عليهم الأمر واستحيوا مما نزل بهم(٥) ، فدفعه ذلك إلى مغادرة ألّيس ، والاتجاه إلى المدينة ، عاصمة الخلافة ، والألمُ يعصر نفسه . وبذلك طويت أول صفحة ناصعة مشرقة من حياة أبي محجن ، حبّر أسطرها بمداد من المفاخر والمآثر ، التي سلكته في الخالدين ، ثمّ آب بعدها إلى المدينة ونفسه نهب للهواجس ، ومسرح للقلق ، لم يحقق ما صبا إليه من النصر المؤزر .. لقد عاد وحده بعد أن ذهب الذين يحبّهم من ثقيف ، وبقي هو مثل السيف فرداً .

وفي المدينة تبدأ صفحة أخرى من حياته مع الفاروق عمر ، صفحة لا تخلو من الشوائب والآثام ، بعد أن زانتها النصاعة وأضاء حواشيّها الطهر والنقاء .

٥ ــ صراع وتمــرّد :

آثر أبو محجن المدينة على الطائف ، لتكون له مستقراً ومقاماً ، وماذا يصنع في

---

(١) الفاروق عمر ١ / ١١٦ والطريق إلى المدائن ٤١٧ .
(٢) الطبري ٣ / ٤٦٠ وابن الأثير ٢ / ٢٩٨ .
(٣) معجم البلدان : « أليس » .
(٤) الطبري ٣ / ٤٦٠ وابن الأثير ٢ / ٢٩٨ .
(٥) انظر حركة الفتح الاسلامي ٥١ .

الطائف وقد خلت من رجالها البارزين الذين بعثرتهم الفتوح ، ونامت فيها الحياة بعد الحركة ؟

لقد عاد إلى المدينة ليشعر بالفراغ الواسع ، واضمحلال الأماني والآمال ، بعد أن فُقد الألمعيّون من بني عمه ، والأفذاذ في كفايتهم ومقدرتهم .. وبذلك هيمن عليه الحزن واليأس . وهذا – في رأينا – ما مهد لسلائقه الخفيّة أن تعود فلا تفارقه ، فإذا به كما عهدناه « رضيع كأس ، وتبْع نساء ، وصنّاجة شعر » ... لقد استجدّت الألفة بينه وبين الصهباء ، فآض يحتسي ، ويتغزل ، ويقْرض ، بعد أن سكت شيطان شعره سنوات طوالاً .. بل كأن موهبته الشعرية لم تتدفق إلا في هذه الآونة ، أو أن قريحته الشعرية لم تفض من قبل كما فاضت الآن ، وكان له في ذلك كله عزاء وسلوى .

ولعل بيئة المدينة قد اجتذبت أبا محجن إلى مسايرتها أيضاً ، فقد كان فيها – إلى جانب حياة الزهد والورع – حياة أخرى سادت الحجاز ، هي حياة المرح والطرب ، واللهو والترف . فامتلأت مكة والمدينة وضواحيهما بالمغنين والمغنيات ، وكان في ظرف أهل الحجاز ، ورقة طباعهم واحتفائهم بالطرب تربة صالحة لنماء هذا الغرس ، وازدهار الشعر والأدب أيضاً(1) .

وهكذا فإن أبا محجن وجد بيئة خصبة لنوازعه ، فلم يكفّ هو وندماه عن صبواتهم الليلية وتتبع « رياض الأرض ، يشربون ، ويطربون ، ثم يرجعون إلى المدينة نشاوى من القصف والعزف ، فلا تنمّ عليهم عين ، ولا يشي بهم لسان »(2) . ومثل هؤلاء لم تبرأ نفوسهم من ظلال الجاهلية ، ولم تصفُ من كل آثارها ، ولا تجاوبت كل التجاوب مع الحياة الجديدة بنزوعها وتفكيرها ، بأوامرها ونواهيها ، فأسرفوا إسرافاً يوشك أن يبلغ حدّ المجون(3) .

ويبدو أنه « لم تستطع هوادة الإسلام ، ولا صرامة عمر ، أن تكفكفا نوازع الهوى في نفوس نشأت على فتون الجهالة ومرح الشرك ... وكان وادي العقيق(4) قلّما يفيض

(1) انظر فجر الإسلام ١٧٦ .

(2) الزيات : مجلة الرسالة ، العدد ٢٩٧ ص ٣٨٧ .

(3) تطور الغزل ٢٣١ .

(4) يقع وادي العقيق على بضعة أميال من المدينة ، وفيه عيون ونخيل ، وقصور ومنازل – « ياقوت » .

دون أن تنتظم على حواشيه الخضر مجالس الشراب، وسوامر الأحباب، يتساقون – في غفلة العيون – كؤوس الراح والصبابة، ولكنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيبوا عن عيون العسس، ولا أن يفلتوا من يد الخليفة، مهما تستروا بالليل، وتحصنوا بالبعد»(1).

على أن ولاية الفاروق كانت ضربة قاصمة لظهور أولئك وأمثالهم، فهو الشديد في الحق، وهو الذي طارد الجريمة في كل مكان، وهاجم الرذيلة في كل مكمن، وكشف عهده من أمر أبي محجن وأقرانه ما كان مستوراً.

ويلاحظ الباحث كثرة معاقري الخمرة أيام عمر، وكثرة من أقيم عليهم الحد في زمنه، ولا شك أن السبب في هذه الكثرة لا يعود إلى ازدياد عدد الشاربين لعهده، وإنما يفسر بتشدد عمر في مطاردتهم، مهما كان نوع الشراب الذي يحتسونه، أو مهما اختلفت أسماؤه ودرجته من الإسكار. ويجمع المفسرون على أن آيات تحريم الخمرة إنما نزلت بسبب عمر بن الخطاب الذي كان لا يفتأ يدعو الله ويقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً(2).

فمن الطبيعي بعد هذا، ألا يكون أبو محجن أثيراً لدى عمر، ما دام مدمناً الشراب منهمكاً فيه.. حتى إن عمر جلده مراراً، بلغت سبعاً أو ثمانياً، وهو لا ينتهي(3). وفي الأغاني وغيره بعض قصص لأبي محجن مع الفاروق، لا تخلو من الطرائف. منها: أن عمر أتي بجماعة فيهم أبو محجن وقد شربوا الخمر. فقال: أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله؟ فقالوا: ما حرمها الله ولا رسوله، إن الله تعالى يقول: «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات»(4). فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا. فبعث إلى علي بن أبي طالب فشاوره، فقال علي: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير. فسكتوا. فقال عمر: ما ترى فيهم؟ قال علي: أرى – إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها – وهم يؤمنون أنها حرام – أن يحدوا. فسألهم فقالوا:

(1) الرسالة: العدد ٢٩٧ ص ٤٨٧.
(2) تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٦.
(3) المصنف ٩ / ٢٤٧ والعقد الفريد ٦ / ٣٥٠ والأغاني ١٨ / ٢٨٩ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وقطب السرور ١٢٠ والكشف عن مساوىء الخمر ٢٧ / ٢ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦.
(4) المائدة ٩٣. ويبدو أن كثيراً من الشاربين كانوا يشهدون بهذه الآية إذا أريد إقامة الحد عليهم. انظر «المصنف» ٩ / ٢٤٠ – ٢٤٥.

والله ما شككنا في أنها حرام ، ولكنا قدّرنا أن لنا نجاة فيما قلناه . فجعل يحدهم رجلاً رجلاً ، وهم يخرجون ، حتى انتهى إلى أبي محجن . فلما جلده أنشأ يقول :

ألم ترَ أن الدهر يعثرُ بالفتى ... ولا يستطيع المرءُ صرفَ المقادرِ
صبرتُ فلم أجزَع ولم أكُ كائعاً(١) ... لحادث دهرٍ في الحكومة جائرِ
وإني لَذو صبرٍ ، وقد مات إخوتي ... ولستُ عن الصهباء يوماً بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنين بحتفِها ... فخلاّنُها يبكون حول المَعاصرِ

فلما سمع عمر قوله : (ولست عن الصهباء يوماً بصابر) قال : قد أبديتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر . فقال له علي : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال : لأفعلنّ ، وهو لم يفعل ، وقد قال الله في الشعراء : « وأنهم يقولون ما لا يفعلون »(٢) . فقال عمر : قد استثنى الله منهم قوماً فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »(٣) فقال علي : أفهؤلاء عندك منهم ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشرب العبدُ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن »(٤) !

ودخل أبو محجن مرة على عمر ، فظنه قد شرب ، فقال : استنكِهوه . فقال أبو محجن : هذا من التجسس الذي نُهيتَ عنه . فتركه(٥) .

ويلاحظ الباحث أن أبا محجن وأضرابه كانوا ، على اشتهائهم الخمر ، يرعون حرمة الدين فيستترون حين يتعاطونها ، ويتصيدون المنافذ من حلقات الأحكام والآيات(٦) . وقد سبقت الإشارة إلى أن الأمر لم يبلغ بأبي محجن حدّ العربدة والفجور ، على الرغم من الإدمان ، بل كان يتستر على المعصية ولا يعلنها جهاراً على الملأ ، ما أمكنه ذلك ، قانعاً بالعكوف على العُقار في بيته مع نفر من الندامى ، أو في بيت أحدهم ، حتى يشي بهم واشٍ إلى عمر ، فيكون منه ما يكون .

ويبدو أن إقامة الحدّ عليه كانت تزيده إصراراً وعناداً ، أو لعله كان يعتقد أن

---

(١) جباناً هياباً .
(٢) سورة الشعراء ٢٢٦ .
(٣) الشعراء أيضاً ٢٢٧ .
(٤) الأغاني ١٨ / ٢٩٨ .
(٥) الإصابة ٤ / ١٧٤ .
(٦) تطور الغزل ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الجلد يطهره من إثم الشراب ويحفظ له مكانته في المجتمع فلا يكون من سقط المتاع ولا تزول عنه بقية السيادة والشرف . وذلك ما أفصح عنه في قوله لسعد بن أبي وقاص فيما بعد : « قد كنت أشربها إذ كان الحدّ يقام عليّ وأطهّر منها ، فأما إذ بهرجتَني فلا والله لا أشربها أبداً »(١) .

على أنه لا بد لنا – ونحن في هذا الحديث – أن نقف عند أمر يتصل منه بسبب ، ذلك أن أبا محجن ينكر – في خبرٍ له مع زوج سعد في القادسية – أنه كان يشرب الخمر ، بل يكتفي بوصفها في شعره فحسب . ومما قاله لا مرأة سعد : « أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امروٌ شاعر يدبّ الشعر على لساني فأصف القهوة ، وتداخلني أريحية فألتذ بمدحي إياها ، فلذلك حبسني .. »(٢) .

هذه الرواية التي تدفع اتهام أبي محجن بشرب الخمر : لا تقف وحدها في وجه ذلك الحشد الذي تواتر ، من أخباره وأشعاره ، على شربه العُقار أيام عمر ، وجلدِه فيها مراراً . وهي من الوهن والتداعي بحيث تتوارى أمام نور الحقائق وضوء التواتر ، حتى إن إبن حجر قد ردّها وضعّف من رواها وتولّى كِبْرها(٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد لبث أبو محجن على شرب الصهباء ومعاقرة ابنة العنقود . ولكنه لم يقف بها ، ولم يكتف بما اجترح ، بل غدا صاحب صبوة وتتبّع نساء ، وهذا ما زاد الأمر سوءاً وكان ضِغثاً على إبّالة :

فقد روى أبو الفرج(٤) أن أبا محجن هويَ امرأة من الأنصار يقال لها «الشّموس»(٥) وحاول النظر إليها والتملّي برؤيتها بكل حيلة فلم يقدر عليها ، فآجر نفسه من عامل يعمل في بستان إلى جانب منزلها . فأشرف من كوة في البستان فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشّموس ، ودونَها ... حرَجٌ من الرحمن غيرُ قليـــلِ
قد كنتُ أحسبُني كأغنَى واحـدٍ ... وردَ المدينةَ عن زراعةِ فُــولِ

(١) الأغاني ١٨ / ٢٩٥ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦ .
(٢) مروج الذهب ٢ / ٣١٦ والطبري ٣ / ٥٤٩ وعنه الاغاني ١٨ / ٢٩٤ .
(٣) الإصابة ٤ / ١٧٥ .
(٤) الأغاني ١٨ / ٢٨٩ .
(٥) رجح ابن حجر أن تكون من الصحابة ـ الإصابة ٤ / ٣٣٥ .

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب . وعندئذ ضاق الفاروق به ذرعاً ، وأعياه أمره . فلم يجد بُدّاً من نفيه إلى مكان بعيد(١) ، بعد أن أصبح خطراً على المسلمين وشقاً في حائط الدين يخشى أن يصدّعه ، في هذا الوقت الذي تنساب فيه الفتوح في بلاد الشام والعراق .

و — إلى المنفى :

فكيف نُفي أبو محجن ؟ وما قصّة تغريبه ؟ ومن الذي رافقه إلى المنفى ؟

يروي أبو الفرج(٢) أن عمر نفى أبا محجن إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضَى وبعث معه حرَسياً يقال له : ابن جهراء النَّصري(٣) ، وقال له : لا تدَع أبا محجن يخرج معه سيفاً . لكن أبا محجن عمد إلى سيفه فجعل نصله في غرارة ، وجعل جفنه في غرارة أخرى وفيهما دقيق له . فلما انتهى إلى الساحل ، وأوشكت السفينة أن تقلع به ، اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء : هلم نتغدّ . ووثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقاً ، وأخذ السيف . فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو(٤) حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر ، فأخبره الخبر . وفي ذلك يقول أبو محجن :

الحمد لله نجّاني وخلّصني ... من ابن جَهراءَ ، والبوصي قد حُبسا
مَن يجشَم البحرَ ، والبوصيُّ مركبُه ... إلى حضَوضَى ، فبئس المركبُ التَمَسا
أبلغ لديك أبا حفص مغلغلة ... عبدَ الإلهِ إذا ما غار أو جلَسا :
إني أكرُّ على الأولى إذا فزعوا ... يوماً وأحبِس تحت الراية الفرسا...

على أن هناك رواية أخرى أوردها أبو الفرج أيضاً(٥) تزيد على الأولى أن عمر أرسل مع أبي محجن حارسين اثنين ، ولم يسمّ الحارس الثاني . ولعل هذه الرواية أصح ، يدل على ذلك قول أبي محجن في تلك المناسبة نفسها :

(١) هما روايتان في سبب نفيه جمعنا بينهما : شربه الخمرة وقصته مع الشموس . وتتابع الحوادث يقتضي هذا الجمع .
(٢) الأغاني ١٨ / ٢٨٩ . وتبعه في ذلك صاحب العقد الثمين ٨ / ٩٦ باختصار .
(٣) في الإصابة ٤ / ١٧٤ وبعض نسخ الأغاني « في هـ . ط . دار الشعب » : البصري .
(٤) في الكشف عن مساوىء الخمر ٢٧ / ٢ : « فهم أبو محجن بتتله ، ففر عنه ، أو تغافل عن حفظه ، على اختلاف في ذلك »
(٥) الأغاني ١٨ / ٢٩١ وهي في الإصابة أيضاً ٤ / ١٧٤ .

صاحبا سوءٍ صحبتُهما صاحبَاني يوم أرتحلُ
ويقولان : ارتحِلْ معَنا وأقول : إنني ثَمِل
إنني باكرتُ مُترعَةً مُزّةً ، راووقُها خَضِل

وقد عرف الفاروق كيف يعاقب ، فليس كهذا النفي ما يؤلم أبا محجن ويؤدبه ، حيث يمكث وحده في جزيرة أو جبل ، بلا شراب ولا صبوة . و (**حضَوضَى**) التي نفي إليها أبو محجن : هي عند أبي الفرج « جزيرة في البحر »(1) وحسب . وعند ياقوت : «جبل في الغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلصاءها» . ومثله عند الفيروزابادي لكنه جعله جبلاً « في البحر .. »(3) . ويرد في هذه المادة أيضاً ذكر « حَضُوض » – كصَبور – على أنه « نهر كان بين القادسية والحيرة »(4) ، وهذا في الشرق لا في الغرب . وليس بين أيدينا من المصادر ما يعيننا على تحديد هذا المكان الذي غُرِّب إليه أبو محجن تحديداً صحيحاً وافياً أكثر مما ذكرنا(5) .

على أن رواية أخرى مخالفة ذكرها البلاذري ، وهي أن عمر نفى أبا محجن إلى (باضِع) . وتفيد هذه الرواية أيضاً أن أبا محجن لبث في منفاه مدة ، ولم يهرب في الطريق من حارسَيْه ، بل تخلص من المنفى حتى لحق بسعد في القادسية(6) .

و « باضع » هذه : جزيرة في بحر اليمن ، يتكلم أهلها الحبشية(7) . أو موضع بساحل الحجاز ، في قول آخر(8) . وقيل : موضع بساحل بحر اليمن ، أو جزيرة فيه »(9) .

---

(1) وكذا نقل ياقوت عن الحازمي ، لكنها عند الحازمي « حضوض ، بغير ألف " .
(2) معجم البلدان .
(3) القاموس المحيط « حضض » وذكر أنه يقال أيضاً « حضوض » على زنة صبور .
(4) القاموس المحيط . وعند ياقوت : " الحضوض " بضم الحاء ، ضبط قلم .
(5) في كتاب « القادسية » ص ٢٤٦ أن حضوضى جزيرة في الخليج العربي . (!) .
(6) انظر فتوح البلدان ٢ / ٣١٦ . وقد نقل الطبري ٤ / ٣٨ عن الواقدي أن نفي أبي محجن إلى باضع كان سنة ١٦ هـ .
(7) معجم البلدان . وزاد في مراصد الاطلاع ١ / ١٥٤ «وهي اليوم خراب» .
(8) معجم ما استعجم ١ / ٢٢١ .
(9) القاموس المحيط « بضع » .

ولعل اختلاف هاتين الروايتين في تعيين مكان النفي – ما بين حَضَوْضَى وباضِع – هو الذي حدا ببعض الدارسين المعاصرين – من عرب ومستشرقين – إلى الاعتقاد أن أبامحجن نفي مرتين في عهد عمر. ولكن التصحيف أصاب الموضع الثاني لديهم جميعاً أو لعله اجتهاد منهم، فهو عند فريق: (ناصع)[1]، وعند آخر (باصع)[2].

ولكن هذا الرأي ليس له مستند تاريخي يرفع ذكره، ثم إنه لا يخلو من اضطراب، لأنه جعل أبا محجن يهرب من ابن جهراء أول مرة ويلحق بسعد في القادسية، ثم يعود بعدها إلى المدينة ومعاقرة الخمرة ثانية، حتى اضطر عمر إلى نفيه من جديد إلى (ناصع) أو (باصع) حيث توفي بعد قليل.

هذا، مع أن البلاذري يصرّح – كما سبق – أن أبا محجن إنما هرب من (باضع) نفسها إلى القادسية ملتحقاً بسعد، ولم يعد بعدها إلى المدينة. كما أن وفاته لم تكن في (باصع) كما يدعي بروكلمان، بل كانت في (أذربيجان) أو (جرجان)، مما يدل على أنه تابع الفتوح بعد القادسية، كما سيأتي.

فالإجماع واقع بين المؤرخين القدامى على أن أبا محجن نفي مرة واحدة وأنه لحق من فوره، بسعد، في القادسية إثر نفيه؛ لكن الاختلاف بينهم في تسمية المنفى. وتصريح أبي محجن نفسه، في شعره، بأن نفيه كان إلى حَضَوْضَى يجعلنا نعتقد أن البلاذري قد وهم في ذكر باضع، والتبعة في ذلك تقع على الراوي، وكم من مكان أو علَم اختلفت المصادر في تعيينه ولم ترقَ إلى مرتبة اليقين في الترجيح. ويحتمل أيضاً أن تكون حضَوضَى وباضع في منطقة واحدة، فاختلط الاسمان، ولو عنيت كتب البلدان بمثل ذلك، وبمدى تابعية الأماكن بعضها لبعض، لوصلت إلينا المعلومات الجغرافيّة كافية دقيقة وخالية من اللبس. وقد رأينا الأمر مرتبكاً في ضبط كل من حضَوضَى وباضِع، وفي تحديد موقعيهما.

ومن تمام البحث أن نشير إلى رواية ثالثة أخـذ بها الحصري، من المتقدمين،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٩٩ ودائرة المعارف ٥ / ١٠٧ – ١٠٨ « بستاني ». وهو موضع من بلاد الحبشة، كما في معجم البلدان. ويقال أيضاً (ناضع) كما في مراصد الاطلاع ٣ / ١٣٤٩.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ / ١٦٧، قال: " نفاه عمر إلى باصع، وهي مدينة مصوع على سواحل الحبشة، وتوفي بها بعد مدة وجيزة ". ولم يرد ذكر لاسم (باصع) فيما بين أيدينا من كتب البلدان.

والدسوقي ، من المتأخرين . وهذه الرواية تقوم على أن عمر نفى أبا محجن إلى القادسية في العراق بعد أن حدّه وضاق به ذرعاً ...(١) ولكن هذه الرواية مرجوحة ، لا تثبت على التحقيق والتمحيص ، وهي تتجاوز قصة نفي أبي محجن في صحبة ابن جهراء ، وتطوي المسافة بأبي محجن من المدينة إلى القادسية مباشرة .

ومهما يكن من شيء فقد وجد أبو محجن نفسه طليقاً بعد تخلصه من حارسه أ من منفاه . ولكن هذه الحرية لا تروق له ، ولا يستمرئها فؤاده ، فأين يولي وجهه ؟

إنه لن يعود إلى المدينة وفيها عمر الذي يقف له بالمرصاد ، ولن يكون منه جانب للهو والعبث بعد اليوم ، وقد أيقن أنه ليس له خير في الحياة إذا عدّ من سقَط المتاع وعاش عيشة الضعفاء المساكين ، أو عيشة النساء فيخدورهنّ ، وهوالفارس المقدام الذي يضرّ بجسمه طول الجَمام... فلتكن وجهته إذاً إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة الجهاد والتضحية ، ويسيحون في سواد العراق ، يغبّرون في السرايا ويدخلون من قَتَام في قتام ، ويستعدون لمعركة القادسية ، وفي ذلك ما فيه من إشباع رغبته في القتال والحرب العوان ....

وعندئذ « حسن عنده أن يتلاقى قبيح فعله بأثرٍ يظهره في جهاد عدو الإسلام فلحق بسعد بالقادسية ، فكان معه تلك الأيام هناك »(٢) .

ز ــ في القادسيــــــة :

كان عمر بن الخطاب قد سيّر سعداً إلى العراق مدداً للمثنى عقب معركة الجسر ، إلا أن المثنى مات قبل قدومه ، فنزل سعد بالقادسية واستعدّ لقتال الفرس ، وقائدهم رستم(٣) . وفي تلك الأثناء وصل أبو محجن إلى القادسية والسنة السادسة عشرة قد أظلّت

(١) انظر جمع الجواهر للحصري ٨٣ وحاشية الدسوقي على مغني اللبيب ١ / ٣٠ .

(٢) الكشف عن مساوىء الخمر ٢٧ / ٢ و ٢٨ / ١ .

(٣) الطبري ٣ / ٤٨٨ . القادسية : قرية قرب موضع الكوفة ، بينهما خمسة عشر فرسخاً . « ياقوت » .

الناس(١) . وكان بسعد علّة تمنعه من الركوب ، فاستخلف على الناس خالد بن عُرفُطة(٢) ، وأشرف على الناس من فوق القصر يأمر ويرشد . إلا أن نفراً من وجوه القوم – وفيهم أبو محجن – شغبوا على سعد قبل بدء القتال ، لاستخلافه خالداً ، واتّهموه بالجبن والقعود عن قيادة المعركة . فما كان من سعد إلا أن حبس أولئك النفر جميعاً وقيّدهم في القصر(٣) .

هذه إحدى الروايات في سبب حبس أبي محجن في قصر القادسية لدى سعد بن أبي وقاص . وهناك رواية أخرى مستبعدة جاءت على لسان أبي محجن نفسه ، وهي أنه كان يصف الخمرة ويمدحها في شعره فحبسه سعد . وقد بيّنا وهنَ هذه الرواية فيما سبق(٤) .

ولدينا ، بعدُ ، روايتان أخريان في سبب سجن أبي محجن :

الأولى : أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد يأمره بحبس أبي محجن وتقييده ، بعد أن علم بهربه من ابن جهراء . ففعل(٥) .

والثانية : أن أبا محجن لمّا لحق بسعد في القادسية لبث يشرب الخمرة ، كعادته ، فتهدّده سعد وحدّه مراراً ، بلا جدوى . فأمر به إلى القيد(٦) .

---

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣١٤ . وقيل إن ذلك كان سنة ١٥ هـ . « المروج ٢ / ٣١٣ وتاريخ خليفة ١ / ١٠١ ، والطبري ٣ / ٥٣٨ وابن الأثير ٢ / ٣٠٥ ». وذهب آخرون إلى أن وقعة القادسية كانت سنة ١٤ هـ. « المختصر ١ / ١٦١ والشذرات ١ / ٢٨ » . هذا وفي فتوح الشام ٢ / ١٨٥ أن أبا محجن اشترك في فتح الحيرة البيضاء ، التي قاد معركتها سعد بن أبي وقاص ، وانتصر على جيوش الحيرة التي يقودها النعمان بن المنذر ، من عرب العراق الذين جعلهم الأكاسرة عوناً لهم على أعدائهم . وتزعم الرواية أن سعداً انصرف إلى القادسية بعد أن سبقه المنهزمون إليها وانضموا إلى الفرس . وفي هذا الخبر نصيب كبير من الخيال ، فالمعروف أن خالداً هو الذي فتح الحيرة وأن النعمان لم يقتل في هذه الموقعة .

(٢) صحابي من بني عذرة ، كان مع سعد في فتوح العراق ، استخلفه سعد على الكوفة أيضاً بعد القادسية ، وفيها مات سنة ٦٠ هـ ، زمن معاوية – الاستيعاب ٢ / ٤٣٤ والإصابة ١ / ٤٠٩ .

(٣) الأخبار الطوال ١٢١ والطبري ٢ / ٥٣١ وابن الأثير ٢ / ٣٢١ .

(٤) انظر ص ٧٣ .

(٥) الأغاني ١٨ / ٢٩٠ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٦ والعقد الثمين ٨ / ٩٧ .

(٦) المصنف ٩ / ٢٤٣ وفتوح البلدان ٢ / ٣١٦ والأغاني ١٨ / ٢٩٥ والطبري ٣ / ٥٧٣ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٨ ، ١٧٥٠ وقطب السرور ١٢٠ والكشف عن مساوىء الخمر ٢٨ / ١ وفتوح الشام ٢ / ١٩١ والعقد الثمين ٨ / ٩٧ .

تلك روايات أربع تعلل حبس أبي محجن ، ولا يصعب الجمع بينها ، لقرب العهد ، وتتابع تلك الأحداث في وقت قصير يتسع لتلك الأسباب أن تتواصل وتصب في مجرى واحد.

مضى اليوم الأول من أيام القادسية – وهو يوم أرماث – وأبو محجن رهين السجن والقيد، وكانت الحرب سجالاً(١) . فلما كان صباح اليوم الثاني – وهو يوم أغواث(٢) – وصلت النجدات من الشام وفي مقدمتها هاشم بن عتبة ، والقعقاع بن عمرو(٣) . وتنشط الناس وباشروا الفرس بالسيوف ، ولبثوا يتجالدون حتى تواقفوا جميعاً في آخر النهار . وأمسى العرب ينتمون أمام الفرس ، وماعتّم الناس حتى تزاحفوا ثانية واشتد القتال في جلبة وصوت حتى انتصف الليل . وسميت هذه الليلة ، في نصفها الأول ، ليلة السواد .

وكان أبو محجن مشرفاً على القوم من سجنه ، يسمع انتماء الناس ووقع الحديد ويرى شدة البأس ، ويتردد تكبير الناس في أذنيـــه ، ويبلغهما حسّ الحرب وتنازل الأقران ... فعندئذ ثارت حميته ، وتأسف على ما يفوته من تلك المواقف التي طالما هفت نفسه إليها ، ووجد فيها شفاء لنفسه الظمأى إلى النهل من دماء الأعداء .

فما كان منه – وهذه حاله – إلا أن حبا بقيوده إلى سعد يستعفيه ويستشفعه ، ويسأله أن يخلّي عنه ليحظى بشرف الجهاد . لكن سعداً انتهره ومنعه . فانحدر راجعاً حتى أتى زوج سعد : سلمى بنت خصفة(٤) ، وقال لها : هل لك إلى خير ؟ قالت :

(١) خبر هذا اليوم في الطبري ٣ / ٥٢٩ وابن الأثير ٢ / ٣٢٠ . وسماه المسعودي ٢ / ٣١٣ وأبو الفداء ١ / ١٦١ : يوم أغواث .

(٢) خبره في الطبري ٣ / ٥٤٢ والأغاني ١٨ / ٢٩٠ وابن الأثير ٢ / ٣٢٤ والمروج ٢ / ٣١٣ ، وهي أهم المصادر التي تحدثت عن القادسية ، وعليها اعتمادنا . وإذا انفرد مصدر آخر بخبر مخالف ، أو أمر يستحق الذكر أشرنا إليه في موضعه من الهامش ، إذ أن خبر أبي محجن في ذلك اليوم قد نال حظاً وافراً من عناية المؤرخين والمؤلفين القدامى ، ما بين مطيل وموجز ، وأكثر ما كتبوه متقارب في المعاني والألفاظ .

(٣) هاشم بن عتبة : شجاع مشهور ، يعرف بالمرقال لإسراعه في الحرب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص . أسلم يوم الفتح وقتل في صفين وكان يحمل راية علي . وأما القعقاع فهو أحد الفرسان الصحابة وشعرائهم، شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق – الإصابة ٣ / ٥٦١ و ٢٣٠ .

(٤) كذا ورد اسمها في الطبري وابن الأثير . وورد في مروج الذهب ٢ / ٣١٧ والأغاني ١٨ / ٢٩٢ والكشف عن مساوىء الخمر ٢٨ / ٢ : " سلمى بنت حفصة " . وقيل إن صاحبة هذا الخبر مع أبي محجن هي " زبراء ، أم ولد سعد " كما في الطبري ٣ / ٥٧٥ ، والبداية والنهاية ٧ / ٤٤ . وسماها ابن سلام في الطبقات ٢٢٥ " زبد ، أم ولد سعد " . ورجح بعضهم بينهما ، فقال البلاذري ٢ / ٣١٧ : " فسأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل .. ويقال إن سلمى بنت حفصة أعطته الفرس . والأول أثبت " وقال صاحب الأغاني ١٨ / ٢٩٢ بعد أن ذكر سلمى وزبراء : " والصحيح أنها سلمى " .

وأم ولد : هي الجارية التي يتخذها الرجل ثم يرزق منها ولداً ذكراً ، فتصبح أم ولد، ويحرم بيعها

وما ذاك ؟ قال : تخلّين عني وتعيريني البلقاء ، فلله عليّ ـ إن سلّمني الله ـ أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، وإن قُتلت استرحتم مني . فقالت : وما أنا وذاك ؟ وأبت أن تجيبه إلى طلبه .

فرجع يوسف في قيوده ، والحزن بادٍ عليه ، وهنا راح لسانه ينطلق بهذه الأبيات التي يعاهد فيها ربّه على هجرِ الخمر وحوانيتها إذا فرّج عنه ما هو فيه ، وحقق أمنيته في الجهاد ، فيقول في صوت باكٍ مَغيظ :

كفى حزَناً أن تَرديَ الخيلُ بالقنـا وأُترَك مشدوداً عليّ وثاقيـا
إذا قمتُ عنّاني الحديد وأُغلِقـت مصاريعُ دوني قد تُصمّ المناديـا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخـوةٍ فقد تركوني واحـداً لا أخاليـا
فلله درّي يوم أُتـرك موثَقـاً وتذهَل عني أسرتي ورجاليـا
حبيساً عن الحرب العَوان وقد بـدَت وإعمالُ غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيسُ بعهـده لئن فُرّجت ألاّ أزورَ الحوانيـا

فلما سمعته سلمى رقّت له وقالت : إني استخرت الله ورضيت بعهدك . فأطلقته وقالت : شأنك وما أردت . فأخذ الرمح واقتاد فرس سعد « البلقاء » ، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق ، ثم ركبها ودبّ عليها من غير أن يشعر به أحد(١) ، حتى إذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبّر وحمل على ميسرة الفرس وهو يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين حتى كشفهم وأوقف مسيرتهم ، وقتل عدداً كبيراً من فتّاكهم ، ونكس آخرين .

هذا والناس ، من الفريقين ، يرمقونه بأبصارهم معجبين ببأسه وإقدامه . وقد تنازعوا في البلقاء: فمنهم من قال إنه ركبها عُرياً ، ومنهم من قال : بل ركبها بسرج(٢).

ثم غاص أبو محجن في المسلمين فخرج في ميسرتهم ، وحمل على ميمنة الأعاجم فأوقفهم ، وجعل يلعب برمحه وسلاحه ، صنيع فعله الأول ... لا يبدو له فارس إلا هتكه حتى هابته الرجال .

---

(١) في جمع الجواهر ٨٤ : " وأقام المسلمون في حرب القادسية أياماً ، فوجهت الأعاجم قوماً إلى القصر ليأخذوا من فيه ، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سعد من غير علمه ، فخرج فأوقع بهم " .

(٢) المروج ٢ / ٣١٥ والطبري ٣ / ٥٤٨ .

ثم رجع من خلف المسلمين فغاص في قلبهم ، وعاد فبرز أمامهم ووقف بإزاء قلب الفرس ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة ، وأوقف القلب حتى لم يبرز من الفرس أحد إلا اختطفه أو حمل عليه فقتله ودقّ صلبه .

ولبث على ذلك يحمل عن العرب والمسلمين الحرب في تلك الليلة ، ليلة السواد ، ويقصف الناس قصفاً منكراً ، ويشق الصفوف بصادق حملاته مقبلاً مدبراً ، ومِكَرّاً مِفرّاً ، لا ينصَب ولا يتوانى ، يهتك الفرسان كالعُقاب أو كالليث الضرغام ، يجول عليهم ويخرق صفوفهم – كما رأينا – حتى حطم بسيفه الفيل الأبيض الذي أخرجه الفرس في ذلك اليوم(١). ولعل ما لقيه من الراحة في السجن قد حال دون إجهاده فكان جمّ النشاط ، موفور القوة .

وكان من حضَر من فرسان العرب وفتّاكهم ينظرون إلى أبي محجن وقد حاروا في أمره ولم يكونوا قد رأوه من النهار ، ويغلب على الظن أنه كان ملثماً ، إذ لو كان حاسر الوجه لعرفوه . أو لعل ظلام الليل حجب عنهم حقيقته . وقد لاحظوا أنه لم يُبل أحد بلاءه ، وتساءلوا : من يكون ؟

فقال بعضهم : هو ممن قدم علينا من إخواننا من الشام ، من أصحاب هاشم بن عتبة ، أو هو هاشم نفسه . وقال بعضهم : إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحروب فهذا هو الخضر ، قد منّ الله به علينا ، وهو علم نصرنا على عدونا. وقال قائل منهم: لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا: إنه ملَك يثبّتنا. بل إن بعضهم ظنوه ملَكاً من الملائكة.

هذا ، ولم يتذكر أحد منهم أبا محجن ، ولا خطر له على بال ، ولا أبهَ له ، لأنهم على يقين أنه بات في محبسه .

أما سعد بن أبي وقاص فقد كان مكبّاً من فوق القصر ، ينظر إلى أبي محجن في ظلام الليل – ويبدو أن الليلة كانت مقمرة صافية – وهو يفكر ويقول : « الطعن طعن أبي محجن ، والضّبر ضبر البلقاء . والله لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن ، وهذه البلقاء »(٢) .

---

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣١٧ .

(٢) الضبر : أن يثب الفرس فتقع قوائمه مجتمعة . وقد روي قول سعد هذا بعبارات أخر متقاربة في بعض المصادر ، مثل فتوح البلدان ٢ / ٣١٧ وطبقات ابن سلام ٢٢٦ والشعر والشعراء ٣٢٧ وعيون الأخبار ١ / ١٨٧ وقطب السرور ١٢١ والإصابة ٤ / ١٧٤ .

ويسجل نفر من القدامى لأبي محجن أنه كان سبب الهزيمة[١] ، بل إنه كان « صاحب الفتح يوم القادسية ، وعن صادق حملاته ومتتابع كرّاته ، وجودة بلائه ، وعظيم غنائه ، كانت الهزيمة يومئذ »[٢] .



تحاجز الناس في منتصف ليلة السواد .. وأقبل أبو محجن عائداً إلى محبسه[٣] ، كما وعد، فرأته امرأة من العرب ، فظنته منهزماً ، فأنشأت تعيّره بفراره متهكمة ، وتُسائل الناس عن فارس يعيرها رمحه لتطاعن به عنه ، متمثلة بقول الشاعر :

مَن فارسٌ كرِه الطِّعانَ يعيرني ... رمحاً إذا نزلوا بمرْج الصُّفَّرِ

فأجابها أبو محجن ، من فوره ، في كناية لطيفة :

إن الكرام على الجياد مَبيتُهم ... فذَري الجياد لأهلها وتعطّري

ثم تابع طريقه حتى دخل القصر من حيث خرج ، ولا يُعلم به ، ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجليه في القيد كما كان ، ووفى لسلمى بذمته[٤] بعد أن ردّ البلقاء إلى مربطها ، ورفع عقيرته قائلاً في نشوة وارتياح :

لقد علمتْ ثقيف غيرَ فخرٍ ... بأنّا نحن أكرمُهم سيوفا ...
وليلةَ قادسٍ لم يشعروا بي ... ولم أُشعِر بمخرجيَ الزحوفا
فإن أُحبَس فقد عرفوا بلائي ... وإن أُطلَق أجرّعْهم حتوفا

ويروى أن سلمى ــ أو أم ولد سعد ــ قالت له عند ذلك : يا أبا محجن ! في أيّ شيء حبسك هذا الرجل ؟ ــ تعني سعداً ــ فقال : أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤٌ شاعر ، يدبّ

(١) طبقات ابن سلام ٢٢٦ وجمع الجواهر ٨٤ وقطب السرور ١٢١ وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٣ .

(٢) الكشف عن مساوىء الخمر ٢٧ / ٢ .

(٣) انفرد ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٤٥ بذكر أن اشتراك أبي محجن في القتال كان في النهار ، وقال : " فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها " . في حين أن المسعودي والطبري وأبا الفرج وابن الأثير يذكرون أن ذلك كان ليلا .

(٤) في العيون ١ / ١٨٧ والشعر والشعراء ٣٣٦ : " وانكشف المشركون ، وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق " .

الشعر على لساني فأصف القهوة ، وتداخلني أريحيّة ، فألتذّ بمدحي إياها ، فلذلك حبسني(١) ، ولأني قلت فيها :

إذا متّ فادفني .... إلخ البيتين

فلما أصبحت سلمى أتت سعداً وقالت له : كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق ، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنها بعض شمائل أبي محجن . فقالت : والله إنه لأبو محجن ، كان من أمره كذا كذا . وقصّت عليه قصته ، وما كان من خبرها معه(٢) . فاستخف سعداً ما رأى من فتوّة أبي محجن ، فدعا به فأطلقه وقال له وهو لا يزال في حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . فقال أبو محجن وقد بدت على محياه سمات النبل ودلائل المروءة : لا جرم والله لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبداً(٣) .

ونرجّح على هذه الرواية – التي سبق توهين ما فيها من حوار – رواية أخرى تذكر أن سعداً « قال : أما والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم . فخلّى سبيله. فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ كان الحدّ يقام علي وأطّهّر منها ، فأما إذ بهرجتَني فلا والله لا أشربها أبداً . وقال في ذلك :

إن كانتِ الخمرُ قدعزّت وقد مُنِعتْ ... وحال من دونها الإسلام والحَرَجُ
فقد أباكرها صِرفاً ، وأمزجها ... رِيّاً ، وأطرب أحياناً وأمتزج
وقد تقوم على رأسي مغنّيـةٌ ... خودٌ إذا رفعت في صوتها غُنُنج
ترفّع الصوت أحياناً وتخفضـه ... كما يطنّ ذباب الروضة الهَزِجُ »(٤)

وهكذا فإن بلاء أبي محجن قد أظفره بعفو القائد النبيل . على أن هذه الصورة الرائعة للفروسية تنسحب ذيولها ويمتد إطارها حتى يشمل ما ظهر في نفس هذا البطل الفذّ من سمات النبل والشرف ، وأمارات الفتوة والمروءة ، إذ أبت عليه نفسه أن يكون فقعاً

---

(١) هذه رواية المروج ٢ / ٣١٦ . وقريبة منها روايتا الطبري ٣ / ٥٤٩ والأغاني ١٨ / ٢٩٤ .
(٢) المصنف ٩ / ٢٤٤ واستيعاب ٤ / ١٧٤٨ وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٣ والعقد الثمين ٨ / ٩٨ .
(٣) المروج ٢ / ٣١٦ والطبري ٣ / ٥٥٠ والأغاني ١٨ / ٢٩٤. ولهذه القطعة من الخبر لفظ آخر فيه بعض الاختلاف وذلك في فتوح الشام ٢ / ١٩١ وقطب السرور ١٢١ .
(٤) الأغاني ١٨ / ٢٩٥ .

بقرقر ، يشرب الخمرة فلا يؤبه له ولا يقام عليه الحد ، فكان منه هذا الموقف السامي إزاء حكم سعد ، الذي طبّق المفصلَ فقابل النبل بمثله أوْ أوفى عليه .

وامتدّت معركة القادسيّة بعد ذلك يومين آخرين ، هما : **يوم عِماس**(١) ، الذي اتصل فيه القتال إلى الليل ، وختم بمصرع رستم ، **ويوم القادسية**(٢) الذي أصبح الناس فيه وهم حسرى ، لم يغمضوا ليلتهم كلها ، وتابعوا الحرب حتى قام قائم الظهيرة ، ودارت الدّائرة على الفرس ، وكتب سعد إلى عمر بن الخطاب بالفتح .

ولم ترو المصادر أيّ خبر لأبي محجن في هذين اليومين . ولعل هول المعركة في اليوم الرابع ، والليلة التي سبقته ، قد طغى على ذكر أبي محجن فغشيه من الإغفال ماغشيه. وآية ذلك أن تلك الليلة سميت ليلة الهَرير لتركهم الكلام فيها ، ولأنهم كانوا يهرّون هريراً ، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم إلى الصباح ، حتى رأى العرب والعجم معاً أمراً لم يروا مثله قط ، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم جميعاً(٣) .

ولا يبعد أن يكون سعد قد ترك أبا محجن في السجن ، ولم يفرغ له إلا بعد انتهاء المعركة ، وهذه المدة من القصر بحيث يصح في الأذهان ألاّ يحلّ قيده إلا في نهايتها . ويؤيد ذلك قول البلاذري(٤) : « فلما انقضى أمر رستم قال له سعد : والله لاضربتك في الخمر ، بعدما رأيته منك ، أبداً » .

على أن هناك رأياً آخر قد يلقي ضوءاً على ما نحن فيه ، وإن انفرد صاحبه به . ذلك هو ماذكره مؤلف الكشف عن مساوىء الخمر(٥) من أن خبر أبي محجن ذاك كان « في آخر أيام القادسية » .

بل إن بعض الكتب لا تعيّن يوم أبي محجن ، وإنما تذكر أنه بعض أيام القادسية(٦)

---

(١) خبره في المروج ٢ / ٣١٧ والطبري ٣ / ٥٥٠ وابن الأثير ٢ / ٣٢٧ .

(٢) الطبري ٣ / ٥٦٣ وابن الأثير ٢ / ٣٢٩. فأيام القادسية عندهما أربعة . لكن تختلف تسميتها ولياليها وعددها عند مؤرخين آخرين ، ولا يتسع المجال هنا للإفاضة في ذلك .

(٣) الطبري ٣ / ٥٦١ وابن الأثير ٢ / ٣٢٩ .

(٤) فتوح البلدان ٢ / ٣١٧ .

(٥) الورقة ٢٨ / ١ .

(٦) الأخبار الطوال ١٢٢ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٧ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٦ .

ويمعن ابن عبد البر في ذلك فلا يقتصر على يوم واحد في بعض رواياته المتعددة ، وإذا به يقول[1] : « فقاتل أيام القادسية وأبلى فيها بلاءً حسناً ثم عاد إلى محبسه » . إلا أن معاصره أبا الفرج ينقض ذلك فيقول[2] : « وليس في كلها كان لأبي محجن خبر » .

ح - توبـــة نصـــوح :

وكان أبو محجن بعد هذا على عهده ووعده : لقد حلف ألاّ يذوق الخمرة، ولا يزور حوانيها ، فبرّ بقسمه ، وفارقها قالياً لها ، وانقلب عليها بعدما كان متيماً بها ، فانبتّ ما كان موصولاً بينهُما من الأسباب ، وانقطع ما كان معقوداً ، فأصبح تلاقيهما لا يُرجى ، بعد أن كان تفرّقهما لا يُخشى ، ولم تنفع جهود الندامى في ردّه إليها وصرفه عما اعتزمه من هجرها ، ولخص لنا قصته الجديدة معها بقوله :

ألم ترني ودّعتُ ما كنت أشـــربُ ... من الخمر إذ رأسي ، لكَ الخير ، أشيَبْ
وكنت أروّي هامتي من عُقارهـــا ... إذِ الحَدّ مأخوذ ، وإذْ أنا أضرَب
فلما درَوا عني الحدود تركتهـــا ... وأضمرت فيها الخيرَ ، والخيرُ يُطلب
وقال لي الندمان لمـــا تركتهـــا : ... أَالجِدُّ هذا منكَ أم أنت تلعـب ؟
وقالوا : عجيبٌ تركك اليومَ قهوةً ... كأنيَ مجنون ، وجلديَ أجــربَ
سأتركها لله ، ثم أذمّهـــــا ... وأهجرها في بيتها حيث تُشــرَبُ

ولم يشرب أبو محجن الخمرة بعد هذا ، بل صدق في توبته النصوح ، وكان من أولي العزم في صبره عن العُقار ، وعدائه الألدّ لها ، وأصبح يذمّها ويكشف عن مثالبها بعد أن طلقها طلاقاً بائناً ، لا رجعة فيه :

فلا والله أشربُها حيـــاتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيمـــا

ويحلو ، بعد هذا ، لبعض الباحثين المعاصرين أن يذهبوا إلى أن أبا محجن لم يُخلِص في توبته ، وأنه غلب عليه التردد الواضح ، في خمرياته ، فبقي مترجحاً بين الشرب والتوبة ، يشرب مرة ويتوب أخرى ، ولم يكن - إلى ذلك - ممن حَسُن إسلامهم[3] .

---

(1) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٧ .
(2) الأغاني ١٨ / ٢٩١ .
(3) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٩٨ ، ودائرة المعارف ٥ / ١٠٧ ، ١٠٨ «بستاني» .

ولكن هذا الرأي لا يثبت على التمحيص ، ولا يقوم أمام حشدٍ من الحقائق التي لا تقبل الجدل ، والتي تكفي الواحدة منها لدحض ذلك الزعم ، فما بالك بها كلها ؟ :

١ — فما آنسناه من أخلاق أبي محجن وصراحته في كثير من المواقف ، أمام عمر وسعد ، يجعلنا نصدّق العهد الذي عاهد سعداً عليه : « وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبـــداً » .

٢ — وما قاله بعد ذلك من شعر في ذم الخمر وإعلان التوبة عنها يصدّق ذلك ويؤيده وليس هنالك من يرغمه عليه .

٣ — ولم نجد أحداً ممن ترجموا له يصمه بذلك ، بل إنهم — حين يعرضون لهذا الأمر — يجمعون على حسن توبته وأنه لم يشربها بعد ذلك(١) .

وأمّا أنه لم يكن ممن حَسن إسلامهم ، فلعلّ هذا يصدق عليه قبل توبته الأخيرة في القادسية ؛ أما بعدها فلا .

---

(١) فتوح الشام ٢ / ١٩١ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٨ والإصابة ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ وتأريخ الإسلام ٢ / ٧٣ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٧ والكشف عن مساوىء الخمر ٣٠ / ١ .

حلقة مفقودة

وتسكت المصادر بعد هذا عن إمدادنا بما يطفىء ظمأ البحث من أخبار أبي محجن سوى أنه غادر العاجلة في أحد الثغور ، حيث كانت الفتوح العربية تسير مظفّرة في نواحي العراق ، وفارس وقزوين وما حولها ، خلال سبع سنوات عاشها أبو محجن بعد القادسيّة .

ونستطيع أن نبني على هذا أن أبا محجن تابع — بعد القادسية — جهاده في تلك الأصقاع ، وأسهم في بعض تلك الفتوح التي انصبت عليها فيما بقي من خلافة عمر .. فقد مضى العرب بقيادة سعد ، يتابعون المعارك ويطاردون الفرس في كل مكان . ولم تمض عدة أشهر على القادسية حتى كانوا قد وصلوا إلى المدائن عاصمة الفرس ، بعد أن عبروا دجلة ، ودخلوها فاتحين منتصرين[1] . ومن المدائن أرسل سعد عدداً من قواده يتقدمون جيشه الزاحف إلى المناطق المجاورة ، شمالاً وشرقاً وجنوباً ، وجعل من مدينة الكوفة — التي اختطّها سنة ١٧ هـ[2] — قاعدة لتلك المنطقة ، منها تنطلق الجيوش والأمداد .

« لقد فتح سعد العراق — بحدوده الحالية — وأكثر فارس، وأذربيجان والجزيرة وبعض إرمينية . أي أنه فتح بصورة مباشرة : العراق الحديث ، وإيران — بحدودها اليوم — من أملاك الإمبراطورية الفارسية . وفتح القسم الجنوبي من جمهورية تركيا الحديثة من أملاك الإمبراطورية الرومانية ، ونشر فيها الإسلام »[3] . وكلها أقاليم وأسعة ، وولايات فسيحة تضم مدناً وقرى كثيرة مشهورة .

ولم تفتّر حدة هذه الفتوح بعد أن عزل عمر سعداً عن الكوفة سنة ٢١ هـ[4] ، بل حافظت على غلوائها ، في نواحي جُرجانَ وأذْرَبيجان وإرمينيّة وغيرها . وكان

---

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣٢٣.

(٢) نفسه ٢ / ٣٣٨ .

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ٢٦٦ .

(٤) تاريخ خليفة ١ / ١٢٢ والاستيعاب ٢ / ٦٠٨ .

للمغيرة بن شعبة ، والسائب بن الأقرع ، الثقفيين(١) ، نصيب وافر في بعض قياداتها خلال السنتين التاليتين لعزل سعد ، واللتين ختمتا بوفاة عمر وأبي محجن معاً في عام واحد .

في غمرة هذه المعارك ، لا بد أن يكون أبو محجن قد نال قِدحاً معلّى ، وهو يخوضها جندياً محارباً تحت راية الإسلام ، راضياً بما نال من خمول الذكر ، لا يطمح إلى قيادة أو ولاية ، أو لعل نفسه حدثته بشيء من ذلك لكن صرامة عمر وقفت دونه وهو الذي يَعرف من أمر أبي محجن ما يعرف ، ولا يتهاون في أية هفوة تتصل بالقائد أو الوالي مهما صغرت .

وموت أبي محجن في إحدى تلك البقاع يدل على أن الجهاد في سبيل الله قد استهواه بعد توبته في القادسية ، فاستأنف سيره تحت اللواء ... وماذا يفعل إذا عاد إلى المدينة وعقاب عمر ينتظره ، وتنغيص العيش يترقبه ؟ لهذا لم يجد متنفسا خيراً من البعد ، ولا مستروَحاً خيراً من الجهاد ، يقاتل كي يرضى به الجهاد ، ولا يقاتل كي يرضى به عمر .

لقد وصل أبو محجن إلى شواطىء بحر الخزر(٢) .. إلا أن السجلات التاريخية ضنّت علينا بأخباره قبل أن يصل إلى هذه الأصقاع النائية ، فضاعت حلقة أخرى من سلسلة حياته.. ولا يبعد أن يكون قد استظل بلواء أحد الثقفيين الذين قادوا بعض الجيوش هناك ، وفتحوا كثيراً من مدن تلك المناطق وقراها ، كالمغيرة بن شعبة ، والسائب بن الأقرع ، وغيرهما .

---

(١) سبقت ترجمة المغيرة ص ٤٦ والسائب ص ٤٣ .

(٢) وسموه أيضاً : بحر جرجان ، وبحر طبرستان .. وهو عظيم الاتساع ، وليس له اتصال بغيره من البحار على وجه الأرض ، لكن تصب فيه أنهار كثيرة . « معجم البلدان : بحر الخزر » . وموقعه في الاتحاد السوفياتي وإيران ، بين أوربة وآسية .

خاتمة المطاف

وتوفي أبو محجن سنة ٢٣ هـ ، قبيل وفاة الفاروق في السنة نفسها . نص على ذلك الذهبي والسيوطي(١) من القدماء . أما الباحثون المعاصرون فقد اهتدى منهم صاحبا اكتفاء القنوع ومعجم المطبوعات(٢) إلى أن أبا محجن مات في خلافة عمر . لكن ثانيهما جانب الصواب حين أرّخ وفاته سنة ٦٥٠ م متابعاً في ذلك جرجي زيدان(٣) والصواب ٦٤٣ م . والخطأ فيما ذهب إليه زيدان وسركيس أن سنة ٦٥٠ م توافق ٣٠ هـ وهي سابع سنة من خلافة عثمان بن عفان(٤) . وقد راح المتأخرون من المعاصرين يتداولون هذا هذا الخطأ ويأخذه بعضهم عن بعض(٥) .

وما ذكره الذهبي والسيوطي من تاريخ وفاة أبي محجن يتفق مع ما يروى من كثرة الفتوح ستئذٍ من جهة ، ومع المكان الذي لقي فيه هذا الفارس المجاهد وجه ربه من جهة أخرى :

١ ـ فأكثر المصادر تنقل عن الهيثم بن عدي(٦) أنه أخبر عمن رأى قبر أبي محجن أنه أذربيجان ، أو في نواحي جُرجان(٧) .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٦٦ وتاريخ الخلفاء ١٤٧ . وفي منتهى أمل الأريب ، الورقة ٤٢ / ب أن وفاة أبي محجن « سنة ٢٣ من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه » .

(٢) اكتفاء القنوع ٣٩ ومعجم المطبوعات ٣٤٤ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ١٢٥ .

(٤) طعن عمر لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ ودفن أول المحرم سنة ٢٤ هـ - تاريخ عمر بن الخطاب ٢٢٩ .

(٥) نذكر منهم الزركلي في الأعلام ٥ / ٢٤٣ والدكتور عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي ١ / ٢٩٤ والدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمة ديوان أبي محجن ٦ بل إن بروكلمان جعل وفاة أبي محجن في منفاه بعد مدة وجيزة من معركة القادسية !! - تاريخ الأدب العربي ١ / ١٦٧ .

(٦) من النسابين وأصحاب الأخبار ، كان عالماً بالشعر والمثالب والمناقب ، ويرى رأي الخوارج . توفي سنة ٢٠٧ هـ - الفهرست ١٥١ والمعارف ٢٣٤ ووفيات الأعيان ٦ / ١٠٦ .

(٧) الأغاني ١٨ / ٣٠٠ والاستيعاب ٤ / ١٧٥٠ والكشف عن مساوىء المتنبي ٢٩ / ١ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٨ والإصابة ٤ / ١٧٥ وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٣ والعقد الثمين ٨ / ٩٩ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦ - ٥٧ .

٢ — وقلة من المصادر تذكر أن قبر أبي محجن في إرمينيَة(١) .
وآخر من صحح ذلك بهاء الدين العاملي(٢) ، المتوفى منذ ثلاثة قرون ونصف تقريباً ، في قوله : « الصحيح أن قبره بأذرَبيجان ، وقد زرته وهو عن البلد قريب من فرسخين على شاطىء نهر يقال له سُوراب ، وأهل البلد لا يفترون عن زيارته وهو أحد متنزّهاتهم »(٣) .

ومهما كان الموضع الذي ضم رفات أبي محجن ، فإن هذه البقاع متجاورة ، وهي تقع حول بحر الخزر ، وفتحت في أزمنة متقاربة(٤) . ولا غرو أن تختلف الأقوال في ذلك ، فإن طبيعة الفتوح في تلك المناطق تتجلى فيها ظاهرتان بارزتان ، أولاهما : التداخل والتعقيد في مدّ وجزر ، وثانيتهما : كثرة الارتداد والانتقاض(٥) ، فكثرت الروايات لاختلاف الرواة والعهود والولاة .

هذا وقد انفرد بروكلمان — من بين المعاصرين — بالإشارة إلى أن وفاة أبي محجن كانت في « باصع » وهي — على حد قوله — مدينة « مصوّع » على سواحل الحبشة ، حيث نفاه عمر إليها بعد حرب القادسية ، فتوفي فيها بعد مدة وجيزة(٦) . ويبدو أن هذا اجتهاد خاص ذهب إليه ، إذ لا نعلم من أين استقى هذه الرواية التي لم يعيّن لنا مصدرها . وهو يكاد يلتقي في تحديد الوفاة بجوستاف جرونيباوم الذي يذهب إلى أن

(١) الأشربة ٣٥ وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨ وقطب السرور ١٢٣ والبصائر ٢/٧٠٧ والصاهل والشاحج ٣٣٨.

(٢) هو محمد بن حسين ولد ببعلبك ، وانتقل إلى بلاد العجم ، ثم نزل بأصفهان وفيها مات سنة ١٠٣١ هـ . ومن كتبه : « الكشكول » ـ كشف الظنون ٧٢٠ وهدية العارفين ٢ / ٢٧٣ .

(٣) سبحة المرجان ١٦٧ . وليس هذا النص في الطبعات المتداولة من الكشكول .

(٤) تقع إرمينية شمالا بين أذربيجان والروم ، فتح أكثرها في عهد عمر . «معجم ما استعجم ١ / ١٤١». وأما أذربيجان فهي إقليم كبير شرقي إرمينية في الجنوب الغربي من بحر الخزر فتحت سنة ٢٢ هـ . «المصدر نفسه ١ / ١٢٩ وتاريخ خليفة ١ / ١٢٤ » . والموضع الثالث : جرجان : يقع إلى الجنوب الشرقي من بحر الخزر بين طبرستان وخراسان — معجم البلدان .

(٥) انظر حركة الفتح الإسلامي ١٥١ — ١٥٤ .

(٦) تاريخ الأدب العربي ١ / ١٦٧ .

أبا محجن توفي نحو سنة ٦٣٧ للميلاد[١] وهي توافق سنة ١٧ للهجرة .

ويذكر الرواة أنه لمّا مات أبو محجن وقف رجل على قبره فقال : « يرحمك الله أبا محجن، فوالله لقد كنتَ قليل المِراء ، جيّد الغَناء ، غير نعّاسٍ ولا عبّاس، ولا حابسٍ للكأس »[٢] .

---

(١) حضارة الإسلام ٤٠٠ .

(٢) جمع الجواهر ٨٣ وقطب السرور ٩٠ ، واللفظ للأول .

ويَنسيح خيال الرواة ، بعد هذا ، في قصة ينسجونها حول قبر أبي محجن ، لحمتها وصيته الخمرية ، وسَداها بيته المشهور:

إذا متّ فادفني إلى جنب كَرمةٍ   تروّي عظامي بعد موتي عروقُها

فهم لا يريدون أن تذهب هذه الوصية أدراج الرياح ، وفيها ما فيها من مادة غنية للقَص والتخيّل ، فيقتصد بعضهم في حوكها ، ويسرف آخرون في ذيولها فيأتون بما يناسب تلك الوصية ، ويجعلون خاتمة الشاعر متوافقة مع أمنيته ووصيته :

فالرواية التي تولّى كِبْرَها الهيثم بن عدي : تذكر عمّن مرّ بقبر أبي محجن — في أذرَبيجان أو جُرجان — أنه رأى هذا القبر وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرمٍ ، وأنها طالت وأثمرت وعرشَت عليه ، وعلى قبره مكتوب: « هذا قبر أبي محجن الثقفي ». فوقف ذلك الرجل طويلاً يتعجب مما اتفق لأبي محجن حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول : إذا متّ فادفني .. الخ(1) .

ويعلّق السيوطي على ذلك قائلاً(2) : « هذا من كرامته على الله ، رضي الله عنه » . ويزداد هذا الخبر طرافة لدى مَن روى أن مدفن الشاعر في إرمينية ، إذ يغرق الرواة في المزيد من الخيال ، مراعين أحوال الشاربين والندامى ، في روايات سبقَت أو لحقَت ، في مثل هذا المقام ، فيذكرون أن شجرات الكروم تظلل قبر أبي محجن والفتيان يخرجون إليه بطعامهم وشرابهم ، فيتنزهون عنده ويشربون ، ويتناشدون ، فإذا جاءت كأسه صبوها على قبره(3) .

وهذه الرواية التي نسجت حول قبر أبي محجن ، على اختلاف متونها وأسانيدها ،

---

(1) الأغاني ١٨ / ٣٠٠ والكشف عن مساوىء الخمر ٢٩ / ١ وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٣ ، والاستيعاب ٤ / ١٧٥٠ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٧ والعقد الثمين ٨ / ٩٩ .

(2) شرح شواهد المغني ٣٨ .

(3) قطب السرور ١٢٣ والشريشي ٢ / ٢٣ ونهاية الأرب ٤ / ٩١ وحلبة الكميت ٩٦ . وقد وردت هذ الرواية باختلاف واختصار في : الأشربة ٣٥ والبصائر ٢ / ٧٠٧ ومحاضرات الأدباء ١ / ٦٧٢ .

حلقة من سلسلة طويلة امتدت على مهيَع واحد ، وسحبت ذيلها خلال عدة قرون وهي تذكرنا بأمثالٍ لها سبقتها أو نسجت على آثارها :

١ ــ فوالي اليمامة ، سليمان النوفلي ، يزور قبر الأعشى فيراه رطباً ، فيسأل عن علة ذلك ، فيقال له : إن الفتيان ينادمونه ، فيجعلونه مجلس رجل منهم ، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه(١) .

٢ ــ ورووا كذلك عن الشاعر أبي الهندي أن الفتيان بعد موته كانوا يجيئون إلى قبره ويشربون ، فإذا انتهى القدح إليه صبوه على قبره(٢) .. إلخ إلخ .

ولا يبعد أن يكون لمثل هذه الأخبار أساس قويٌّ من الحقيقة والصدق ، فهي تمثل لنا أبا محجن وأضرابه من أولئك الشعراء في صورةٍ لا تبعد عن الحقيقة إلا بقدر ما فيه من مبالغات الرواة التي يقصد بها استمالة الآذان إلى حديثهم ، فشأننا حين نقرؤها شأن من يقرأ قصة تاريخية ، لا يصدّق كل ما جاء فيها من دقائق وتفاصيل ، ولكنها في جملتها تصوّر العصر والأشخاص الذين كتبت عنهم ، كما تمثل ما كان يتصوره الناس من حبهم للخمرة وتهالكهم عليها .

(١) الأغاني ٩ / ١٢٣ .

(٢) الأغاني ٢٠ / ٢٩٧ وفوات الوفيات ٢ / ٢٤٢ .

بقيّة صالحة

لم يترك أبو محجن عقباً من بعده يذكرهم التاريخ ، إلا ابناً له يدعى عُبيداً ، وبه يُكنى أبوه(1) أحياناً ، وقد تضافرت روايات كثيرة على ذكره في موقف واحد فحسب ، ذلك أن عُبيداً هذا دخل يوماً على معاوية بن أبي سفيان ، فقال له — وكأنه يعيّره بذلك مستهزئاً — : أليس أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... إلخ البيتين

فقال عُبيد : يا أمير المؤمنين ! لو شئت لذكرت من شعره ما هو أحسن من هذا وأجمل. قال معاوية : وما ذاك ؟ فقال : قوله :

لا تَسألِ الناسَ عن مالي وكثرته　　　وسائلِ القومَ عن حَزمي وعن خلُقي

وذكر القصيدة...

فقال له معاوية ، أحسنتَ والله يا بن أبي محجن ، لئن كنا أسأنا القول لنجزلنَّ العطية . ثم أجزل جائزته — التي بلغت عشرة آلاف درهـم — وقال له : إذا ولدت النساء فلتلدنَ مثلَك(2) .

وبعض الروايات — وهي قليلة جداً — تذكر أن الخليفة في هذا الخبر عبد الملك ابن مروان(3) . ونرجح أنه معاوية ، لتواتر ذلك في أكثر من عشرين مصدراً ومرجعاً من

---

(1) الإصابة ٤ / ١٧٣ وفي . ٤ / ١٣١ « أبو عبيدة » وهو خطأ مطبعي .

(2) الإصابة ٤ / ١٧٥ والبصائر ٢ / ٣١٠ . ولم يسم « عبيد » في بقية المصادر والمراجع التي روت هذا الخبر مثل : الشعر والشعراء ١ / ٣٣٧ وعيون الأخبار ١ / ٣٨ والأغاني ١٨ / ٢٩٧ وجمع الجواهر ٨٤ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٩ وقطب السرور ١٢١ والكشف عن مساوىء الخمر ٢٩ / ١ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٧ واللسان والنهاية « فنع » .. وفي ذيل ثمرات الأوراق ٢٠٦ اختلاف يسير في صدر الخبر ، وهو أن ابن أبي محجن " وفد على معاوية فقام خطيباً ، فأحسن فحسده معاوية فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله : إذا مت .. قال : بل أنا الذي يقول أبي : لا تسأل الناس .. الخ » .

(3) شرح ديوان أبي محجن للسكري « القصيدة الأولى » والإصابة ٤ / ١٧٥ في رواية أخرى ذكرها ابن الكلبي عن عوانة ، والخزانة ٣ / ٥٥٥ نقلا عن شرح ابن الأعرابي لديوان أبي محجن .

جهة ، وبُعد عهد عبد الملك من جهة اخرى . .

وإذا صحّ ، بعدُ ، ما حققه الزركلي في رحلته إلى الطائف ، كان لأبي محجن ابنٌ آخر يدعى علياً ، وحفيد من عليّ هذا يدعى « عبد الله بن علي » ، ورد ذكرهما في نقش على بعض صخور جبل الردّف قرب الطائف ، فقد رأى الزركلي في هذا الجبل خطوطاً متعددة من أواخر القرن الأول للهجرة أو أوائل القرن الثاني ، منها نصّان كتبهما عبد الله بن علي بن أبي محجن الثقفي الذي « كان كثير الولوع بالنقش في هذا الجبل » وهما :

— النص الأول : « عبد الله بن علي بن أبي محجن يسأل الله بوجهه الكريم الجنة » .

— والثاني : « عبد الله بن علي بن أبي محجن يسأل الله القتل في سبيله على بركته »(١) .

إلا أن محمد حسين هيكل — وقد زار تلك المنطقة — أميَل إلى أن تكون أمثال هذه الكتابات متأخرة ، لا ترجع إلى أكثر من بضع عشرات من السنين ، وقد ترجع إلى بضعة قرون ، وأنها على الأرجح لجماعة ممن زاروا هذه المنطقة من أزمان غير بعيدة جذبهم وادي (وجّ) إليها ، فجعلوا على أحجارها عبارات متداولة(٢) . وليس هذا الرأي ببعيد عن الصواب .

(١) ما رأيت وما سمعت ٥٩ .

(٢) انظر كتابه « في منزل الوحي » ص ٣٥٤ وما بعدها . والجدير بالذكر أنه لم يرد عنده ذكر للنصين المشار إليهما ، فلعله لم يرهما لتعدد الآثار والنقوش هناك ، أو أنه رآهما وضرب صفحاً عن ذكرهما مكتفياً بالكلام على أمثالهما.

أخلاق ومحامد

تلكم هي معالم الحياة الغنية التي عاشها شاعرنا الفارس ، لقد كانت — كما رأينا — حياة متعددة الجوانب : تجول الفروسية في رحابها ، وتعلو أنغام الطرب واللهو في جوانبها ، وتشدو بلابل الشعر في أيكها ، وتجري الخمرة في أعطافها ، وتنبض بالتوبة عروقها . هذا إلى صراحة صريحة ، وجهر بالرأي لا يعرف الالتواء والمواربة ، فكان هذا الرجل « الفتى » صادقاً مع نفسه في كفره وإيمانه ، وفي معصيته وتوبته . وقد « ترك لشعره أن يعبر عن مشاعره في طلاقة لا تعرف الاستحياء ، ووضوح لا يعرف التستّر »(١) .

وقد شهد له ببعض هـذه المزايا ذلك الرجل الذي طوى التاريخ اسمه وأذاع قوله ، حين وقف على قبر أبي محجن عقب موته ونعتَه بأنه : قليل المِراء ، جيد الغناء ، غير نعّاس ولا عباس ولا حابسٍ للكأس(٢) . وإذا كان أبو محجن من المغرمين بالصهباء قبل توبته ، فقد كان على الرغم من ذلك « من ذوي العقول الكاملة ، والأنظار الصائبة »(٣)

لقد كان أبو محجن شخصية نادرة من شخصيات تاريخنا الخصب : « نفس سمحة كالسماء ، صافية كالنسمة ، قلقة كالموجة ، متمردة حتى لتجعل عروق الكرمة ريّاً لعظامها ، مؤمنة حتى لتشتّري الموت في ساحات القادسية بأي ثمن . تضرب في الأرض ، لا تعرف ما تريد ... تغوص في « التجربة » حتى الأعماق .. ولكنها تأبى أن تسفّ .. هناك المروءة ، هناك الشعر ، هناك الصدق ... وماذا بقي في جعبة الحياة من ثمين ، بعد هذه القمم ؟ ما أظن أنه بقي الكثير »(٤) ..

وقد تجلّت هذه الخلائق والسجايا في كثير من مواقف أبي محجن التي ألممْنا بها : في حصار الطائف ، وفي المدينة مع الفاروق ، وفي القادسية مع سعد وزوجته . ولم يقتصر ذلك على مواقفه وأعماله وحدها ، وإنما كان لشعره سهم وافر في تصوير هذه الشخصية

---

(١) تطور الغزل ٢٣٩ .

(٢) انظر ص ٩١ .

(٣) الخزانة ٣ / ٥٥١ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١ / ١٤١ .

(٤) من مقدمة " الفارس الضائع " ص ١١ .

الفذة ، التي حملت نفساً عفّة قانعة ، لا ترضى بغير المكارم والمحامد أحدوثة ، كل ذلك في أنفة ، وإباء للحيف والظلم ، وصدق في الوعد ، ووفاء بالعهد :

— عَفٌّ الإياسةِ عما لستُ نائلَه ... وإن ظُلمت شديدُ الحقد والحنقِ
وأهجر الفعلَ ذا حُوبٍ ومنقَصة ... وأترك القولَ يدنيني من الرهَقِ
.... وأكتم السرَّ فيه ضربةُ العنُقِ

— وكيفَ وقدأعطَيتُ ربي مَواثقاً ... أعود لها ، والله ذو العرش شاهدي

وسنرى في الحديث عن فخره جوانب أخرى من هذه النفس الكبيرة .

أما فروسيته فحدّث عنها ما شئت ولا ضير عليك. فهو معدود في الشعراء الفرسان ، والرماة المهرة في مجتمعه القبلي الذي يَعدّ الشجاعة والفروسية ، وما كان من هذا الباب ، جزءاً أصيلاً في بنيته ، وركناً ركيناً في تكوين الحياة العامّة للإنسان العربي في ذاك العصر. وقد أجمع من ترجموا لأبي محجن على أنه رجل شريف ، وفارس من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام ، ومن أولي البأس والنجدة ، ومن الفرسان البُهَم(١) . بل إن الذهبي نعته بأنه « كان فارس ثقيف في زمانه »(٢) .

وإذا كانت العرب تقول : « ليس في الأرض شاعر إلا جبان »(٣) فإن أبا محجن ينقض هذا الحكم كل النقض ، كيف لا ؟ وقد جمع — كعنترة — بين الشعر والشجاعة .

ويبدو أنه اختص بألوان معيّنة من الفروسية ، وفنون من القتال صارت وقفاً عليه ، يُعرف بها وتعرف به، وتشكل بعض شمائله. حتى إن سعداً ليقول حين نظر إليه من فوق الحصن يقاتل ، وهو لا يعرفه : « الطعن طعن أبي محجن »(٤) . ويقول أيضاً : « لولا أني تركت أبا محجن في القيد لظننتها بعضَ شمائله »(٥) .

---

(١) طبقات ابن سلام ٢٢٥ والأغاني ١٨ / ٢٨٩ والاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ وأسد الغابة ٦ / ٢٧٦ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦ والبداية والنهاية ٧ / ٤٤ والعقد الثمين ٨ / ٩٦ . والبهم : ج بهمة ، وهو الفارس الشديد البأس .

(٢) تاريخ الإسلام ٢/٧٢ .

(٣) لطائف المعارف ١٠٤ .

(٤) النهاية لابن الأثير « ضبر » . وفي قطب السرور ١٢١ : " وأما الشدات فشدات أبي محجن " .

(٥) الإصابة ٤ / ١٧٤ .

وقد رأينا من مواقفه عشيةَ الجسر ، وهرب حارسه منه يوم نفيه ، وكرّه وفرّه في القادسية ، ما يؤيد ذلك كله . حتى إن ابن دريد شهد له بالتفوق على أقرانـه يوم القادسية فقال(١) : « وكان له فيها بلاء عظيم ، وله حديث . وقد شهد يومئذ عمرو ابن معدي كرب وغيره من فرسان العرب ، فلم يُبْلِ أحدٌ بلاءه » .

ومن يتحدث عن هذا الجانب من أبي محجن ، لا يستطيع أن يتجاوز مهارته في رمي السهام ، فقد شهد له عمرو الضَّمري يوم الطائف بأن سهامه لا تطيش ، وكان من صرعاه في ذلك اليوم عبد الله بن أبي بكر ، الذي رماه أبو محجن بسهم كان سبب وفاته فيما بعد(٢) .

وشعر أبي محجن يؤكد مواقفه البطولية ، وفتوته السامية ، .. فهل رأيت فارساً مثله يحزن لحرمانه المشاركة في الحرب ليلة الهَرير ، ويَعدّ خلاصه من السجن فرجاً ، ليشترك في الجلاد ، فكأنه خُلق للحرب يحميها إذا بردتْ ، ويصطلي نارَها بصارمِه ، ولا يستطيع عنها حِولاً :

كفى حزَناً أن تَرديَ الخيلُ بالقنـــا وأُتركَ مشدوداً عليَّ وثاقيـــا
فلله عهدٌ ، لا أَخيس بعهـــدِه لئن فُرجت ألاّ أزور الحَوانيـــا

وستأتي جملة صالحة من أبياته في دراستنا لفخره ، ونكتفي منها بمثل قوله يوم الجسر ، وفيه تصوير بارع مركّز ، جمع فأوعى :

وما رِمتُ حتى خرّقوا برماحهـــم ثيابي ، وجادت بالدماء الأَباجـــلُ

على أن التاريخ ، مع ذلك ، قد غمط أبا محجن حقه ، فلم يملأ صفحاته بعبير بطولاته ، ولا زيّن طروسه بصور إقدامه ، بل ضنّ عليه بما جادَ به على غيره ممن هم أقل منه غَناءً ، وأدنى شهرة . ولعل من أسباب ذلك بُعده عن تولي قيادة بعض الجيوش الفاتحة ، بل إبعاده عن هذه القيادة التي لم يسع هو إليها ، وإنما كان يحارب — وهو جندي — سعياً وراء مثل أعلى يؤمن به ، .. وأنّى لأبي محجن أن يرفعه الفاروق إلى سدّة الولاية أو إلى إمرة جيش ، وهو الذي لا يتهاون في المحاسبة على أدنى هفوة أو زلة ؟ ولا يتوانى منِ أجل ذلك أن يحجب الإمارة أو القيادة عمن هو جدير بهذه أو تلك .

(١) الاشتقاق ٣٠٤ .
(٢) انظر ص ٥٤ .

وهكذا أبعدت الخمرة أبا محجن عن حياة الجد ففاتته القيادة والإمارة ، فلما تاب وأناب كانت الفرص قد أفلتت منه ، فتأخرت به الخمرة حيث تقدم الآخرون . لقد كان فيه فتاء السنّ وخشونة الجندي ، ومعرفة بضروب القتال ، ولكن تنقصه حنكة الكهولة وخبرة الرويّة والأناة ، وطمأنينة الحكيم ، فلم يَصلح لقيادة الجيوش في فتوح الإسلام ، فكان جندياً لا قائداً ، ومغامراً لا مدبّراً ، ومقداماً لا مخطِّطاً ... والفاروق من أعلم الناس بالرجال ، وهو ذو الحصافة والفراسة في اختيار ولاته وقادته .

لم يكن أبو محجن مبرأً من العيوب ، وهو الذي نشأ في بيئة قومه فكان واحداً منهم تربّى على عاداتهم وطبائعهم ، فلا غرو أن يكتسب بعض أخلاقهم ويتطبّع بها ، ويكون فيه – إلى جانب الصفحة البيضاء – ما كان فيهم من نخوة وامتناع ، وشِراس ونفور ، وعناد وجفوة . وقد تجلّى ذلك في كثير من مواقفه وأقواله ، ولا سيما أخباره مع عمر حين كان يجلده أو يفاجئه وهو يشرب مع ندماه . ولعل الرسول العربي (ص) أول من تنبّه إلى هذه السِمة في الثقفيين ، حين سأله عروة بن مسعود الثقفي أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له عليه السلام : « إنهم قاتِلوك » . قال الطبري : « وعرف رسول الله أن فيهم نخوة بالامتناع الذي كان منهم »(1) . وصدق ظن رسول الله ، إذ ما إن عاد إليهم عروة بالإسلام حتّى قتلوه وهو الذي كان – كما قال عن نفسه – محبباً إليهم ، مطاعاً فيهم بل أحبّ إليهم من أبصارهم(2) .

رحم الله أبا محجن ، فقد عاش شجاعاً مقْداماً ، في السلم والحرب ، ومات شجاعاً مقْداماً .. فتمثلت فيه كل معاني الفتوة والمروءة ، ولكنه عاش أيضاً غريباً ، ومات غريباً ، فعرف الغربة بأشكالها جميعاً ، ولعل أمرّ ماعرفه من هذه الأشكال : غربة نفسية تجعل صاحبها يفتح عينه – حين يفتحها – على كثيرٍ ولكن لا يرى أحداً ! ...

---

(1) تاريخ الطبري ٣ / ٩٦ .

(2) سيرة ابن هشام ٢ / ٥٣٧ ويروى أيضاً : " من أبكارهم " .

الفصل الثالث
شعر أبي محجن

وقد آن لنا – بعد هذا – أن نعوج على شعر أبي محجن ، فنخصه بلفتة عاجلة ، نلمّ فيها بأغراض هذا الشعر وبعض سماته وخصائصه الفكرية والفنية :

قلة شعره

أبو محجن شاعر مخضرم مقلّ ، إذا قيس بغيره من الشعراء المكثرين في عصره كالحطيئة ، وحسان بن ثابت ، وأمية بن أبي الصلت ... وما وصل إلينا من شعره لا يتجاوز مائة وأربعة وعشرين بيتاً ، موزعة على ثلاثين قطعة وقصيدة ، وقد حوت منها نسخ الديوان المخطوطة اثنين وثمانين ، وتناثر الباقي في صفحات كتب الأدب والتاريخ والمحاضرات ، وما إليها . وقليل من هذا الشعر – لا يتجاوز بضعة عشر بيتاً – نازعه في نسبته شعراء آخرون كغَيْلان بن سلَمة ، ونَضْلة السُّلَمي ، وأُحيحة بن الجُلاح .

ولا يبعد أن يكون ما وصل إلينا من شعر أبي محجن هو جلّ ما قاله إن لم يكن كله ، ومن المحتمل أن يكون قسم من هذا الشعر قد فقد وضاع بين طيات الزمن ، لبعد الطائف عن مواطن الرواية والرواة ، وعزلتها في طَرَفٍ ناء ، **وهذا ما تنبّه له ابن سلام حين قال ، معللاً قلة الشعر في مدينة الطائف :**

« وبالطائف شِعر ، وليس بالكثير . وإنما كان يكثُر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويُغار عليهم . والذي

قلّل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعرَ عُمان .

وأهل الطائف في طرف ، ومع ذلك كان فيهم : أبو الصلت بن أبي ربيعة ، وابنه أمية بن أبي الصلت ، وهو أشعرهم ، وأبو محجن بن حبيب الثقفي ، وغَيلان بن سلَمة ، وكِنانة بن عبد ياليل »(١) .

ونستطيع أن نضيف إلى ما ذكره ابن سلام سبباً آخر يفسّر لنا قلّة شعر أبي محجن خاصة، وهو أن أبا محجن كان أشبه بشاعر غير محترف ، لم يتخذ الشعر صناعة أوعملاً يومياً، وإنما كان يقوله تعبيراً عن نشوة تملأ جوانحه، أو إشباعاً لرغبة فنية تراوده أو تصويراً لصبوة نفس تقرع مكامن الحس عنده ، وتستثير كوامن الفن لديه حين تدعو الحاجة إلى ذلك ، وتتوافر بواعثه بين ضلوعه .

فالناظر في شعره لا يكاد يعثر على قصيدة إلا ولها مناسبة خاصة دعت إليها ، وداعٍ معيّن ساق أبا محجن إلى النظم : من موقعة حربية ، أو قصة نفي ، أو سجن أو حؤول بينه وبين الخمرة ، أو توبة منها ، ... إلخ .

فلم يكن أبو محجن إذاً هاوي نَظم ، ولا محبّ شعر ، يقرضه في مناسبة أو غير مناسبة ، وإنما كان شعره نابعاً من تجربة صادقة ، ومعاناة حقيقية للحوادث والدوافع .. وهذا ما جعل شعره الإسلامي أغزر ، على قلّته ، من شعره الجاهلي ، كما جعل شعره في مستوى واحد من القوة والقيمة والفن ، لا تفاوت فيه ولا تفاضل . ولو كان يقول الشعر كيفما اتفق، وفي كل حين ، لكان هذا الشعر مضطرب المقاييس ، متفاوت المنزلة، لا يشد بعضه بعضاً .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢١٧ .

طبقة أبي محجن

أما طبقة أبي محجن بين شعراء عصره ، فلم يسلّط الأضواء عليها من القدماء سوى ابن سلاّم ، الذي سلكه في « طبقة شعراء القرى العربية » وهذه الطبقة تضم شعراء مكة ، والطائف ، والبحرين ، وجعله ثالث شعراء خمسة من ثقيف ، كما مرّ .

وأما الباحثون والنقاد المعاصرون فلم يكن لمثل غموض ابن سلام أثر في تصنيفهم أبا محجن وإحلاله مكاناً مناسباً في طبقته . فهـذا بروكلمان يصنّف المخضرمين في طبقتين ، ويجعل أبا محجن مـع شعراء الطبقة الأولى منهم ، إلى جانب حسان وكعب ابن زهير ، والحطيئة ...(١) .

إلا أنّ (كارلُو نالينو) قسم الشعراء المخضرمين إلى ثلاثة أصناف ، على حسب مواقفهم من الدين الإسلامي :

الأول : أولئك الذين مدحوا النبي (ص) من المسلمين وغيرهم ، مثل : كعب ، والأعشى وحسان .

الثاني : مَن قال الشعر في رثاء قتلى الكفار ، وهجاء النبي ، وأغلبهم من أهل مكة : كابن الزِبَعرى ، وضرار بن الخطاب .

والثالث : شعراء أسلموا ولم يهتموا في أبياتهم بأمور النبي (ص) والدين ، ولم يؤثر إسلامهم في شعرهم تأثيراً شديداً جلياً ، وأكثرهم من شعراء البادية ، كالحطيئة وأبي محجن(٢) .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١ / ١٦٧ .

(٢) انظر تاريخ الآداب العربية لنالينو ، ص ١٠٤ وما بعدها .

أغراض شعره

يتناول شعر أبي محجن أغراضاً وموضوعات شتى ، أبرزها (الخمرة) التي خصها بأكثر شعره ، وعليها دار معظمه ، حتى طغت على بقية أغراضه وكانت مبعث شهرته . وتأتي بعدها موضوعات أدنى منها أهمية ومكانة : كالفخر ، والفتوح ، والغزل ، والحكمة ، والرثاء ، والمدح ، على تفاوت مدى وقوف أبي محجن عند هذا أو ذاك من تلك الموضوعات :

الخمــرة

ولما كان نصيب شعره الخمري أوفى وأوفر ، وأغزر وأشهر ، كان من المناسب أن نخصه بدراسة واسعة ، نفتتح بها الكلام على أغراضه الشعرية :

لا نبالغ إذا جعلنا أبا محجن رائد الشعراء في وصف الخمرة في الإسلام ، مهدّ لهم سبيل القول والتصرف فيه . فالجانب الخمري في شعره ذو قيمة جليلة ، لما له من صلة بحياته ، وقد عرفنا قصته الطويلة مع الخمرة ، وصحبته الممتدة لها ، حتى قلاها وفارقها فكانت في الحالين من أسباب شهرته .

وقد عرف العرب الخمرة منذ أقدم عصورهم ، إذ كانت تأتيهم من جهات شتى : كبلاد الشام ، وأطراف اليمن ، وبلاد فارس ، وبعض مدن العراق مثل بابل وعانة(١) ... لذلك كانت الخمرة غالية الثمن ، لا يحصل عليها إلا المُثْرون من الخاصة والطبقات المترفة . وهذا ما جعلهم يتمدحون بشربها ، ويتغنّون بها ، حتى عدها طرفة إحدى خصال ثلاثٍ هن من عيشة الفتى ، فأصبحت وكأنها ملهمة الشجاعة والندى ، ومهماز القريحة الشعرية ، والباعثة على الأريحية والحمية .

---

(١) التيارات المذهبية ٥٨ .

أما خمر الطائف فقد كانت — على الرغم من كثرة الطلب — أقلّ ثمناً من الخمرة الأجنبية التي كانوا يستقدمونها من البلاد الأخرى ويشهرونها في الشعر العربي(١) .

جاء الإسلام وهذه حال الخمرة ... وما لبث القرآن الكريم أن نزل بتحريمها ، فأذعنت جمهرة الناس لهذا التحريم ، إلا أن فئة منهم ، في الحواضر والبوادي ، لم تمتنع عن شرب الصهباء سراً وعلانية ، وظهر جلياً على أفرادها الصراع بين جاهلية ألِفوا عاداتها ونواهٍ دينية سُلطت عليهم بزواجرها .

وكان أبو محجن في مستهل إسلامه من هذا الفريق الذي آمن بالحياة الجديدة « لكن شيئاً من الجاهلية لا يزال مذاقه على أطراف ألسنتهم ، ورواؤه في مآقيهم » ، لقد دخلوا في الدين الجديد ، ولكن « ظل عالقاً في نفوسهم شيء من أهوائهم المستحكمة ، وعاداتهم الأولى ، لم يستطيعوا فكاكاً منها ولا انصرافاً عنها »(٢) وبذلك بقيت آثار الجاهلية تتعثر على ألسنة الشعراء منهم إلى زمن ، ولم تبرأ نفوسهم من ظلالها ، كما لم تصفُ من كل رواسبها ، فظلّ يعيش معهم ميلهم إلى الشراب ، وضعفهم أمام النساء . ومثل أبي محجن : حُميد بن ثور الهلالي ، وسُحيم عبد بني الحسحاس(٣) .

« ويشبه أن يكون أبو محجن كالمغلوب على أمره يودّ لو أنه انقاد إلى ما يأمره به الإسلام من الإقلاع عن الخمر ، غير أنه لا يملك ذلك من نفسه ، فقد كان ضعيفاً أمامها ، قاصراً عن مقاومة إغرائها والصبر عليها »(٤) . وهكذا شغفته حباً ، فأخلص في وصفها ، وجاهر في الإقبال عليها في تعبير موفق ونبرة عابثة .

وإذا عدنا إلى ما قاله أبو محجن من الشعر الخمري ، أمكننا تقسيمه إلى ثلاث مراحل :

١ — أولاها : ما قاله في الجاهلية : ولم يصل إلينا من ذلك سوى قصيدة واحدة في تسعة أبيات هي أطول ما قاله أبو محجن من أشعاره الخمرية ، وقد بدأها بوصيته

---

(١) تاريخ العرب لحتي ١ / ١٤٤ .

(٢) تطور الغزل ٢٣٧ ، ١ ٢٣٢ .

(٣) حميد : شاعر فصيح مجيد ، من المخضرمين . في الطبقة الرابعة من الإسلاميين . مات في خلافة عثمان . « ابن سلام ٤٩٦ والإصابة ١ / ٣٥٥ » . وسحيم : شاعر مخضرم محسن ، كان عبداً أسود أعجمياً . أدرك النبي (ص) وتمثل بشيء من شعره ، قتل في خلافة عثمان . الإصابة ٢ / ١٠٨ .

(٤) تطور الغزل ٢٣٣ .

المشهورة ، ثم تحدث عن إدمانه الخمرة صباح مساء ، مقيماً لها حدوداً ومراسيم يحرص عليها ولا يضيعها :

أباكرها عند الشروق ، وتـــارةً يعاجلني بعد العشيّ غَبوقُهــــا
وللكأس والصهباء حظٌّ منعّــــم فمن حقها ألا تضـاع حقوقهــا

إلا أن ذلك لا يحول بينه وبين نجدة القوم وحماية الجار وإكرام الضّيف ، وكل ذلك من سمات الفتوة والفروسية :

وعندي على شُرب العُقار حفيظــةٌ إذا ما نساءُ الحيّ ضاقت حلوقُهـا
وأمنع جارَ البيتِ مما ينوبــــه وأكرمُ أضيافاً قراها طروقُهــا

ويلاحظ أن هذه الأبيات إيجابية الطابع ، وجدانية المنزع .. يبدو فيها أبو محجن مؤثراً للفضائل التي يتمدح بها الجاهليون دون أن يأتي بجديد . وإذا كانت هذه القصيدة قد ألمت بذكر الخمرة ووصفها ، فإنها تبدو « أدنى إلى الحنين والوجد في شعر العذريين الذين يسفحون أشواقهم في الحب . ولئن تباين موضوع الحب فيها — بين المرأة والخمرة — فإن عواطفه ومعاناته متشابهة ، تفصح عن داء الوجد والأسى ، وتسفح دموع الذكرى من مآقي النفس »(١) .

وقد أعجب الدارسون بهذه الخمرية التي « تلفت الانتباه برشاقة بساطتها ، وكانت مدعاة لتذوق جامعي المختارات الشعرية »(٢) .

٢ — **وثانيتها : ما قاله في الإسلام قبل توبته :** وفي هذه المرحلة انتصر ميل أبي محجن إلى الخمرة ، غير جزعٍ من العقاب ولا وجل . لقد أوغل في التشبث بها ، والدعوة إليها ، والأنس بمجالسها ، والإصرار على شربها ، ولم يستطع الصبر عنها :

وإنّي لَذو صبرٍ ، وقد مات إخوتي ولستُ عن الصهباء يوماً بصابـــر

ولا يفتأ يعرض بعض الصور من لهوه ، وترسمه حدود الطرب وألوان القصف :

---

(١) فن الشعر الخمري ٩١ .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٢ / ١٠٤ .

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنعتْ | وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أباكرها رِيّاً ، وأشربها | صِرفاً ، وأطربُ أحياناً فأمتزج
وقد تقوم على رأسي مغنّيةٌ | فيها إذا رَفّعت من صوتها غُنُجُ
ترفّع الصوت أحياناً ، وتخفضه | كما يطنّ ذبابُ الروضة الهَزِجُ

وقد يصف طعم الخمرة وإناءها النديّ :

إنني باكرت مترعةً | مُزّةً ، راووقها خَضِلُ

ونراه يجهر بالمعصية في شعره ، ويرفض الطاعة والإذعان ، وهو مدرك عواقب تمرّده هذا إدراكاً تاماً ، وموقن أن الخمرة ستورثه النار ، وهذا ما يؤكد معصيته ويجلو لنا أبعادها :

ألا سقّني ، يا صاح ، خمراً فإنني | بما أنزل الرحمنُ في الخمر عالمُ
وجُدْ لي بها صرفاً لأزداد مأثماً | ففي شربها صرفاً تتم المآثمُ
هي النارُ إلاّ أنني نلتُ لذةً | وقضّيت أوطاري وإن لام لائمُ

من هذه الأمثلة تبدو لنا في أشعار تلك المرحلة لهجة عابثة بتحريم الخمرة تصل إلى درجة السخر ، على الرغم من الوعيد وضرب الحد . وقد عبّر عن سخريته هذه بعبارات تفيض ذكاء ، كما تدل على الكفر أحياناً .. ولا شك أن أقواله في هذا المعنى أشد خطراً من خمرياته ، ولا نستطيع إلا أن نأخذها مأخذ الجدّ ، ذلك أن هذه النزعة هي التي حملت عمر على نفيه غير مرّة(١) .

ولعلنا لاحظنا كيف تتلاحم في شعر هذه المرحلة صورتان : صورةٌ نفسية للشاعر عن إصراره على الخمرة والشغف بها ، والإغراق في الذنب ، وصورة حسية تستمد مادتها من مباكرة الخمرة مزّة صرفاً ، خَضِلة الراووق ، يضمه معها مجلس طرب تقوم فيه على رأسه مغنية رخيمة الصوت ، يستعذب الشاعر بسيطه ونشيده .

وتنتهي هذه المرحلة الثانية لدى أبي محجن ببيت فاصل في حياته ، وذلك قوله يوم القادسية :

---

(١) انظر [illegible] ٥ / ١٠٧ « بستاني » ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٩٨ ..

ولله عهدٌ ، لا أخيس بعهـــــده : لئن فُرجت ألاّ أزور الحوانيـــــا

٣ ـ **وثالثة المراحل : ما قاله بعد توبته :** فقد كان يوم القادسية في حياة أبي محجن حداً فاصلاً بين عهدين ، فيه انفصمت العُرا الوثيقة التي كانت تربطه بالخمرة ، فانحل ما كان بينهما معقوداً وانبتّ ما كان موصولاً .

وهنا ينتصر الجانب الديني على الجانب الحسي في نفس الشاعر بعد أن فرج عنه ، إذ راح يناصب الخمرة العداء ، بنفس الحماسة التي كان يدافع فيها عنها من قبل . ولعل السبب في ذلك يعود إلى شعوره بالذنب أو المعصية من جهة ، وإلحاح الندماء عليه بالعودة إليها من جهة أخرى ، بعد أن خسروا واحداً من أفضل أنصارها وخلاّنها :

وقال لي النّدمان لما تركتهـــــا : أآلجد هذا منك، أم أنت تلعبُ ؟
وقالوا : عجيبٌ تركُك اليومَ قهوةً كأنيَ مجنون ، وجلديَ أجـــربُ

وتدور معانيه في هذه المرحلة على إعلان توبته النصوح ، وذم الخمرة ، وبيان مفاسدها ، والردّ على من يحاول إغراءه بالعودة إلى حظيرتها ، كقوله :

أتوب إلى الله الرحيمِ ، فإنـــــه غفورٌ لذنب المرء ، ما لم يُعـــاودِ
ولست إلى الصهباء ، ما عشتُ ، عائداً ولا تابعاً قولَ السفيهِ المُعانـــدِ

وقوله :

فلا ، واللهِ أشربهُـــا حياتـــي ولا أشفي بهـــا أبداً سقيمـــا

ومن الطبيعي أن يقتبس بعض معاني الآيات القرآنية في هذا اللون من الشعر ، كقوله :

رأيت الخمرَ صالحـــةً ، وفيهـــا مناقبُ تفسد الرجل الحليمـــا

وواضحٌ تأثره في المعنى بقوله تعالى عن الخمر والميسر : « قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما »، كما يتضح التشابه في اللفظ والمعنى تقريباً بينه وبين قول مِقْيس بن صُبابة في ذم الخمر :

رأيت الخمرَ طيبـــةً وفيهـــا خصالٌ كلُّها دنسٌ ذميـــمٌ

فلا واللهِ أشربُهـــا حياتـــــي   طوالَ الدهر ما طلَع النجــوم(١)

وشعر هذه المرحلة يحمل عاطفة من نوع آخر ، إنها عاطفة دينية نقية ، يغمرها الإيمان والتوبة ، وهجران الخمرة ، دون أن يخالط ذلك شَوبٌ من الندم عليها ، ولا الحسرة لفراقها . إلا أن هذا الشعر ، على ما فيه من عذوبة في الموسيقا وحلاوة في الجرس ، يبقى ألين ديباجةً ، وأرق نسجاً مما قاله في المرحلتين الأوليين . كما يبدو أقرب إلى النظم والوعظ منه إلى الشعر المحلّق ذي الخيال الموحي والوهج الوضاء ، وإن كان صاحبه صادقاً مع نفسه ومشاعره . وليست صلته بالشعر الخمري إلا بمقدار ما يتصل بموضوع الخمرة وبيان موقف الشاعر منها . ولعل قولــة الأصمعي في حسان تصدق هنا ، في جانب كبير منها ، حين لحظ أن شعر حسان في الإسلام أضعف منه في الجاهلية ، فقال : « الشعر نَكَدٌ بابه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان بن ثابت : فَحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقَط شعره »(٢) .

أما ما قاله أبو محجن في جاهليته ، أو قبل توبته ، فهو الألصق بهذا الفن ، على قلّته . وكنّا ننتظر من شاعر كان خِدن الخمرة ، وعاش في مجالسها ومدارج كرومها أمداً طويلاً ، أن يوفر لها من أفانين القول ما يجعله مقدماً على أنداده ، وأن يكون لها كما كان الأعشى ، إن لم يكن أكثر منه ، الا أنه لم يستطع أن يجعلها فناً عالياً يُطرق لذاته :

فهو في خمرياته لا يتعمق في مجالات النفوس جميعاً ، وسبر أغوار العقول ، وإن كان يجمع فيها بين الأوصاف الحسية المادية ، والنواحي المعنوية النفسية من حفاظ ونجدة ومروءة ، وحماية للجار ، وتشبث بالخمرة ، فجاءت هذه الخمريات لوناً من الشعر الوجداني في الخمرة ، أو شعراً خمرياً في الوجدان .. إنها ذَوب من المشاعر ، في فيض من الصراحة والطلاقة والطرافة في وقت معاً ، وتمثيل لنفس لا تملك أن تقلع عن هواها .

ثم إن أبا محجن في شعره هذا لا يعطينا صورة كاملة للخمرة في مجالسها ومغانيها ،

---

(١) معجم الشعراء ٤٣٤ وفيه أن مقيساً هذا كان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وهو ممن أسلم ثم ارتد ، فأهدر الرسول « ص » دمه ، فقتله رجل من قومه يوم فتح مكة .

(٢) الشعر والشعراء ٢٢٤/١ وقول الأصمعي هذا أيضاً في الاستيعاب ١ / ٣٤٦ .
النكد : كل شيء جر على صاحبه شراً . ورجل نكد : شؤم عسر . وأرض نكد : قليلة الخير .

وندامَاها وسُقاتها وانفعالاتهم بل أكثر صورة جزئية محسوسة ، نراه يختصر المشهد ولا يفصّل فيه ، ويجتزىء بمباكرة الخمرة وشربها صِرفاً وممتزجة ، ووصف صوت المغنية الذي يموت طوراً ويحيا ، كما عبّر ابن الرومي .

وليس كل ما أورده أبو محجن في خمرياته ، من معان وأوصاف ، جديداً ؛ إذ يشترك في كثير منها مع معاصريه أو يتقيّل فيها آثار سابقيه ، فحديثه عن المغنية ووصفه لصوتها في مجلس طرب ، قريب من قول الأعشى في وصف العود والقينة :

ومستجيبٍ تخال الصَّنْج يسمعه   إذا تُرجّع فيه القَينةُ الفُضُلُ(١)

وما ذكره أبو محجن من دفعه لثمن الخمرة نُوقاً في قوله :

أقوّمها زقاً بحقٍّ ، بذاكُمُ   يساق إلينا تجرُّها ونَسوقُها

يشبه قول الأعشى :

فقلنا له : هذه هاتها   بأدماءَ ، في حبْلِ مُقتادِها(٢)

ووصفه لطعم الخمرة بأنها « مزّة » في قوله :

إنني باكرت مُترعةً   مُزّةً ، راووقها خَضِلُ

يقع في دائرة قول عديّ بن زيد :

قد سُقيتُ الشَّمولَ في دار بشر   قهوةً مُزةً بماءِ سَخينِ(٣)

وقد رأينا أنه يشرب الخمرة صرفاً تارة ، وممتزجة تارة أخرى :

فقد أباكرها رِياً ، وأشربها   صرفاً ، وأطرب أحياناً فأمتزج

ومن قبله شربها على هذا النحو عبْدة بن الطبيب :

(١) ديوان الأعشى ٥٩ . المستجيب : هو العود يجيب الصنج ويشاكله . الفضل : التي تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذلة .

(٢) ديوانه ٦٩ . هذه : إشارة إلى الخمرة أو خابيتها الضخمة . أدماء : ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

(٣) الأغاني ٢ / ٥٨ « ثقافة » . وعدي بن زيد : شاعر جاهلي ، سكن الحيرة وكان كاتباً لكسرى . اتصل بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة ولكن هذا ما لبث أن نقم عليه فحبسه ثم قتله — معجم الشعراء ٨٠ .

ثم اصطبحتُ كُميْتاً قَرقَفاً أنفــاً من طيّب الراح ، واللذّاتُ تعليــلُ
صِرفاً مزاجاً ، وأحياناً يعللنــــا شعرٌ كمُذْهَبَة السَّمّان محمولُ(١)

وعلى هذا ، فليس لدى أبي محجن جديد صريح بالقياس إلى معاصريه أو سابقيه ، بل إن من هؤلاء من وسّع معاني الشعر الخمري ، كالأعشى وحسان ، وفصّل القول في كثير من جوانب هذا الشعر .

وعلى الرغم من إيجاز الفن الخمري في شعر أبي محجن ، وقلة الابتكار فيه ، فقد وردت عنده إشارات خاطفة إلى ما فصّل فيه شعراء الخمرة في عصره وبعد عصره : كالغناء والطرب ، والساقي ، وفعل الخمرة ، والمجاهرة بشربها ، وذكر اللائمين ، والموانع التي تقوم في وجهه : كالدين والخليفة .

كما يبرز في هذا الشعر نفس قَصصي أو حواري ، اتسعت دائرته عند الأخطل وأبي نواس فيما بعد ، وهذا النفس الحواري له شأن في بعث الحياة والجدّة ، وإن كانت دائرته ضيقة تدور على ذاتها ، فلا تتجاوز الشكل الواحد ، ولا تتعدى المعاني الواحدة ، كقوله :

صاحبا سَوْءٍ صحبتُهمـــــا صاحبَاني يـــومَ أرتحـــلُ
ويقولان : ارتحـــل معنَـــا وأقول : إنني ثَمِــــل

وقوله :

يقول أناسٌ : اشربِ الخمرَ إنهـا إذا القوم نالُوها أصابوا الغنائمـا
فقلت لهم : جَهلاً كذبتم ، ألم ترَوا أخاها سفيهاً بعد ما كان حالمـا

ولا تخلو خمرياته من حكمة نابعة من تجاربه ، وبيئته إلا أنها حكمة ساذجة مألوفة :

ألم ترَ أن الدهر يعــثُرُ بالفتــى ولا يستطيع المرءُ صرفَ المَقــادِرِ

على أن الدارس لتطور شعر الخمرة في الأدب العربي لا يستطيع ، مع هذا ، أن يغفل شعر أبي محجن، وأثره في هذا التطور، وأنه كان حجراً قوياً في بناء الشعر الخمري.

---

(١) المفضليات ١٤٥ . الكميت والقرقف : من أسماء الخمر . أنف : مستأنفة ، يريد : لم يبزلها أحد قبله ولم يشربها . يعللنا شعر : يلهينا غناء القيان به . السمان : الوشي . والمحمول : الذائع ، الذي يرويه الناس لحسنه .

ذلك أن هذا الشاعر انفرد ، من بين سابقيه ومعاصريه ، بأنه :

١ ــ خصّ الخمرةَ بقطع وقصائد مستقلة ، بعد أن كانت عند سابقيه ومعاصريه جزءاً من القصيدة أو غرضاً من أغراضها .

٢ ــ وأنه كان أحد الشعراء المسلمين القلائل الذين تابعوا القول في الخمر ، بعد أن غابت من الشعر أو كادت .

٣ ــ وهو أول شاعر ــ بين أضرابه ــ يتضح لنا في شعره ، أولَ مرة ، الصراع بين لذة شرب الخمر ، ونهي الإسلام عن شربها .

٤ ــ كما أنه لم يكتف بالأوصاف الحسية التقليدية للخمرة وما يتصل منها بسبب ، بل إنه منحها تلك الجوانب النفسية والذاتية التي أضفاها على خمرياته ، ولا سيما موقفه السلبي من الإسلام في قضية الخمرة ، أولاً ، ومن الخمرة نفسها بعد توبته ثانياً . وهذا الموقف السلبي هو إيجابي إزاء الخمرة نفسها ، وإزاء الإسلام من بعدُ حين هَجر الخمرة وقَلاها . فالإيجابية والسلبية تتعاوران مواقف أبي محجن . وتكتسيان ثوباً نفسياً عنيفاً لا يرضى بالأوساط من الحلول ولا يعرف اللين ولا الهوادة ، سواء أكان ذلك في تعلقه بالخمرة وشغفه بها بعد إسلامه ، أم في مفارقته إياها بعد توبته .

كل ذلك جعل لخمريات أبي محجن طعماً خاصاً لا نجده في خمريات الآخرين كالأعشى ، وعدي ، وحسان .. في الجاهلية أو في الإسلام ، كما سلكه في جملة المجددين في هذا الباب .

بل إن عدداً من الشعراء بعده تأثروا به في تلك المواقف ، ولا سيما الموقف السلبي من الإسلام ، والانحياز إلى الخمرة في تحدٍّ سافر ، أو مبطّن بالهزل . وكان أبو نواس على الأخص ، مجلياً في هذا المضمار ، إذ استفاد من استخدام أبي محجن للشعر في التصدي لأحكام الدين ، والإصرار على شرب الخمرة ، وتوسع في ذلك حتى قال :

الراح شيءٌ عجيب أنتَ شاربها ... فاشرب ، وإن حمّلتك الراحُ أوزارا
يا مَن يلوم على حمراءَ صافيةٍ ... صِرْ في الجنان، ودعني أسكُن النارا[1]

---

(١) ديوان أبي نواس ١١١ .

وإذا مضى أبو محجن في اللذات قُدماً ، سابحاً في بحار اللهو والقصف ، وخالعاً فيها العذار في مثل قوله : (ولستُ عن الصهباء يوماً بصابر) ، وقوله :

ألا سقّني يا صاح خمراً ، فإنني ... بما أنزلَ الرحمنُ في الخمرِ عالمُ

فإن أبا نواس يسلك هذا المهيع ويوغل فيه ، فيقول :

ألا فاسقني خمراً ، وقل لي : هي الخمرُ ... ولا تسقني سراً إذا أمكنَ الجهرُ(١)

ويقول :

طَربتُ إلى الصَّنْجِ والمِزهَرِ ... وشُربِ المُدامةِ بالأكبرِ

وألقَيتُ عني ثيابَ الهدى ... وخضت بحوراً من المنكرِ

وأقبلت أسحب ذيلَ المجونِ ... وأمشي إلى القَصف في مئزرِ(٢)

أما وصية أبي محجن بأن يدفن إلى جنب كرمة لا في فلاة، لتروي عروقها عظامه .. فهي « أدنى إلى الحنين والوجد في شعر العذريين الذين يسفحون أشواقهم في الحبّ » ، وإن تباين موضوع الحبّ في هذا الشعر بين المرأة والخمرة . « وأي شغف أعظم من أن يخاف الشاعر أن يحول الموت بينه وبين خمرته » ؟ فهو لا يخشى الموت « للعدم الماثل فيه ، أو للباطل الناتج عنه ، كطرفة ، بل لأمر واحد هو افتراقه به عن الخمرة ، وامتناعه عن معاقرتها »(٣) .

وهذه الوصية تبدو وكأن أبا محجن جعل منها دستوراً للشاربين إذا أرادوا أن يوصوا ما دام أحدهم لا يقوم في ذهنه ، ولا يتصور ، أن تكون حياة بغير خمرة . ولم ينل من قيمة هذا الشعر نعت الدَّميري له بأنه « أحمق بيت قالته العرب » ونبز أبي محجن بأنه « الأعشى »(٤) .

وقد حفظ الوصية وعمل بها عدد من شعراء العرب والعجم ، ممن كان أليف العُقار ، وخدن الشمول ، وفي مقدمتهم أبو الهندي(٥) ، الذي يقول في وصيته :

---

(١) ديوانه ٢٨ .

(٢) ديوانه ٦٨٢ .

(٣) ما بين الأهلة من فن الشعر الخمري ٩١ .

(٤) حياة الحيوان للدميري ٢ / ٥٦٩ « المطية » .

(٥) هو غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي ، شاعر فصيح مطبوع ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية وكان منهوماً بالشراب ، مستهتراً به ، متهماً بفساد الدين، استفرغ شعره في وصف الخمر – طبقات ابن المعتز ١٣٨ وفوات الوفيات ٢ / ٢٤٠ .

إذا حانت وفاتي فادفنوني بكرْم ، واجعلوا زقاً وسادي
وإبريقاً إلى جنبي ، وطاساً تروّي هامتي ، وتكون زادي(١)

ثمّ جاء أبو نواس ، فنظم نفسه في سلك الموصِين ، ولو لم يفعل لكان أمراً عجباً ، إلا أنه نقلنا من جو المذاق لدى أستاذه أبي محجن ، إلى لذة السماع في وصيته بأن يدفن في « قُطْرَبُّل » العراق ، موطن الخمر هناك :

خليليّ ! بالله لا تحفرا لي القبرَ الا بقُطرَ بُّلِ
خلالَ المَعاصرِ بين الكروم ولا تُدنياني من السنبُلِ
لعلّيَ أسمع في حفرتي ، إذا عُصرت، ضجةَ الأرجُلِ(٢)

وبعد أبي نواس ، وفي هذا الزحام من الوصايا ، وصلت إلينا وصية شاعر عباسيّ آخر ، هو بكر بن خارجة(٣) الذي يقول :

ادفنوني ، إن متُّ ، في أصلِ كرمٍ إنّ روحي تحيا بماء الكرومِ
واحنُطوني بتُربها ، ثم رُشّوا كَفني من رَحيقها المختومِ
وادْفِنوني بحانةٍ عند دنٍّ بفِنا عسكرِ الدنّان مقيمِ(٤)

وكان خاتمة هؤلاء المريدين، والشعراء السالكين: عمر الخيام (– ٥١٧ هـ) في إحدى رباعياته ؛ حيث يقول :

اجعلوا طعامي كله عنباً
واغسلوا عند مماتي رمتي البالية بالخمور
واحفروا قبري تحت ظلال العناقيد
وادفنوني بين أوراق الكروم(٥)

أفلا يحقّ لنا بعد هذا كله أن نؤكد ما سبق ذكره من أن أبا محجن رائد الشعراء في وصف الخمرة في الإسلام أو أحد الرواد في هذا المضمار ؟

---

(١) قطب السرور ١٨٤ وحلبة الكميت ٩٧ .
(٢) ديوان أبي نواس ١٧ . قطربل : قرية قرب بغداد ينسب إليها الخمر ، وكانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين – معجم البلدان .
(٣) شاعر عباسي من أهل الكوفة في القرن الثالث ، وكان وراقاً ماجناً مولعاً بالخمر – الأغاني ٢٣ / ٦٦ .
(٤) قطب السرور ١٨٤ وحلبة الكميت ٩٦ .
(٥) رباعيات عمر الخيام ٥٠ .

الفخـر

فخر أبي محجن هو صدى تطلع تلك النفس إلى ذاتها ، وتقليب النظر في مرآتها ، وقد عملت فيه العاطفة العميقة ، والانفعال الشديد ، فبرزت الحقائق مجلببة بجلباب العاطفة والخيال ، ومن هذا الفخر ما هو ذاتي فردي ، يدور حول العقل والقلب واللسان والساعد ،ومنه ما هو قبَلَيّ يدور حول الآباء والأجداد(١) :

١ – ففي **فخره الذاتي** : تتمثل محامد شتى كان الناس عصرئذ يحرصون عليها ، إذ تأتلف بطولة السيف والبسالة ، مع بطولة النفس والخلق ، والتحلي بالمثل الرفيعة : كالأنفة ، والإباء ، والشعور بالعزة والكرامة والنجدة ، والوفاء بالوعد ، وصيانة الشرف .. وكل ذلك مجموعة من البطولات الحربية والنفسية والخلقية لازمته في الجاهلية والإسلام وعبّر عنها شعره أجمل تعبير ، ووسمها بالصدق والوضوح وقد ضمت قصيدته القافية من ذلك ما لم تضمه قصيدة أخرى . ونكتفي منها بقوله :

أعطي السنانَ غداةَ الرَّوْعِ نِحلتَــــه   وعاملُ الرمح أُرويه من العلــــقِ
عفُّ الإياسةِ عمّا لستُ نائلَــــــهُ   وإن ظُلِمت شديدُ الحِقد والحنَقِ
وأكشف المأزِقَ المكروبَ غُمّتَــهُ   وأكتم السرَّ فيه ضربةُ العنُــــق
وقد أجودُ وما مالي بذي فَنَـــعٍ   وقد أكرّ وراء المُجحَر البَـــرِق
وأهجر الفعلَ ذا حُوب ومنقصــةٍ   وأترك القولَ يُدنِيني من الرهَــق

والقصيدة كلها تجري على هذا النحو من تعداد المحامد والمكارم ، فلا غرو أن تنال حظوة لدى الأدباء والرواة والنقاد وتنزل من نفوسهم منزلاً حسناً حتى افتخر بها ابنه أمام معاوية، وقال فيها العسكري : « قد فُضلت أبياته القافيّة على كل شعر قيل في معناها » ، وكان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب يفضلان هذه الأبيات ، ويجعلان قائلها أشعر الناس . وأصبح حفظها أيضاً من المروءة حتى قال الشعبي : « لم يكن في الحي فتى لا يحفظ هذه الأبيات تُعدّ له مروءة »(٢) .

(١) يتصل بهذا البحث ما سبق من الكلام على شخصية أبي محجن ص ٩٦ فليراجع .
(٢) شرح ديوان أبي محجن : آخر القصيدة الأولى .

وهناك قصيدته الأخرى التي بدأها بوصيته المشهورة ، فقد افتخر فيها بعدد من المآثر والخصال التي تجللها آثار الجاهلية ، ولكنها تبقى من مكارم الأخلاق التي يُتباهى بها في كل زمان ، فهو ذو حفيظة في الذب عن نساء الحي ، مانع جاره ، مكرم ضيوفه :

وعندي على شُرب العُقار ، حفيظةٌ　　إذا ما نساءُ الحيّ ضاقت حلوقُهـا
وأمنع جارَ البيت مما ينوبُـــه　　وأكرم أضيافاً ، قراها طُروقُهـا

وفخر أبي محجن في قصائده الأخرى لا يعدو أبياتاً متناثرة تدور في هذا الفلك ولا تخرج عنه ، وبعضها أذاعه في الإسلام ، كقوله حين هرب منه حارسه في الطريق إلى المنفى :

إني أكرُّ على الأُولى إذا فزعـوا　　يوماً ، وأحبس تحت الراية الفرَسا
أغشّى الصّباح وتغشاني مضاعفـةٌ　　من الحديد ، إذا ما بعضُهم خنَسا

هذا إلى جانب فخره بماله الكثير وإخوته : « وقد كنت ذا مال كثيرٍ وإخوة » وبما يتحلى به من صبرٍ وتحمّل ، إلا عن الخمرة :

وإني لذو صبرٍ وقد مات إخوتـي　　ولستُ عن الصهباء يوماً بصابـرِ

وما ذكره من بلائه يوم الجسر :

وما رِمتُ حتّى خرّقوا برماحهـم　　ثيابي وجادت بالدماء الأباجـلُ
وحتّى رأيت مُهرتي مزوّئـرّة　　لدى الفيلِ يَدمَى نحرها والشّواكِل
وما رحتُ حتّى كنت آخرَ رائـحٍ　　وصُرّع حولي الصالحون الأماثـل

ولا نستبعد أن يكون مثل ذلك الفخر قد جمع حوله الحساد ، لما صاحبه من فَعال حميد ، حتى صبّ أبو محجن لعنة الله عليهم :

ألا لعنَ الله الذين يَسرُّهـم　　رَدايَ وما يدرون ما الله فاعـلُ

وآخر ما نطق بـه لسان أبي محجن وأغلق عليه فمه من هذا الفخر الذاتي ، قوله يوم القادسية بعد أن أبلى وعاد إلى قيده ، وغابت عنا بعده أخباره :

وليلةَ قادسٍ لم يشعروا بـي　　ولم أُشعِر بمخرجيَ الزُحوفـا
فإن أُحبَس فذلكمُ بلائـي　　وإن أُترك أذيقُهمُ الحُتوفـا

تلك هي جوانب الفخر الذاتي في شعر أبي محجن ، وقد ساعده على أن يرفع بها عقيرته ما جمعه من شرف البيت ، وفائق الأدب ، وجميل المواقف بين الأقران ، وعظيم الشجاعة والغَناء ، وشهرة الكرم(١) ، وما يأخذ من ذلك بسبب ، من نبل ومروءة وفتوة وجراءة . فجدير بأبي محجن – وفيه ما فيه من قوة الشخصية – أن يصرف عنايته إلى التحدث عن محامده وغزواته ومشاهده . ولا غرابة ، من بعدُ ، أن يأتي ذلك الفخر أقرب إلى الصدق والواقع ، وأبعد عن المبالغات التي ينفخ فيها الغرور الأجوف ، والادعاء الفارغ ، والتباهي المزيّف .

ب – **أما فخره القبلي** : فهو أدنى حظاً في شعره ، وقد يفتخر أبو محجن بعشيرته الأقربين ويؤثر ذلك على الفخر بقبيلة ثقيف كافةً . وأول ما يطالعنا من ذلك فخره بعمّه غَيلان بن سلَمة ، الذي أهدى الجياد إلى كسرى ، ونال عنده حظوة بعد أن أعجَب كسرى كلامُه(٢) . ولم يكن غَيلان عمَّ أبي محجن لحّاً وإنما كان عمَّ كلالةٍ ، من أفراد ثقيفٍ الأدنَين ، وفيه يقول مفتخراً ، ومكتفياً بالإشارة اليسيرة إلى خبره مع كسرى :

عمّي الذي أهدى لكسرى جيادَه ... لدى الباب منهـا مرسَلٌ ووقوفُ
عشيةَ لاقى الترجمانَ وربَّـــه ... فأدّاه فرداً ، والوفودُ عكـــوف

ومن الحق لأبي محجن أن يفتخر بهذا العم الذي جمع الشعر والحكمة ، وأعجب به كسرى حتى أرسل معه من يبني له حصناً في الطائف ، وانفرد في الجاهلية بأن قسم أعماله على الأيام : فكان له يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله(٣) .

وهو يفتخر بقوة قومه وشجاعتهم وسرعتهم إلى القتال لصدّ البغاة ، ولكنه لا يصرّح باسم القبيلة :

لما رأينا خيَـــلاً محجَّلـــةً ... وقومَ بغيٍ في جحفَلٍ لَجِـــبِ
طِرنـا إليهـم بكـل سَلْهَبَـــةٍ ... وكلٍّ صافي الأديم كالذهـب ..

(١) انظر الكشف عن مساويء الخمر ٢٧ / ٢ .
(٢) انظر الخبر في شرح ديوان أبي محجن ، في تعليق العسكري على القطعة ١٣ .
(٣) طبقات ابن سعد ٥/٣٧١ والاستيعاب ٤ / ١٢٥٦ وأسد الغابة ٤ / ٣٤٣ وتاريخ الإسلام ٢ / ٦٨ .

وهم قوم من سَراة الناس، يعاهدون أطراف القنا أن يحطّموها إذا لم تخضب بدماء الأعداء ، التي تشخَب من أعناقهم :

- قد يعلم الناس أنّا من سَراتهم   إذا سما بصَرُ الرِعديدة الفَرِقِ
- نعاهد أطرافَ القنا فنَفي لها   إذا لم تُضرَّج من دمٍ أن تحطّما

جاء فخره القبلي هذا صِيرفاً في ثنيات قصائده ومقطوعاته ، إلا أن له قطعة واحدة خماسية الأبيات مزج فيها بين الفخر القبلي والفخر الذاتي ، تلك التي قالها يوم القادسية وبدأها بقوله :

لقد علمتْ ثقيف غيرَ فخرٍ   بأنا نحن أجودُها سيوفا
وأكثرها دروعاً ضافياتٍ   وأصبرها إذا كرهوا الوقوفا
وأنا رِفدُهم في كل يوم   فإن غضبوا فسَل رجلاً عَريفا

وواضح أنه لا يفتخر بثقيف كلها ، بل يفخر بأفراد أسرته الأدنَين ، وهم فخر ثقيف الذين شرفت بهم : إنهم أمضاها سيوفاً ، وأغزرها سابغات ، وأصبرها على المعارك ، وأصحاب رفدها الدائم .

ونلاحظ - مما أوردناه من فخر أبي محجن - **أن أكثره جاهليّ الزمن ، أو قاله قبل إسلامه** ، وقد رأينا من قوة شخصية هذا الشاعر واعتزازه بنفسه ، ما يجعلنا نعتقد أنه لم يعرض لمكارم قبيلته وأيامها ومآثرها إلا لأن هذه المكارم والمآثر تعود إليه .. فجاء فخره القبلي في جملته غنائياً شخصياً ، وإن شاعت فيه روح القبيلة .

كما نلاحظ في هذا الفخر سمة أخرى ، وهي اعتماده على الصدق في تصوير الواقع والتزام الحقائق ، بلا مبالغة ولا ادعاء ، إلا ما يقتضيه العمل الفني من بعض الخيال الذي لا بد منه في الشعر ، ولا سيما الفخر . وهذه الواقعية ، البعيدة عن الغلوّ ، تبدو حتى في ميدان المعركة حيث يزدهي المحارب ، وتأخذه نشوة النصر والقوة ، وتستبدّ به زهوة الغرور . فنرى أبا محجن ينصف أعداءه ، ويقدّر فيهم شجاعتهم وثباتهم :

لما التقَينا مات الكلامُ ودا   رَ الموتُ دورَ الرّحى على القُطبِ
فكلنا يستَليص صاحبَه   عن نفسه ، والنفوسُ في كُرَبِ
إن حَملوا لم نَرِم مواضعَنا   وإن حملْنا جثَوا على الرُكَبِ

وهذه الأبيات – عدا ذلك – تسلك أبامحجن في عقد شعراء «المنصفات» الذين ضمّت قلائدَهم بطونُ الحماسة والأصمعيات ، من أمثال : العباس بن مرداس السلَمي(١) ، وعبدالشارق بن عبد العُزّى الجُهَنِي(٢) ، والفضل بن العباس اللهَبي(٣) وغيرهم ممن لا يندفعون وراء الخيال في المبالغة ، حين يصورون ما أصاب أعداءهم في المعركة ، وإنما اتخذوا سمْت الاعتدال والإنصاف . . فيذكرون ما لهم وما عليهم بلا تحيّز ولا هوى ، ويعترفون لخصومهم بالبأس والإقدام والمروءة ، ولا يجردونهم من صفات الفروسية ، بل يصْدقون عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حرّ اللقاء ويحرصون على الدقة والصدق في عدد الهجمات والقتلى من الطرفين(٤) .

ومن تمام الكلام على فخر أبي محجن : أن نشير إلى أن كثيراً من المعاني التي تضمنها هذا الفخر قد وردت ، في جملتها ، عند شعراء آخرين أو حكماء سبقوا أبامحجن أو عاصروه ، مما يجعله قليل الابتكار ، كالكثير من أضرابه الذين كانوا – مع ذلك – أكثر منه شهرة . ولا غرو في ذلك ، لأن هذه المعاني تقوم على مُثل ومحامد وقيم كان الناس جميعاً في ذلك العصر يفتخرون بها كالكرم والشجاعة وحماية الجار . . فمن الطبيعي أن يتكرر ذكرها فيما يقولون من الشعر ، ولا سيما شعر الفرسان كعنترة وعبد الشارق ابن عبد العزى وعوف بن عَطية(٥) . إلا أن أبا محجن امتاز منهم أحياناً بطريقة العرض ، وتفصيل تلك القيم والمحامد . من ذلك افتخاره بمنع الجار وإكرام الأضياف في قوله :

وأمنع جارَ البيت مما ينوبــــــه وأكرِم أضيافاً قَراهـا طُروقهـا

فهو كقول عوف بن عطية :

---

(١) من شعراء الصحابة وفرسانهم ومن المؤلفة قلوبهم . أسلم قبيل فتح مكة وحسن إسلامه ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية – الشعر والشعراء ٢١٨ ، ٦٣٢ ، والاستيعاب ٢ / ٨١٧ .

(٢) شاعر جاهلي – المبهج ٣٢ .

(٣) شاعر خبيث متمكن ، وهو أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم ، عاصر الفرزدق وانقطع إلى الوليد بن عبد الملك ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه – المؤتلف ٤١ والأغاني ١٦ / ١١٩ .

(٤) جمع شعر « المنصفات » عبد المعين الملوحي في كتاب نشرته وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٦٧ ولكنه أغفل أبيات أبي محجن ! .

(٥) عوف بن عطية التيمي : شاعر جاهلي مفلق . « معجم الشعراء ١٢٥ والخزانة ٣ / ٨٢ » . وفي السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ أنه جاهلي إسلامي .

أحيّي الخليلَ ، وأعطي الجزيـــلَ حياءً ، وأفعلُ فيه اليَســـارا
وأمنع جاري من المُجحِفـــات ، والجارُ ممتنعٌ حيث صـــارا(١)

ومع ذلك يحسن أن نشير إلى بعض التوافق الذي لمسناه في المعاني والألفاظ :

فقوله :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتــه وسائلي القومَ عن ديني وعن خلقي

مأخوذ من قول المنخّل اليشكري :

لا تسألي عن جُـــلِّ مـــا لِيَ ، واذكري كرَمي وخِيري(٢)

وقوله :

نعاهد أطرافَ القنا فنَفِي لهـــا إذا لم تُضرَّج من دمٍ أن تحطّمـــا

هو معنى حسن غير متسع في الشعر ، والأصل فيه قول الأسعر الجعفي :

وإذا حملتُ حملتُ غيرَ مهلّـــلٍ وإذا طعنتُ كسرتُ رمحي أو مضَى(٣)

وقوله :

وأكشف المأزقَ المكروبَ غمّتــه وأكتم السرَّ فيه ضربةُ العنـــق

مأخوذ من قول العرب في بعض أمثالهم : « سِرُّكَ من دمِك »(٤) .

وقد يقتفي أبو محجن ألفاظ السابقين ويلتزمها ، كقوله :

وأطعن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ تنفي المسابيرَ بالإزباد والفهَـــق

فصدْره يتفق مع قول عنترة :

---

(١) المفضليات ٤١٣ . المجحفات : الخلال التي تذهب بماله .
(٢) الأغاني ٢١ / ٩ « ثقافة » .
(٣) الأشباه والنظائر ١ / ١٥ . هلل : جبن وفر . والأسعر : شاعر جاهلي فارس ، اسمه مرثد بن أبي حمران - المؤتلف ٥٨ .
(٤) جمهرة الأمثال ١ / ٥١٠ . قال العسكري: " المعنى أنك ربما أفشيت سراً فكان فيه حتفك. ومنه أخذ أبو محجن قوله : وأكشف ... " .

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُــرُضٍ تصفَرّ كفُّ أخيها وهو منزوفُ(١)

ومع قول تأبط شراً :

قد أطعن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ كفرْج خرقاءَ وسط الدار ، مسكين(٢)

ويصل الأمر إلى أن يقع التشابُه والتوافق بين أبي محجن وبعض معاصريه في المعاني والألفاظ ، حتى إننا لا نستطيع أن نجزم أيهما تأثر بالآخر وتقيّله؟ إذ يبعد أن يقع «الحافر على الحافر» ، أو تتوارد الخواطر على مثل هذا . فقوله :

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فخــرٍ بأنا نحــن أجودُهــا سيوفــا
وأكثرُها دروعــاً ضافيــات وأصبرها إذا كرهــوا الوقوفــا

شديد الشبه بقول أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب(٣) :

لقد علمت قريش غيرَ فخــرٍ بأنا نحــن أجودُهــم حصانــا
وأكثرهم دروعــاً سابغــاتٍ وأمضاهم ، إذا طعنوا ، سنانــا(٤)

ومع ذلك كله، فقد تأثر بأبي محجن شعراء عاصروه أو خلفوا من بعده، فاقتبسوا من معانيه الفخرية ، بل أخذوا بعض ألفاظه نفسها ، وكانت تلك المعاني مورداً استقى منه أولئك الشعراء ، ومنبعاً استمدوا منه :

فقوله يوم الجسر :

وما رِمتُ حتى خرَّقــوا برماحِهم ثيابي ، وجادتْ بالدماء الأباجــل

نظر إليه عروة بن زيد الخيل فيما بعد لمّا انتصر بجيشه على الديلم وفتح الرّي بعد شهرين من وقعة نهاوند ، فقال :

فما رمتُ حتى مزّقــوا برماحهــم قَبائي ، وحتى بلّ أخمصيَ الدمُ(٥)

---

(١) ديوان عنترة ٢٧١ « مولوي » .
(٢) اللسان « سكن » واستشهد به على مجيء « مسكين » للأنثى .
(٣) هو ابن عم الرسول « ص » وأخوه من الرضاعة ، اسمه المغيرة ، وقيل : اسمه كنيته . شاعر مطبوع ، من فضلاء الصحابة ، أسلم يوم الفتح وأبلى في حنين بلاء حسناً، مات سنة ٢٠ هـ - الاستيعاب ٤ / ١٦٧٣ .
(٤) الاستيعاب ٤ / ١٦٧٦
(٥) معجم البلدان « النخيلة » وفتوح البلدان ٢ / ٣٨٨ « منجد » .

وقوله :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتِــــه   وسائلي القومَ عن ديني وعن خلُقي

أخذ صدرَه المرّار الفقعسي بلفظه ، ونحا بعجُزه نحواً آخر فقال :

لا تسألي الناس عن مالي وكثرتـــه   قد يُقتر المرء يوماً وهو محمود(١)

وسبقت الإشارة الى أن الأصل في هذا المعنى بيت المنخّل اليشكري. على أنّ عجزَ بيت المرّار مأخوذ بلفظه تقريباً من قول أبي محجن :

قد يُقتِر المرء يوماً وهو ذو حسـب   وقد يثوب سَوامُ العاجز الحَمِـقِ

---

(١) الحماسة الشجرية ١ / ٢٣٣ « ثقافة » . والمرار شاعر أموي لص ، أو من مخضرمي الدولتين – الأغاني ١٠ / ٣٢٤ ومعجم الشعراء ٣٢٧ .

شعر الفتوح

ومن المناسب أن نخص شعر الفتوح لدى أبي محجن بوقفة تجلّي لنا جوانبه ، لأهميته وقيمته التاريخية ، ولأن أبا محجن اشترك في بعض تلك الفتوح وكان له فيها مواقف مشهودة ، وبطولات نادرة .

يذكر التاريخ أن أبا محجن خاض معركة الجسر ، ومن بعدها « أُلّيْس » الصغرى ، ثم عاد إلى المدينة فمكث بعض الوقت ، ليكتب بعد ذلك صفحة جديدة من خوارقه في القادسية . وجاء شعر أبي محجن ليثبت ذلك كله ويؤرخه ، مضيفاً إلى كتب التاريخ ما أغفلته من مآثره وأعماله .

إلا أن كلاً من التاريخ وشعر أبي محجن لا ينبسان ببنت شفة عما قام به في الفتوح التي أعقبت القادسية ، وانتهت بموته في أحد الأقاليم التي افتتحها العرب عند بحر الخزر . ولا ندري سبب هذا الصمت : أكان جحوداً من التاريخ لجلائل الأعمال ، وهو الذي [illegible] لمن هم دونه ؟ أم إيثاراً من الشاعر للسكوت ، اكتفاءً بنيل رضاء ربّه في ذلك الجهاد ؟ أم إن عوادي الزمن اجتاحت ما سجله للتاريخ ، وما عبر به الشاعر عن تجربته الذاتية ، وانفعاله بالأحداث ؟

وما بقي لنا من شعر أبي محجن الذي قاله في معمعان الفتوح لا يعدو قصيدتين وقطعتين :

أ ــ فله في يومي الجسر وأُلّيس قصيدة تقع في أحد عشر بيتاً ، بدأها بذكر الطيف :

أنّى تسدّتْ نحوَنا أم يوسفِ ... ومِن دون مَسراها فَيافٍ مَجاهلُ

ثم انتقل إلى رثاء أبطال المعركة وشهدائها ، وفي مقدمتهم ابن عمه أبو عُبيد الثقفي وأسرته :

وأضحى أبو جَبرٍ خلاءً بيوتُه ... بما كان يَعفوها الضِعافُ الأراملُ

وأضحى بنو عمروٍ لدى الجسرِ منهمُ ... إلى جانب الأبياتِ جُودٌ ونائلُ

ووصف بعد ذلك بلاءه يوم الجسر ، وما قام به من تضحية وإقدام حتّى خرّق الأعداء ثيابه برماحهم ، وتسربل هو ومهرته بالدم :

وما رِمْتُ حتّى خرّقوا برماحهم ثيابي ، وجادت بالدماء الأباجلُ
وحتّى رأيتُ مُهرتي مُزْوئِرَّةً لدى الفيل يَدمى نحرها والشّواكل

ويشير قبيل نهاية القصيدة إلى رحيله عن « ألَيْس » التي أعقبت يوم الجسر ، وفراقه للمثنى وقبيلته : بكر بن وائل :

وقرّبتُ روّاحاً وكُوراً ونُمرقاً وغودِرَ في ألَيّسَ بكرٌ ووائل

ولأبي محجن في يوم الجسر أيضاً قطعة ثلاثية الأبيات ، قصَرها على رثاء أبي عبيد وأصحابه ، والحسرة على ما فات المسلمين في ذلك اليوم من العزّة والنصر :

يا عينُ بكّي أبا جَبرٍ ووالدَهُ إذا تحطمتِ الرايات والحلَقُ
يومٌ بيوم أبي جبر وإخوتِه والنفسُ نفسانِ منها الهَول والشفَق
يا ضُلَّ ضُلَّ المنايا ، ما تركنَ لنا عِزاً نَبوءُ به ما هُدّل الورَقُ

ب – وكان ليوم القادسية نصيب أيضاً في شعر أبي محجن ، فقد خصه بقصيدة وصل إلينا منها تسعة أبيات ، مطلعها :

كفى حزَناً أن تطعنَ الخيلُ بالقنا وأُصبحَ مشدوداً عليَّ وثاقيا

وصف فيها ما يعانيه من السجن والأغلال والحرمان من شرف الجهاد الذي ينعم به الآخرون :

وقد شفَّ جسمي أنني كلَّ شارقٍ أعالج كَبْلاً مصمتاً قد بَرانيا
حُبستُ عن الحربِ العَوانِ وقد بدَتْ وإعمالُ غيري يومِ ذاك العَواليا

ثم ينتفض طالباً السلاح إزاء الحرب التي تزداد تمادياً ، ويعاهد الله على هجر حانات الخمرة إذا هيأ له الاشتراك في الحرب ، ويَعدّ ذلك فرجاً :

ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهدِه لئن فُرِّجت : ألاّ أزور الحوانيا

وإلى جانب هذه القصيدة قطعة خماسية الأبيات قالها بعدما نقع غلّته من الحرب وعاد

إلى قيده ، وقد افتخر في أبياتها الثلاثة الأولى بأسرته ، وجودة سيوفها ، وكثرة دروعها، وصبرها في الحروب ، وكرم أفرادها ، ولم يتعرض للقادسية بذكر . ثم خصّ نفسه بالبيتين الأخيرين ، ذاكراً خروجه إلى الحرب خلسةً :

وليلةَ قادسٍ لم يَشعروا بي ولم أُشعِر بمخرجيَ الزحوفا
فإن أحبَس فذلكمُ بلائي وإن أترَك أذيقهمُ الحتوفا

هذا ما قاله أبو محجن من شعر الفتوح في المعارك التي سبر غورها وخاض غمارها، وكنا نأمل من شاعر مثله – طبع على قول الشعر في كل تجربة وجدانية تعرض له – أن يكون رصيده من شعر الفتوح أكثر مما تركه لنا في الخمرة والفخر وما إليهما .

ومع ذلك ، فإن ما بين أيدينا من هذا الشعر ذو قيمة تاريخية كبيرة ، لأنه يمنحنا من الحقائق الجزئية مالا تسعفنا به كتب التاريخ نفسها ، وبذلك تنضاف هذه الحقائق إلى مصادر المؤرخين الذين يلتقطون المعلومات الجديدة من هنا وهناك .

والأفكار والمعاني التي تضمنها شعر أبي محجن في الفتوح والمعارك تدور حول الفخر والشكوى والإنابة ، والإشادة بأصحابه وأفراد أسرته ، مع وصف بلائه في المعركة ، وتمجيد من استشهد ، باكياً عليهم ومعدداً مآثرهم ، وفي مقدمتهم أبو عبيد الثقفي . ورثاؤه لهم يشيع فيه الأسف والجزع ، ويجلله الحزن والأسى ، إلا أنه لم يشر في هذا الرثاء أدنى إشارة إلى أخيه قيس الذي لقي مصرعه يوم الجسر .

كل ذلك يدل على أن أبا محجن انفعل بأحداث المواقع والحروب التي خاض غمارها وذاق أهوالها ، كما انفعل بمشاهداته الجديدة فيها . فالحقيقة أن هذه المواقف الجديدة هزّت شاعريته ، وأطلقت على لسانه ما أطلقت ، فكان إيجابياً في انفعاله هذا .

لكن السلبية تبدو في الوجه الآخر من شعره المشار إليه ، إذ أن الروح الدينية فيه ضعيفة النبض ، تكاد تخلو من الحماسة الدينية ، أو التمدح بفضائل الاسلام ، والإشادة بتعاليمه ومثله العليا ، والاعتزاز بما أعده الله لمن قتلوا في سبيله من فضل ورزق ، مع أن مواقف الجهاد في سبيل الله كانت كفيلة أن تُضفي على أبي محجن روحانية شفيفة ، وأن تثير وجدانه الديني ، وتطلق على لسانه شعراً يشرق بنور العقيدة والإيمان(١) ، وذلك ما يبدو واضحاً في قول من رثى شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية :

---

(١) انظر تاريخ النقد الأدبي لعبد العزيز عتيق ٥٩ والكلام فيه على شعر الفتوح عامة .

جزى الله أقواماً بجنب مشـــــرّقٍ غداة دعا الرحمنَ من كان داعيـــا
جناناً من الفردوس والمنزل الـــذي يحلّ بـــه م الخيرِ مَن كان باقيا(١)

على أن شعر الفتوح عند أبي محجن يزين بعضه لون وجداني، ونفحة ذاتية رائعة، لا ينسى فيها نفسه، وتصوير ما يستبد به من خواطر وانفعالات، ومن حقه ألاّ ينسى ذلك وأن يجعل حديثه عن المعركة سبيلاً بل ذريعة إلى تصوير بلائه والإشادة بنفسه وقبيلته :

وما رحتُ حتّى كنت آخرَ رائـح وصُرّع حـولي الصّالحون الأماثـل
وما لمت نفسي فيهمُ ، غـير أنهـا إلى أجـلٍ لم يأتها وهـو عاجـل
ألا لعنَ الله الذين يَسرهـــــم ردايَ وما يدرون ما الله فاعل ٢

وأكثر ما تظهر نزعته الوجدانية هذه في يائيته التي قالهـا يوم القادسية ومزج فيها الفخر بالشكوى من القيودِ المصمتة ونحول الجسم ، وختمها بالتمرد الممتزج بالإنابة وإعطاء العهود والمواثيق .

وأبو محجن في حديثه عن المعارك يعتمد على الوصف بدلاً من القصص، وإن بدا من هذه القصص شيء يسير ، يقتصر على الخبر البسيط ، والسرد السريع ، وهو يؤثر الإيجاز في عرض الصور على التطويل ، كما هو الشأن عند الجاهليين ، ويكتفي بالجزئيات اللماحة دون الكليات ، « ويتعلق بالمادة أكثر من الروح . فإذا وصف تناول الموصوفات جزءاً فجزءاً حتّى يحيط بها أو يحيط بالجانب البارز منها ، ولكنه لا يربط هذه الأجزاء بعضَها ببعض ، ولا ينظر إليها نظراً شاملاً ليرتقي منها إلى الحالة الكلية الجامعة ، فتبقى الأجزاء متفاصلة ، مستقلة بأبياتها بحيث يسهل معها الحذف والتقديم والتأخير ، ويكتفي بالتعبير الموجز عن خواطره فتأتي أوصافه لمحات خاطفة ، لا إشباع ولا تفصيل »(٢) .

فهـو في وصفه لمعركة قس الناطف يوم الجسر يجتزىء ببضعة أبيات ترينا تخريق الرماح لثيابه ، وسيلان دمه ، وازورار مهرته أمام الفيل ، وبكاء من استشهد ... ، إنها « ومضات من البرق جميلة في سرعتها وتلويحاتها ، غير أننا لا نخرج منها بفكرة عامة أو صورة تامة عن الموقعة . فما ندري كيف جرت حركات المحاربين ، وكيف انتظم

---

(١) معجم البلدان « مشرق » وهو واد قرب القادسية .

(٢) انظر الشعراء الفرسان ١٤ ، وما بين قوسين مقتبس منه .

الجيشان ، وأين وقف الفرسان ، وأين وقف الرجالة ، وكيف تم الهجوم والالتحام»(١) .
حتى صورته هو « لا تظهر جلية ، بل يتركها غامضة مغشاة . ويعطينا المعركة على الإجمال تهاويل مقطعة الخطوط والأوصال ، لا يتألف من أجزائها وحدة موضوعية متلاحمة » .

ولا شك أن الإيجاز الذي درج عليه الشعراء القدامى — كأبي محجن وأمثاله من معاصريه وسابقيه — كان يحول بينهم وبين الإسهاب في أخبارهم، وهذا الإيجاز يعود في معظمه إلى قصر النفس وشح منابع الخيال المبدع ، فلم يتفجر لهم عمل الملاحم والقصص الطويلة(٢) .

وهناك ظاهرة أخرى لا بد من الإشارة اليها في حديثنا عن شعر الفتوح لدى أبي محجن ، وهي بدء قصيدته في يوم الجسر بالحديث عن الطيف ومسراه ، وذلك قوله :

أنّى تسدّت نحونا أمُّ يوسف ومِن دون مسراها فيافٍ مجاهلُ
إلى فتيةٍ بالطّفِّ نيلَت سَراتهُم وغُودِرَ أفراسٌ لهم ورواحل

وهو يشترك في هذا المنهج مع شعراء آخرين ، كبِشر بن ربيعة الخثعمي(٣) الذي قال في مطلع قصيدة له يوم وزّع سعد غنائم القادسية :

ألمَّ خيالٌ من أميمةَ موْهِناً وقد جعلَت أولَى النجوم تغورُ
ونحن بصحراء العُذَيب ، ودارُها حجازيّة ، إن المَحلّ شَطيرُ(٤)

وكذلك فعل عروة بن زيد الخيل الطائي في قوله يوم معركة نهاوند :

ألا طرقَت رحلي ، وقد نام صحبتي بإيوان شيرينَ المزخرفِ ، خلتي
ولو شهدَت يومَيْ جلولاءَ حربَنا ويومَ نهاوندَ المهُول استهلّتِ
إذاً لرأت ضربَ امرئٍ غير خاملٍ مُجيدٍ يطعن الرمح أروعَ مُصلتِ(٥)

(١) الشعراء الفرسان ١٤ .
(٢) الشعراء الفرسان ١٥.
(٣) من فرسان الصحابة ، شهد اليمامة والقادسية ، وله مع سعد أخبار — الإصابة ١ / ١٧٤ وفتوح البلدان ٢ / ٣٤٦ .
(٤) فتوح البلدان ٢/٣٢٠ .
(٥) الأخبار الطوال ١٣٨ .

وقبل هؤلاء ـ وفي عصرهم أيضاً ـ عدد من الشعراء الذين استهلوا قصائدهم بوصف الطيف وقطعه بعيدَ المسافات ، وتعجبوا من زيارته لهم على بُعد الدار وشحط المزار ، واشتباه السبل ، من غير هادٍ ولا عاضد ، في أقرب مدة وأسرع زمان ، وأكثرهم من شعراء المفضليات ، نذكر منهم معاوية بن مالك الذي يقول :

طرقَت أمامةُ ، والمَزارُ بَعيـــــدُ ... وَهْناً ، وأصحابُ الرّحال هُجـود

أنّى اهتديتِ وكنتِ غيرَ رجيلـــةٍ ... والقومُ منهم نُبّهٌ ورُقــــود(١)

ولعل من أبرز الدواعي إلى هذا اللون من الاستهلال ما كان من معاناتهم للرحلة والأسفار والبعد عن الأهل والأوطان ، والاشتراك ، من بَعد ، في الفتوح .. وكل ذلك من شأنه أن يصدّع شمل الأحبّة ، ويضرم نار الشوق في الجوانح ، مما كان يؤذن بزيارة الطيف للعشاق والمتيّمين ، فيردّدون القول في ذلك ؛ حتّى أصبح حديث الطيف تقليداً شائعاً عند الشعراء على مر العصور(٢) .

أما أبو محجن فقد أوجز جداً في حديثه عن الطيف بالقياس إلى أولئك الشعراء ؛ فلم يداعب خيالَ أم يوسف ، أو يتحدث عن هُزال النوق ، ووعورة الطريق ، وإنما اكتفى بأن تعجب من وصول الطيف إليه ، على ما بينهما من الفيافي والسباسب ، وذلك في بيت واحد فحسب .

وخلاصة الأمر أن الطوابع الفنية في شعر الفتوح لدى أبي محجن هي نفسها في شعر الفتوح عامة .. تطبع هذا الشعر في مجموعه ، وتوضح معالمه وقيمته التاريخية ، وتضعه في موضعه من تاريخ الأدب العربي :

فهو ، أولاً ، شعر ملتزم ، يخدم المثل الإسلامية ، والغايات والمبادىء التي يدعو الإسلام إليها ، وهذه الخطوة من التطور غيّرت مفهوم الشعر الإسلامي ، ولا سيما شعر الفتوح . إلا أن شعر أبي محجن لم يرقَ كثيراً إلى هذه المنزلة التي سبقه إليها غيره .

وهو ، ثانياً ، يمتاز بالإيجاز والقِصر ، والتخفف من بعض التقاليد الفنية للقصيد

---

(١) المفضليات ٣٥٥ . وهناً : بعد ساعة من الليل . الرجيلة : القوية على المشي . معاوية بن مالك : شاعر جاهلي فارس ، لقب " معود الحكماء " ببيت قاله ، وهو عم لبيد الشاعر — معجم الشعراء ٣١٠ والخزانة ٤ / ١٧٤ .

(٢) انظر طيف الخيال ١٦ ومقدمة القصيدة العربية ١٦٧ .

العربي ، وتنعدم فيه الإطالة والتمهل ، ويقتصر الكلام على غرض واحد . ذلك أن ظروف القتال ، والحركة الدائبة لا تساعد على امتداد نفس أو توليد للمعاني ، فليس لدى المجاهد ما يريد أن يفضي به غير مشاعر اللحظة الوجيزة الحادة ، والانفعال اللاهب ، والانطلاق الراكض ، في بريق خاطف وتعبير مركز مضغوط .

وفي هذا الشعر ، ثالثاً ، **عفوية وطبع** ، وخلوّ من الصقل والتهذيب والمعاودة والمراجعة ، وذلك كله نتيجة لانطلاق التعبير وحدّته ، والقصد إلى الفكرة مباشرة بلا إسهاب . فكان أن اتسم شعر الفتح بالصدق والحرارة الانفعالية ، والقدرة على التأثير ، نائياً عن التكلف ، فلا تشبيه متصيّد ، ولا استعارة متعسّفة ، ولا تعبير ملتوٍ أو معقّد ، بل صدق صاف ، وطبع سمح ، وتعبير حارّ عذب ، وأداء واضح وضوح النفس وصفاءها[1] .

وما قاله أبو محجن يوم القادسية ، مثلاً ، يصدّق ذلك . فقصيدته اليائية ارتجلها من فوره وهو ينظر إلى الحرب ويسمع أصوات الأبطال . وقطعته الثانية — الفائيّة — قالها في إثر عودته إلى قيده . وأجلى من هذه وتلك ما ذُكر من أن امرأة رأته يومئذ وهو قافل ، فظنته منهزماً ، فتمثلت بقول الشاعر :

مَن فارسٌ كَرِه الطعانَ يُعيرني ... فَرساً إذا نزلوا بمرج الصفّرِ

فأجابها أبو محجن ببيت ارتجله على الوزن والرويّ أنفسهما :

إن الكرام على الجياد مقيلُهم ... فذَري الجيادَ لأهلها وتعطّري

(١) تفصيل هذه الخصائص الفنية الثلاث تجده في « شعر الفتوح الإسلامية » ص ٣٠٤ — ٣٠٨. وسيأتي مزيد من الكلام على مزية الطبع والعفوية في حديثنا عن الخصائص الفنية لشعر أبي محجن .

الغـزل

إذا كانت الخمرة أبرز الأهواء المنحرفة في سيرة أبي محجن ، فإنها لم تكن وحدها وإنما كان معها الحب في بعض الاحايين(١) وهو حب من طرف واحـــد . وكانت « تجربته » مع المرأة — ولعلها الأولى — أحد الأسباب التي أدت إلى نفيه وإزعاجه من المدينة . فقد سبقت الإشارة إلى أنه أغرم بامرأة أنصارية مدنيّة تدعى الشَّموس ، وقال فيها :

ولقد نظرتُ إلى الشَّموس ودونَهـــا حَرَج من الرحمن غيرُ قليـــــل

ولم نعثر على ترجمة وافية للشموس هذه، ويرجح ابن حجر أنها صحابية(٢) . ومنذ أن غادر أبو محجن المدينة مبعداً ، لم يعد للشموس مكان في نفسه ولا في شعره .

وليس لامرأة أخرى خبر صحيح يرويه التاريخ في حياة أبي محجن . على أن في ديوانه قصيدة قالها يوم الجسر ، وشبب في مطلعها بمن تدعى أم يوسف ، متحدثاً عن زيارة طيفها له ولأصحابه ، في بيت واحد بدأ به قصيدته :

أنّى تسدّت نحونا أمُّ يوســـــفِ ومِن دون مَسراها فَيافٍ مجاهـــلُ

ويذهب العسكري(٣) إلى أن أم يوسف هذه هي أخت الحجاج بن يوسف الثقفي . وهذا وهمٌ من أبي هلال ، لأن بين وفاة أبي محجن (٢٣ هـ) وولادة الحجاج (٤١ هـ) بضعة عشر عاماً ، ولم يكن للحجاج سوى أخت واحدة هي زينب التي ولدت بعده(٤) . وهي التي كان يشبب بها الشاعر الثقفي محمد بن عبد الله النميري . ومن شعره فيها قصيدة مشهورة ذاع مطلعها على كل لسان :

---

(١) تطور الغزل ٢٣٧ .

(٢) الإصابة ٤ / ٣٣٥ . وفي أسد الغابة ٧ / ١٦٥ تراجم لنسوة ثلاث ، تحمل كل منهن اسم الشموس، وكلهن من المبايعات . ونرجح أنها الشموس بنت النعمان بن عامر من أهل المدينة ، وقد حضرت مع النبي «ص» حين أسس مسجد قباء . ولها وحدها ترجمة في الاستيعاب ٤ / ١٨٧٠ .

(٣) شرح الديوان : القصيدة الرابعة .

(٤) جبار ثقيف ٢٢ .

تضوّع مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشتْ به زينبٌ في نسوةٍ خفِراتِ(١)

ونرجح أن أم يوسف في قصيدة أبي محجن امرأة خيالية لا وجود لها في دنيا أبي محجن وحياته ، وإنما جعل ذكرها ذريعة إلى رثاء الشهداء في معركة الجسر . وتكون قصيدته هذه إحدى قصائد الرثاء التي استهلها ناظموها بالغزل .

ولأبي محجن – بعد هذا – قطعتان في الغزل ، يبدو أنه قالهما في جاهليته ، أولاهما رباعية الأبيات ، تغزل فيها بامرأة يهودية يدعوها ابنة الحَبر اليهودي ، ويكرر ذلك ثلاث مرات في ثلاثة أبيات ، ويقرنها في البيت الأخير بامرأة أخرى يسميها سُميّة :

فإن ابنةَ الحَبْرِ اليهودي تيّمتْ فؤادي ، فهل لي من سميةَ زاجرُ

والقطعة الثانية ثلاثية الأبيات، تغزل فيها بامرأتين، وذكرَ موقف الوداع وماكان للبين في نفسه من أثر :

تمنيتُ أن ألقاهما وتمنّتا فلما التقَينا استحيْتا من مُناهما
بكت هذه وانهلَّ أدمعُ هذه وفاضت دموعي في عِراض بكاهما
هما سقَتاني السمَّ يوم تولّتا جزاني إلهي عنهما ، وجزاهما

وهذه الأبيات يشاركه في نسبتها سحيم، عبد بني الحسحاس، ولكن ليس في ديوان سحيم إلا البيتان الأولان من قصيدة طويلة .

ذلك ما يمكن أن نسميه غزلاً في شعر أبي محجن ، ولكن هذا الغزل لا يحمل سمات خاصة ، ولا انفعالات عميقة ، وإنما هو أشبه بخطرات ساذجة لا تنبض فيها الحياة ، ولا يحلّق في سمائها تجديد ولا إبداع ، وتنحصر في رسم الصور الحسية التي تستمد مادتها من النظر إلى المرأة، وزيارة الطيف ، وموقف اللقاء والوداع ، وما يظللهما من الدموع . وقد يمُازجُ هذا التصوير الحسي شيء يسير من التصوير النفسي الذي يشّي باللوعة والأسى للفراق ، وأن المرأة اليهودية قد تيّمت فؤاده . وليس في ذلك كله ما يهزّ النفوس أو يقرع مكامن الشعور .

(١) الأغاني ٦ / ١٨٠ والكامل ٢ / ٤٤٥ ، ٥٥٩ .

أغراض أخر

وفي شعر أبي محجن أغراض أخَر ثانوية بالقياس إلى أغراضه السابقة ، لا تعدو بعض الأفكار والمعاني المتناثرة هنا وهناك ، ولا تؤلف فناً قائماً بذاته له سماته الخاصة :

آ ـ فهناك **الحكمة** : التي استمدها من منبع واحد ، هو تجاربه العميقة في الحياة ، يَرفدها نصيب يسير من حنكة ودراية. وحكمه منها مايدور حول الفقر والحسب والغنى ، وحظوظِ الناس منها :

قد يُقتِر المرءُ يوماً وهو ذو حسب وقد يَثوب سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ
قد يَكثُر المالُ يوماً بعد قلّتـه ويكتسي العودُ ، بعد الجَدب ، بالوَرق

ومن هذه الحكم ما يدور في فلك الشجاعة والحرب (إن الكرام على الجياد مَقيلهم). ومنها ما يتجلبب بثوب ديني مستمد من المعاني الإسلامية التي تضم اليسر إلى العسر ، وتحث على انتظار الفرَج من الله :

إذا اشتد عُسر فارجُ يسراً ، فإنـه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسـرُ

والإنسان تحت رحمة الدهر ومقاديره ، لا يستطيع التدبير ولا تصريف الأمور كما يشاء ويهوى :

ألم تـر أن الدهر يعثُـرُ بالفـتى ولا يستطيع المرء صرفَ المقـادرِ

وقد تحمل حكمه طابع الإيجاز والتركيز ، وتجري مجرى الأمثال : (وينفع أهلَه الرجلُ القبيح) (وتحت الرغوةِ اللّبنُ الصريح) .

ب ـ ولأبي محجن في المدح قطعة يثني فيها على أبي بكر الصدّيق ، ويشيد بسابقته في الإسلام ، ورفقته للنبي (ص) في الغار ، وقد قام هذا المدح على أساسٍ من الصدق والواقعية ، بلا مبالغة ولا غلوّ :

سبقتَ إلى الإسلام ، واللهُ شاهـد وكنتَ جليساً بالعَريش المشهّـرِ
وبالغار ، إذ سُميتَ بالغار صاحبـاً وكنتَ رفيقاً للنبي المطهّـر

ج – وفي الرثاء : نجد لأبي محجن قطعة وقصيدة رثى فيهما أبا عبيد الثقفي وذوي قرابته يوم قُس الناطف، وأذاع فاجعته وفاجعة المسلمين بهم، ومن قوله في الأولى:

يا عين بكّي أبا جبرٍ ووالـــــدَه إذا تحطمت الرايـات والحلَـقُ

وفي الثانية :

وأضحى أبو جبْرٍ خلاءً بيوتُـــه بما كان يَعفوها الضّعافُ الأراملُ
وأضحى بنو عمرٍو لدى الجسر منهمُ إلى جامد الأبيات جود ونائلُ

ولأبي محجن قطعة أخرى جمع فيها بين الرثاء والتهنئة المادحة(١) : رثاء أمير ، وتهنئة ابنه الذي تولى مكانه . وفي هذا الغرض جدة وابتكار ، وموقف طَريف وحرِج ، لكن ليس فيها بكاء ، بل رثاء يعتمد على أناة العقل ، وعظة التأمّل :

إن يكنْ ولّى الامـيرُ فقـــد طاب منه النّجْـــلُ والأثَـــرُ
فيكمُ مستيقـــظٌ ، فَهِـــمٌ قُلْقلانٌ ، حيّـــةٌ ، ذكَـــرُ
أحمدُ اللهَ إليـــك ، فمـــا وُصلةٌ إلا ستَنبَتِـــــــــــر

(١) انفرد بروايتها ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٣٣٧ ولم ترد في ديوان أبي محجن ولا نعرف شيئاً عن مناسبتها أو من قيلت فيه .

الخصائص الفنية لشعر أبي محجن

أحسبني قد عرضت – فيما تقدم – لجوانب شعر أبي محجن كافة ، صغيرها وكبيرها ، بسيطها ومهمّها ، وأرجو أن أكون قد وفّيتها جميعاً حقّها من البحث والدراسة ، بعد أن طغت شهرته الخمرية على كل ما عداها ، وشوّهت الفكرة التي يمكن تكوينها عن مجموع شعره .

والواقع أن لهذا الشعر – كما لاحظنا – « قيمة استحضارية أصيلة للبيئة التي نشأ فيها الشاعر ، ففيها فخر قبلي ، أو شخصي ، وأناشيد حربية في إطار التقاليد الصحراوية الصِرف » ، ورثاء للمحاربين الذين استشهدوا . وفي الأثر الشعري لأبي محجن الثقفي « عناصر تمثل ما كانت عليه الغنائية الملحمية في بداية التوسع الإسلامي »(١) .

بقي علينا أن نلتفت إلى وجه آخر لشعر أبي محجن ، فنقف على خصائصه الفنية ، وما يتصل من ذلك بسبب ، من حيث قيمة هذا الشعر ، والصفات التي طبعته بميسمها ، ونخص ذلك كله بنصيب وافٍ من الدراسة :

أ – شعره صورة لحياته وأخلاقه :

لعلّنا لاحظنا في هذا الشعر أنه مرآة صادقة لحياة صاحبه ، وسجل أمينٌ لها ، على تقلب الأحوال والمقادير به. إنه – على قلّة ما بقي لنا منه – يصور حياةَ أبي محجن ، أو القليلَ الذي عرفناه منها ، تصويراً صادقاً ، ويمثلها أفضل تمثيل « في مجالي الجدّ والعبث ، بما فيهما من دواعي الغزل والفخر ، والرثاء ، والحكمة ، وما يتصل بذلك من إشارات وتلميحات تاريخية في الحياة الخاصة والعامّة »(٢) .

فأبو محجن ينفرد عن معاصريه بشعره الوجداني ، الذي نستطيع أن نعدّه صورة لنفسه؛ خلافاً للآخرين الذين جاء شعرهم صورة لغيرهم أكثر مما يكون صورة لأصحابه أنفسهم :

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، لبلاشير ٢ / ١٠٤ .

(٢) دائرة المعارف ٥ / ١٠٨ « بستاني » .

لقد رأينا في هذا الشعر صورة الفارس البطل الذي يسمو إلى المكارم والأخلاق : يعاهد فيوفي بالعهد ، ويكتم السر ، ويكرم الأضياف ، شديد الحنق إذا ظلم ، ينصف الأعداء ويعفّ عند المغنم ، يحزن أشدّ الحزن إذا حُرم نعمة الجهاد راسفاً في القيد ، أما إذا ضمّه النقع و حمي الوطيس فعندئذٍ فرحته الكبرى ، ونشوته العظمى التي ينبض بها قريضه وقوافيه .

كما رسم لنا شعره صورة التائب المنيب الذي يسلكه في أولى العزم ، من حيث إصراره على هجر الخمرة ، وصبره عنها ، وفراقها إلى غير رجعة .

ذلك هو الجانب الجدّي ، وما يمثله من هذا الجانب شعرُ أبي محجن .

أما في الجانب العابث اللاهي فنرى شعره يعطينا صورة الماجن الذي يتتبع مواطن اللذة والشرب وسماع القيان ، ويصر عليها وهو عالم بما فيها من آثام ، ولا يرى بأساً في الغزل والنظر إلى المحارم .

وشعر أبي محجن ينطق بذلك كله ، وقد مر بنا منه ما يغني عن إعادة ذكره ، وقد وقر في نفوسنا — بلا شك — أنه صورة لا يشوبها الكدر ، لأخلاق صاحبه وصفاته وطباعه ، على علاته ، وفي مختلف أحواله وألوان حياته .

ب — قيمته التاريخية والاجتماعية :

ثم إن هذا الشعر — على ضآلته — ذو قيمتين : تاريخية واجتماعية ، بل هو في حقيقتهوثيقةٌ عدلٌ توضح لنا كثيراً من حقائق التاريخ والمجتمع ، ولا سيما إشارته إلى بعض المعارك التي ضرب فيها أبو محجن بسهم وافر ، ووقوفه عند جوانب منها لا نجدها في كتب التاريخ نفسها ، ثم إشارته إلى اتصال « عمّه » غيلان بن سلَمة بكسرى في تجارة له ، وحيازته إعجابه .

وتبدو القيمة الاجتماعية لشعر أبي محجن في أنه يرسم لنا ما في تلك الحياة من قيم ومثل عربية تقوم على الشجاعة والبطولة والكرم وأنواع المروءة ، والعفة والإباء ، وإغاثة الصريخ ، والوفاء بالعهد ، وما ضمه ذلك المجتمع من مجالس اللهو والطرب ، وذكر مواطن الخمرة ، وبذل الإبل ثمناً للصهباء بدلاً من المال :

أقوّمها زِقاً بحِقٍّ ، بِذاكمُ ... يساق إلينا تجْرُها ونَسوقها

ج – الصدق والواقعية :

وتتصف معانيه بالصدق والواقعية وقول الحق ، والبعد عن المبالغة والغلوّ وهي فضائل تذكر لكل شاعر ، وينوّه بها النقاد والدارسون ، لذلك أعجب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بشعر أبي محجن ، ولا سيما قصيدته القافية ، ومما حببها إليهما أنه « قال الحقّ » فيها(١) .

وتلك هي صفات الأدب الصحيح الذي يصدق صاحبه في التعبير عما أكنّته جوانحه من عواطف وأحاسيس فاضت بها نفسه ، وعاناها معاناة حقيقية ، فكانت العاطفة التي أعلنها أبو محجن قد ألمت به حقاً ، وهو قد شعر شعوراً صحيحاً بما يريد أن ينقله إلينا من الأحاسيس . وليس من الضروري أن يلتزم الواقع في كل حذافيره ، ويكفي أنه صدق في تصوير انفعاله على حقيقته ، لا أكثر ، ولكن لا أقل . ثم إن تصويره لم يخالف النواميس البدائية للحياة ، كما نعرفها ، ولا حقيقة السلوك الإنساني فيما نخبره من البشر في تجاربهم ومواقفهم . أضف إلى ذلك أن حدّة تصويره نشأت من حدّة شعوره وقوة حساسيته ، لا عن رغبة في المبالغة والتهويل ، وتصويره ذاك تام الأمانة لا تزيّد فيه . وكان من شأن فنه – أخيراً – أن زاد عاطفته جلاء وقرباً ، ولم يقف حجاباً يشغلنا بتأملنا عن النظر فيه(٢) .

وأوضح ما تكون هذه المزايا في خمريات أبي محجن ، إذ يدفعها الصدق ، وتطبعها الواقعية بميسمها ، سواء في ذلك ما قاله قبل التوبة أو بعدها ، إذ لا يعنينا في المحل الأول أن ما يزعمه للخمرة من مزايا أو مفاسد هو صحيح في حقيقة الأمر ، ما دمنا قد اقتنعنا بأنه نظم خمرياته في حالة نشوة صادقة ، وإيمان مخلص بما يدعي . وبذا يدخل مثل هذا الشعر في دائرة الأدب أو الأنتاج الأدبي(٣) ، والأدب إنما نشأ أول الأمر للتعبير الصادق الأمين عن عاطفة منشئه الشخصية القوية ، لا لخدمة قضايا نبيلة ، وتحقيق أهداف مفيدة أو تأييد عقائد صحيحة. وليس معنى ذلك أن نقبل كل إنتاج صادق في التعبير عن عاطفة منشئه وإن يكن ضاراً بالمجتمع وقيمه(٤) .

---

(١) انظر شرح العسكري للقصيدة الأولى في ديوان أبي محجن .

(٢) اقتبسنا هذه الصفات من كتاب « عنصر الصدق في الأدب » ص ٧٠ ، ٣٧–٤٠ .

(٣) عنصر الصدق في الأدب ٤٠ .

(٤) عنصر الصدق في الأدب ٧٥ .

فأبو محجن يصور الواقع كما يراه ويعتقده ، لا كما هو هذا الواقع . وهذا هو « الفنّان » لأنه يمزج جزئيات ما يتحدث عنه بعاطفته ومن خلال مزاجه الخاص ، إنه يطلق حريته في التصور إلى درجة الانفصام التام عن الحقيقة المادية(١) .

د ـ الطبع والعفويـــــة :

وينتج عن سمة الصدق تلك : أن يكون أبو محجن شاعراً مطبوعاً ، وهذا ما شهد له به القدامى أنفسهم(٢). ونعني بالطبـــع هنا: العفوية وإرسال النفس على سجيتها . ويتصل بذلك ما عرف به أبو محجن وأوضحناه في كلامنا على الطوابع الفنية في شعره الفتحيّ : من شاعرية فياضة ، ومن حضور بديهة ، وإسراع إلى ارتجال الشعر من فوره ، عند المناسبة الداعية . ولا تقتصر هذه السمة على شعر الفتوح لديه ، وإنما هي تعمّ شعره في مختلف أغراضه ، ومواقفُه مع عمر خاصة تشهد بذلك وتؤكده .

وقد توافرت لأبي محجن ـ في أحواله المختلفة وتقلّبات حياته ـ دواعي الشعر التي تحث البطيء وتبعث المتكلف : كالشوق ، والشراب ، والغناء ، والطرب ، والغضب والحزن ، والشرف العالي ، والخلوة في الحبس وما إلى ذلك .. وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه ، يسرع بها أتيّه ، ويسمح أبيّه ، ويصبح قريباً ريّضاً ، ويستدعَى شارده(٣) .

ويصدق على أبي محجن ما قاله ابن قتيبة :

« والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر ، واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبيّنت على شعره رونق الطبع ، ووشيَ الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحّر »(٤) .

والدارس لشعر أبي محجن لا يجد فيه آثار التكلف الذي يَشي بما « نزل بصاحبه من طول التفكير ، وشدة العناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه ، وزيادة ما بالمعاني غنىً عنه »(٥) . ولم يأخـــذ عليه القدماء من ذلك

(١) عنصر الصدق في الأدب ٥٠ .

(٢) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ والخزانة ٣ / ٥٥٣ والعيني ٤ / ٣٨١ .

(٣) انظر الشعر والشعراء ٢٣ ـ ٢٦ .

(٤) الشعر والشعراء ٣٤ .

(٥) ما بين الأهلة من الشعر والشعراء أيضاً ٣٢

شيئاً ، إلا بيتاً واحداً هو قوله في الخمرة :

فقد أباكرها ريّاً ، وأشربهـــا صِرفاً ، وأطرب أحياناً فأمتزج

قال أبو هلال العسكري : « وكان ينبغي أن يقول : شربتها ممزوجة ، وربما طربت فصرّفتها »[1] .

وهذا في رأينا يؤيد ما ذهبنا إليه من عفوية أبي محجن وصدوره عن الطبع ، وبعده عن التكلف . ثم إن أبا هلال نفسه اعتذر عنه بعد ذلك فقال : « ولما قاله وجه ، وهو أنه إذا طرب مزَجها لئلا تُدخله في السكر » .

فالطبع سمة بارزة ، لا تقبل الجدل ، في شعر أبي محجن ، هذا الشعر الذي تجده شفافاً بادي السريرة وفيه مع ذلك خلابة واجتذاب . وهو يُناولك سرّه من صفحته الظاهرة ، كما تناولك الطبيعة سرّها من صفحاتها المنشورة .. إنه التعبير الصادق عن الفطرة والطبع بلغة الشعر ، حيث تتجه عاطفة الوجدان إلى أغراضها ، ويكون للقلب في كل غرض حاجة يقضيها ، ويكون لكل غرض فيه أثر يهزّه[2] . وهو ماعرفناه في حياة أبي محجن وتقلبات شؤونه في المناسبات المختلفة : يوم حصار الطائف ، وفي الجسر ، ومع عمر والخمرة ، ويوم القادسية .. ولا يعوزنا إيراد الشواهد على ما ذهبنا إليه ، إذ نستطيع أن نأخذ أية قصيدة أو قطعة لنجد مصداق ما بينّاه .

هـ ـ الابتكار والأصالة :

وليس بصحيح ما يزعمه بعض الدارسين من أن أبا محجن « في شعره قليل الابتكار كالكثير من أضرابه الذين كانوا ، مع ذلك ، أكثر منه شهرة »[3] أو أن « القطع التي بقيت من شعره لا تتسم بالأصالة »[4] . ففي هذا الحكم شيء من القسوة والإجحاف ، وهو يدل على أن قائله لم يتعمق في دراسة شعر أبي محجن ، ولا وازنه بمعاصريه وسابقيه .

على أن هناك من أنصف هذا الشاعر في تجرّد وموضوعية وأناة ، فقال عنه إنه

---

(١) شرح ديوان أبي محجن : البيت الثاني من القطعة ١١ .

(٢) انظر الطبع والصنعة في الشعر ٥٨ ، ٦٥

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٩٨ .

(٤) المرجع نفسه ١ / ٥٩٩ .

« شاعر لطيف الوقع مبتكر »(١) . ومثل ذلك ما قاله فؤاد أفرام البستاني بعد أن أورد قصيدتي أبي محجن : (إذا مت فادفني ...) و (لا تسألي الناس عن مالي ...) :

« ولعل هذين النموذجين من الخمريات والمفاخر الحكيمة يمثلان خير ما في ديوانه الصغير ، الذي صوّر حياة صاحبه أفضل تصوير في مجالَي الجدّ والعبث ... دون أن يبرز عن معاصريه بكثير من الطرافة والابتكار ، **إلا ما كان من إخلاصه في وصف الخمرة ، وتهتكه بها ، ومجاهرته بالإقبال عليها** ، في أسلوب سهل وتعبير موفق ، ونبرة عابثة ، ووصف مطبوع ، حتى إن لامنس سماه (هوراس العرب) ، هذا إلى تهكمه اللبق بأساليب الجدّ عنها ، ... »(٢) .

ألا يكفي كل هذا ، أو بعضه ، شاهداً عدلاً يثبت لشعر أبي محجن أصالة وابتكاراً مهما كانت درجتهما ؟ أيكون الشاعر مبتكراً إذا صور حياة الآخرين فحسب ، أم يكون كذلك إذا صوّر حياته هو دونهم؟ وهل سبق أبا محجن شاعر آخر وقف من الخمرة والقول فيها ما وقف أبو محجن وما قال ؟

على أن هذا لا يحجب عنا التذكير بما سبق أن أوردناه من تأثر أبي محجن بسابقيه من الشعراء ، وتقيّله إياهم في معانيهم . وقد بينا بعض ما اطلعنا عليه من ذلك في حديثنا عن خمرياته ، وفخره ، وشعره الفتحي .. ونضيف هنا شواهد أخَر لم نرَ لها موضعاً مناسباً في تلك الصفحات :

فمن ذلك قوله :

كفى حزناً أن تطعنَ الخيلُ بالقنا   وأصبح مشدوداً عليّ وثاقيا

إنه ينظر فيه إلى قول أفنون التغلبي(٣)، متأثراً ببعض ألفاظه، وراكباً متن بحره وقافيته :

كفى حزناً أن يرحل الرّكبُ غدوةً   وأصبحَ في أعلى إلاهةَ ثاويا(٤)

وقوله :

---

(١) المنجد في الأدب والعلوم ٤٨٠ .

(٢) دائرة المعارف ٥ / ١٠٨ « بستاني » .

(٣) هو صريم بن معشر ، شاعر جاهلي من بني تغلب ، يماني الأصل ، مات في بادية الشام – الشعر والشعراء ٣٢١ .

أبلغِ لديك أبا حفصٍ مغلغَلةً عبدَ الإله ، إذا ما غار أو جلَسا

متأثر في بعض ألفاظه بقول عنترة(١) :

أبلغ لديك بني سعدٍ مغلغلة أن الذي ينهَها قد مات أو دَنِفا(٢)

وقوله المنسوب إليه :

رأوه فازدروه وهو خِرْقٌ وينفعُ أهلَه الرجلُ القبيحُ

يشبه قول العباس بن مرداس السّلَمي :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريهِ وفي أثوابه رجلٌ مَزِيرْ(٣)

وهو معنى متداول، والأصل فيه قوله تعالى : « ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً »(٤) .

ومن الإنصاف لأبي محجن أن نشير إلى أن شعره كان منبعاً استقى منه الخلف من بعده ، وقد أوردنا بعض الشواهد على ذلك في دراستنا لخمرياته ، وفخره ، وشعره في الفتوح ، وذكرنا بعض المعاني التي تلقّفها عنه الشعراء .

و ــ أثر الإسلام في شعره :

ولا بدّ لدارس شعر أبي محجن وأضرابه المخضرمين الذين واجهوا في الإسلام طفرة جديدة ، ومرحلة غيّرت مجرى الحياة والعادات والأفكار .. لا بد لدارس شعر هؤلاء من أن يرقب ، عن كثب ، مدى تأثير هذا الدين الجديد في أشعارهم بعد أن أثّر في أنفسهم وفي أوضاع الحياة من حولهم :

لقد لقي الإسلام منذ ظهوره ردود فعلٍ لدى الشعراء ، على اختلاف مشاربهم :

(١) هو عنترة بن شداد العبسي ، شاعر جاهلي فارس ، وأحد أغربة العرب ، ومن أصحاب المعلقات . جعله ابن سلام في الطبقة السادسة – طبقات فحول الشعراء ١٢٨ والشعر والشعراء ١٧١ .

(٢) ديوانه ٣٣٥ « مولوي » .

(٣) معجم الشعراء ١٠٢ وقد سبقت ترجمة العباس ص ١١٨ .

(٤) سورة هود ٣١ .

١ – فبعضهم عزف عن قول الشعر بعـــد إسلامه ، مثل لبيد بن ربيعة(١) ، الذي لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، مستبدلاً بالشعر القرآن(٢) .

٢ – وبعضهم تأثروا بالدين الجديد في أفكارهم وعواطفهم ، وموضوعات شعرهم وأساليبهم ، وامتلأت أشعارهم بهذه التأثيرات : فمدحوا النبي عليه السلام ، ودافعوا عن الإسلام ، وقالوا في الفتوح ، وطبعوا شعرهم بطابع إسلامي واضح : كالنابغة الجعدي ، وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، وعروة بن زيـــد الخيل(٣) .

٣ – وفريق ثالث : دخلوا في الإسلام ، واشترك بعضهم في الفتوح ، ولكنهم لم يهتموا في شعرهم بأمور النبي (ص) والدين ، ولم يؤثر إسلامهم في شعرهم تأثيراً جلياً ، حتى كأن أحوالهم ما تغيرت منذ انتهاء عصر الجاهلية ، بل إن بعضهم كان رقيق الدين . وأغلبهم من أهل البادية . ومن هذا الفريق : الحطيئة ، وعمرو ابن معدي كرب(٤) .

وإلى جانب هؤلاء : شعراء آخرون كان للإسلام تأثير في شعرهم على نحو ما ، وهم الذين لم يدخلوا في الإسلام ، أو أسلموا متأخرين بعد أن حاربوا الإسلام بشعرهم ..

---

(١) شاعر مخضرم فارس ، من أصحاب المعلقات . سلكه ابن سلام في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية . عمر طويلا ومات في أول خلافة معاوية – ابن سلام ١١٣ والشعر والشعراء ١٩٤ .

(٢) الشعر والشعراء ١٩٥ .

(٣) النابغة الجعدي : عبد الله بن قيس ، شاعر مخضرم أقدم من النابغة الذبياني ، ولكنه مختلف الشعر مغلب ، سمع الرسول « ص » شعره فأعجب به ودعا له . وقد عمر طويلا حتى ورد على ابن الزبير – ابن سلام ١٠٣ والشعر والشعراء ٢٠٨ .

وكعب بن زهير : شاعر فحل مجيد . مدح الرسول «ص» بعد إهدار دمه فكساه بردته في خبر مشهور . « الشعر والشعراء ٨٩ ومعجم الشعراء ٢٣٠ » . وحسان بن ثابت : جاهلي إسلامي متقدم الإسلام، ونديم الغساسنة في الجاهلية. جعله ابن سلام على رأس شعراء المدينة، وكان كثير الشعر جيده، ولكن حمل عليه ما لم يحمل على أحد . مات في خلافة معاوية . « الشعر والشعراء ٢٢٣ وابن سلام ١٧٩ » . وأما عروة فقد سبقت ترجمته ص ٦٧ .

(٤) تاريخ الآداب العربية لنالينو ١٠٤ ، ١٠٨ – ١١٢ . والحطيئة : جرول بن أوس ، مخضرم، من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم ، متصرف في جميع فنون الشعر ، ومجيد فيها أجمع . ونسبه متدافع بين قبائل العرب – الأغاني ٢ / ١٣٠ .

وعمرو بن معدي كرب : فارس اليمن ، وصاحب الغارات المشهورة . كان ممن ارتد ، ثم رجع إلى الإسلام . شهد اليرموك والقادسية . ومات في خلافة عمر – الأغاني ١٥ / ١٦٢ .

وأكثرهم من أهل المدن الذين كانوا يفدون في الجاهليه على الملوك ، كالأعشى الذي مدح الرسول (ص) ، أو قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبي وأصحابه ، ومناهضة الإسلام . وأغلب هؤلاء من أهل مكة . وأشهرهم : عبد الله بن الزِبَعرى ، وضرار بن الخطاب[1] .

بعد هذه المقدمة عن أثر الإسلام في الشعراء .. ، مسلمين ومشركين ، نتساءل :

أين مكان أبي محجن بينهم ؟ وفي أي فئة نسلكه ؟

يذهب « كارلو نالينو » إلى أن أبا محجن من الفريق الثالث، الذين لم يؤثر إسلامهم في شعرهم تأثيراً بارزاً[2] . ولكن المتأمل في حياة أبي محجن يجد أن شعره ينسجم مع مواقفه انسجاماً قوياً ، بعد دخوله في الإسلام : فهو في أيّام عمر لا يترك الخمرة ، بل يتشبث بها ، ولا يصبر عنها ، على الرغم من نهي الإسلام عنها . وشعره نفسه مرآة لذلك :

– وإني لذو صبرٍ ، وقد مات إخوتي ولستُ عن الصهباء يوماً بصابرِ
– ألا سقّني ، يا صاحِ ، خمراً فإنني بما أنزل الرحمنُ في الخمر عالِم

ولكن بعد توبته يختلف الأمر ، فيصبح شعره صورة صادقة لتلك التوبة النصوح . ويبدو أثر الإسلام واضحاً فيه ، معنى ولفظاً :

– أتوب إلى الله الرحيم ، فإنه غفور لذنب المرء ، ما لم يعاودِ
وكيف وقد أعطيت ربي مَواثقاً أعود لها ، والله ذو العرش شاهدي ؟
– سأتركها لله ، ثم أذمّها وأهجرها في بيتها حيث تُشرَب

فالاثر الإسلامي في شعر أبي محجن ذووجهين: وجه سلبي قبل التوبة، وو. إيجابي بعد التوبة ، وينحصر ذلك كله في موضوع الخمرة ، وموقفه منها وحدَها . أما في الموضوعات الأُخَر فيقلّ الأثر الأسلامي ، حتى في الفتوح التي اشترك فيها أبو محجن ،

---

(1) تاريخ الآداب العربية ١٠٨ . ابن الزبعري: من شعراء مكة، كان شديداً على المسلمين بشعره، ثم أسلم ومدح النبي «ص» واعتذر إليه فأحسن. مات في أول خلافة عمر .« ابن سلام ١٩٥ » . وضرار بن الخطاب: فارس شاعر ، صحابي ، أسلم يوم فتح مكة ، ولم يكن في قريش أشعر منه . قتل باليمامة شهيداً وقيل حضر فتح المدائن ونزل الشام – الإصابة ٢ / ٢٠١

(2) تاريخ الآداب العربية ١٠٩.

وكان في جماة المجاهدين ، إذ اقتصر في شعره آنئذ على وصف ما قاسى من المتاعب وما شهد من الوقائع ، وما كان له من البأس ، وثبات الجنان ، وعلى رثاء الأبطال والشهداء(١) .

كما يبدو جانب من الأثر الأسلامي في مدح أبي محجن لأبي بكر الصديق والتنويه بسبقه إلى الإسلام ، وصحبته للنبي (ص) في الغار ، وتحت العَريش يوم بدر — كما سبق — وفي قوله أيضاً :

عسى فرج يأتي به الله ، إنــــــه	له كلّ يوم في خليقته أمــــرُ
إذا اشتدّ عسر فارجُ يسراً فإنــــه	قضى الله أن العسر يتبعه اليســر

وهو متأثر بقوله تعالى : « إن مع العسر يسراً »

أما قبل إسلام أبي محجن فلا نجد في شعره أي أثر إسلامي ، ولم يعرف عنه أنه شارك بشعره في المعارك التي شبت نارها بين المسامين والمشركين .

على أن الأثر الإسلامي في شعره لم يقتصر على المعاني والأفكار ، وإنما تعداها إلى الألفاظ والتراكيب . وقد مر في الأبيات السابقة شيء من ذلك ، يضاف إليه ما قاله في أبيات أخَر استعمل فيها ألفاظاً إسلامية نذكر منها قوله :

— الحمد لله نجّاني وخلّصنــــي	من ابن جَهْراءَ والبوصيُّ قد حُبِسا
— فلما درَوْا عني الحُلودَ تركتهــا	وأضمرتُ فيها الخيرَ ، والخيرُ يُطلَب

من هذا كله يتبين لنا أن أبا محجن ينفرد عن معاصريه المخضرمين من الفئات الثلاث بما يجعلنا نعتقد أنه صنفٌ برأسه ، ونسيج وحده : في موقفه من الإسلام ، وتأثر شعره بالدين الجديد ، غرضاً ومعنًى وأسلوباً .

ز — لغتــــــــه :

لغة أبي محجن فصيحة ، تجنح إلى السهولة ، في تعبير موفق ، وألفاظ شجية ، وأوزان خفيفة توافق تجربته الوجدانية اللطيفة التي تجعل عباراته عذبة الإيقاع ، ناعمة

(١) أفضنا في الكلام على ذلك ص ١٢٤ .

بالجرس . وهذا ما جعل بعض شعره يغنّى ويلحّن في « أصوات » المغنّين ، ويكون له حيّز في الأصوات التي ضمها كتاب الأغاني . وقد غنّى من شعره بالأصوات التالية :

١ – لِنَشْو :

صاحبا سَوْءٍ صحبتُهما ... صاحباني يوم أرتحلُ
ويقولان : اصطبحْ معنا ... وأقول : إنني ثَمِلُ(١)

٢ – لإبراهيم الموصلي ، وفيه لحن آخر لحُنَين :

إذا متُّ فادفنّي إلى جنب كرمة ... تروّي مُشاشي بعد موتي عروقُها
ولا تدفننّي بالفلاة ، فإنني ... أخاف ، إذا ما متُّ ، ألاّ أذوقُها(٢)

٣ – وذكر أبو الفرج ، في خبر طويل ، أن الرشيد سمع ليلةً رجلاً يغني :

إن كانت الخمر قد عزت وقد منِعت ... وحالَ من دونها الإسلام والحَرَجُ

.. إلخ الأبيات الأربعة .

فأعجبه حسن صوته، فوجّه في أثر الصوت من جاءه بالرجل، وطلب منه إعادة الصوت، فأعاده، وأمر بإحضار المغنين، واستعاده وأمرهم بأخذه عنه، فأخذوه ووصله وانصرف ، وكان صوتَ الرشيد أياماً(٣) .

وأسلوب أبي محجن يجمع ، إلى ذلك ، بين الرقة والجزالة . فإذا وصف المعارك ، أو افتخر ، أو تحدى ، اكتسب أسلوبه قوة وشدة ، في سهولة ووضوح :

– إني أكرُّ على الأولى إذا فزعوا ... يوماً ، وأحبس تحت الرّاية الفَرسا
– عفُّ الإياسة عمّا لست نائلَه ... وإن ظُلِمت شديدُ الحقْد والحنَق

وإذا رثى، أو تغزل، أو أناب إلى ربه، أو ذم الخمرة، بدا أسلوبه أدنى إلى الرقة واللين ، وأميل إلى العذوبة والسلاسة :

---

(١) الأغاني ١٨ / ٢٩١ .
(٢) الأغاني ١٨ / ٢٨٨ .
(٣) الأغاني ١١ / ٢٥٦ .

– يا عينُ بكّي أبا جبرٍ ووالدَه إذا تحطّمتِ الراياتُ والحلَقُ
– فإنّ ابنة الحبَر اليَهودي تيّمت فؤادي ، فهل لي من سُمَيّةَ زاجرُ
– أتوب إلى الله الرحيم ، فإنه غفور لذنب المرء ما لم يعاودِ
– سأتركها مذمومةً لا أذوقُها وإن رغمت فيها أنوف حواسدي

على أن أبا محجن قد يستعمل كلمات مغرقة في الغرابة لا نجدها ذكراً في معجمات اللغة، أو يستخدم أساليب لاتعرفها الاستعمالات العربية . وقد وجدنا من ذلك في شعره كلمتين:

أولاهما : إيراده فعل (يستَليص) في قوله :

فكلُّنا يَستليص صاحبَه عن نفسه ، والنفوس في كُرَبِ

ولم يرد هذا الفعل في المعجمات، وهو بمعنى : (ألاصَ الشيءَ) أي حرّكه عن موضعه ، وأداره لينتزعه .

وثانيتهما : في قوله :

فيكمُ مستيقظٌ فَهِمٌ قُلقُلانٌ ، حيّة ، ذكَرُ

فقد استعمل لفظة « قلقلان » بمعنى « القُلاقِل » ، وهو الخفيف في السفر ، المعوان، السريع التقلب في البلاد . ولم تَعُجْ معجماتنا عليها بهذا المعنى .

على أن شعره لا يخلو من ضرائر قليلة جداً ، بعضها مباح لشعراء كصرف الممنوع في قوله :

وكيف – وقد أعطيت ربّي مواثقاً – أعودُ لها ، واللهُ ذو العرش شاهدي ؟

والتصرف في بناء الكلمة ، كقوله :

أبلغ لديك أبا حفصٍ مغلغلةً عبد الإله إذا ما غار أو جلسا

قال العسكري : « عبد الإله : يعني عمر .. ولم يستو لأبي محجن أن يقول : عبد الله ، فقال : عبد الإله » .

وبعض تلك الضرائر توقف عنده النحاة ، كإهمال ربط جواب الشرط بالفاء في قوله :

عف الإياسة عما لست نائله ... وإن ظلمت شديد الحقد والحنق

أو رفع جواب الشرط الجازم ، مع أنه فعل مضارع ، وذلك في قوله :

فإن أُحبس فذلكمُ بلائي ... وإن أُترك أذيقُهم الحتوفا

واستشهدوا على مثل ذلك بقول جرير بن عبد الله البجلي :

يا أقرعُ بن حابسٍ يا أقرعُ ... إنّك إن يُصرع أخوك تُصرعُ

وهو ضعيف على كلّ حال ..

ح – أوزانه وقوافيه :

وإذا أنعمنا النظر في الأوزان الشعرية التي استخدمها أبو محجن ، وجدناها لاتتجاوز سبعة أبحر من أخف البحور وأسيرها في الشعر العربي، وقد فاز البحر الطويل بأوفر حظ وأوفى نصيب ، وتلاه البسيط ، فالوافر ، فالمديد ، فالمنسرح ، فالكامل، فالرجز .

والجدول الآتي يوضح تلك الأبحر ، وما جاء من شعر أبي محجن على كل منها :

البحر	عدد الابيات			
	في القسم الأول	في القسم الثاني	في القسم الثالث	المجموع
الطويل	٥٤	٨	٤	٦٦
البسيط	٢٢	–	–	٢٢
الوافر	٥	–	٨	١٣
المديد	–	٩	–	٩
المنسرح	–	٨	–	٨
الكامل	١	–	٤	٥
الرجز	–	١	–	١
المجموع	٨٢	٢٦	١٦	١٢٤

أما القوافي : فقد استعمل أبو محجن فيها من حروف الهجاء ثلاثة عشر حرفاً ، موزعة على الأقسام الثلاثة من شعره ، والجدول الآتي يوضح لنا توزيعها ، ونصيب كل حرف في قصائده ومقطوعاته :

حروف الروي	عدد الأبيات			
	في القسم الأول	في القسم الثاني	في القسم الثالث	المجموع
الباء	٦	٨	—	١٤
الجيم	٤	—	—	٤
الحاء	—	—	٥	٥
الدال	٤	—	—	٤
الراء	٥	٩	٤	١٨
السّين	٥	—	—	٥
الفاء	٧	—	—	٧
القاف	٢٢	—	١	٢٣
اللام	١١	٣	٢	١٦
الميم	٦	٥	٤	١٥
النون	—	١	—	١
الهاء	٣	—	—	٣
الياء	٩	—	—	٩
المجموع	٨٢	٢٦	١٦	١٢٤

وأبو محجن لا يطيل قصائده ومقطوعاته ، ولا يسهب فيها : فأقلها عنده بيت واحد وأطولها بلغ أحد عشر بيتاً ، وبينهما ما يختلف عدد أبياته قلة وكثرة ، وهذا بيانها جميعاً ، بحسب عدد الأبيات في كل قصيدة أو مقطوعة :

عدد القصائد أو المقطوعات	× عدد الأبيات في كل منها	= مجموع الأبيـات
٤	١	٤
٣	٢	٦
١٠	٣	٣٠
٤	٤	١٦
٣	٥	١٥
١	٦	٦
١	٨	٨
٢	٩	١٨
١	١٠	١٠
١	١١	١١
٣٠		١٢٤

ط ـ بناء القصيدة في شعره :

نلاحظ ، من الجداول السابقة ، أن شعر أبي محجن قد اتخذ في معظمه شكل قطع ونتف وأبيات يتيمات ، وقلّت فيه القصائد ، وانعدم القصيد . فكان نفَسه في ذلك كله قصيراً .

وأغلب الظن أن تلك القصائد والمقطوعات ـ أو أكثرها ـ قد وصلت إلينا كاملة لم يسقط منها شيء . لأن أبا محجن كان ـ كما أسلفنا ـ شاعراً « هاوياً » لا محترفاً ؛ إذ لا يقول الشعر إلا إذا دَفعت إليه مناسبة ملحّة ، أو سبب قوي ، لذا لم يعن بتطويل القصائد ، وكانت أشعاره ـ في قصرها وقلّتها ـ صورة لانفعاله وحدّته ، ورهافة حسّه ، وتنفسه السريع اللاهث ، وضرباته الخاطفة المتلاحقة ، وروحه العجلى .

وقد أدى ذلك بأبي محجن إلى أن يتخفف في منظومه من المقدمات الغزلية أو الطللية. بل إنه أعفى نفسه من المنهج التقليدي للقصيدة العربية، ذلك المنهج الذي يوجب تعدّد الأغراض في القصيدة الواحدة، والذي ساد الشعر العربي في الجاهلية والإسلام، إلى فترة متأخرة ، وأوضحه ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » ، وختم كلامه

عليه بقوله : « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدّل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطِل فيملّ السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد »(١) .

فأبو محجن إذاً لم يطل القصيدة ، ولم يعدد فيها الأغراض ، إلا ما ندر وفي دائرة ضيقة جداً ، فكل قصيدة أو قطعة تستقل بموضوع واحد ، يعبّر عنه تعبيراً سريعاً متدفقاً ، ينسجم مع عاطفته التي يصورها بما فيها من دفقات سريعة أيضاً . وبذلك خالف عن سبيل شعراء عصره، واتخذ الشعر فناً ، لا صنعة ، يعبّر بوساطته عن عاطفة أحسّها ، أو فكرة راودته ، ما وجد إلى القول سبيلاً ، وداعياً ملحاً ، وإلا آثر الصمت والسكوت .

وإذا استثنينا قصيدته اللامية التي قالها يوم الجسر ، فإن سائر منظوماته ليس لها مقدمات ، وإنما هو يهجم على موضوعه بلا تمهيد ، كقوله يوم القادسية :

لقد علمتْ ثقيف غيرَ فخـــرِ ... بأنا نحــن أكرمهم سيوفــا

وقوله حين تخلص من حارسه :

الحمد لله نجاني وخلّصنـــي ... من ابن جهراء ، والبوصيّ قد حُبسا

ومن الجدير بالذكر أن أبا محجن لا يحرص على تصريع المطلع ، شأن الشعراء الآخرين ، وهذا من مظاهر العفوية في شعره أيضاً . ولا نجد في شعره كله إلا قطعة واحدة مصرّعة المطلع ، وأولها :

ألم ترني ودّعت ما كنت أشـــرب ... من الخمرِ إذ رأسي ، لك الخيرُ ،أشيبُ

أما قصيدته يوم الجسر فقد انفردت بمقدمتها الطّيفية . وذكر الطيف هو لون من الغزل والتشبيب(٢)؛ ولكنه غريب في قصيدة تضم رثاء شهداء تلك الموقعة وعلى رأسهم القائد أبو عبيد الثقفي . ولهذه القصيدة نظائر في الشعر العربي ، ذلك أن لدريد بن الصمة قصيدة في الرثاء ، بدأها بالغزل أيضاً حيث يقول في مطلعها :

أَرثَّ جديدُ الحبلِ من أم معبَــدِ ... بعاقبةٍ ، وأخْلَفت كلَّ موعـدِ ؟

---

(١) الشعر والشعراء ٢٠ .

(٢) انظر ص ١٢٩ .

قال ابن رشيق(1): « وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً، كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء . وقال ابن الكلبي ، وكان علاّمةً : لا أعلم مرثية أوّلها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة .. » . وذكر البيت السابق .

والحق أن في الشعر الجاهلي عدداً من المراثي التي بدأها أصحابها بالغزل(2) .

ومن تمام الحديث عن بناء القصيدة في شعر أبي محجن : أن نقف يسيراً عند الوحدة العضوية فيها ، ومدى الربط بين أبياتها . وذلك ما يبدو في معظم ما قاله أبو محجن من قصائد ومقطوعات . ولا سيما خمرياته جميعاً — قبل التوبة وبعدها — حيث يظهر الترابط قوياً بين الأبيات ، فتبدو بناء متماسكاً يأخذ بعضه برقاب بعض . وأكتفي من ذلك بقوله :

إن كانت الخمرُ قد عزّت وقد مُنِعت ... وحال مِن دُونِها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أباكرها رِيّاً ، وأشربهـــا ... صِرفاً ، وأطرب أحياناً فأمتَزِجُ
وقد تقوم على رأسي مغنّيـــة ... فيها ، إذا رفعت من صوتها غُنُـجُ
تُرفّع الصوت أحياناً وتخفضـه ... كما يطنّ ذبابُ الروضة الهَـزِجُ

وقليل من قصائد أبي محجن يعتمد على وحدة البيت ، فينعدم التماسك بين الأبيات ، لكن مع ذلك يربط بينها خيط دقيق هو وحدة الموضوع ، وقيام القصيدة على غرض واحد . ويظهر ذلك في قصيدته الأولى التي مطلعها :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتـه ... وسائلي القومَ عن ديني وعن خُلُقي
قد يعلم الناس أنّا من سَراتهـم ... إذا سما بصَرُ الرّعديـدة الفَـرِقِ

وتلك التي مطلعها :

لما رأينا خيلاً محجّلـةً ... وقوم بغيٍ في جَحفلٍ لَجِبِ
طِرنا إليهم بكل سَلهبـةٍ ... وكلّ صافي الأديم كالذهـب

---

1) العمدة ٢ / ١٥١ .

2) نذكر هنا على سبيل المثال ، أن الحوفي أشار في كتابه « الغزل في العصر الجاهلي » ص ٢٦٠ — ٢٦٢ إلى اثنتي عشرة مرثية جاهلية بدأها أصحابها بالغزل .

ي ــ الصور والأخيلة :

تناثرت الصور والأخيلة في أطواء القصائد والمقطوعات التي نظمها أبو محجن ... وهي تعتمد على الصور البيانية المعروفة : من تشبيه ، واستعارة ، وكناية . وقد ذهبت الاستعارات بالنصيب الأوفى من تلك الصور ولحقت بها الكنايات ، أما التشبيهات فقد كانت أقل الصور حظاً في شعر أبي محجن ، وكانت الأداة فيها « الكاف » دون غيرها من أدوات التشبيه .

وأخيلة أبي محجن ، على اختلافها ، حسيّة المادة ، واقعية الإطار ، لكل حاسّة فيها نصيب . على أن المرئيات قد حظيت بقسط وافر ، ولا سيما الصور الحركية التي اتكأت في التعبير على الأسماء والأفعال معاً ، فكان من ورائها نشاط وانفعال يبطنان تلك الحركات الظاهرة .

فلنقرأ ما يقوله هذا الشاعر ، وهو يصوّر لنا المحاربين يطيرون إلى الأعداء في الحرب يحملون سيوفاً كالذهب ، وأسنة كشعل اللهب ، ويلبسون الدروع الفضفاضة من نسج داود :

طِرنا إليهم بكل سلهبـــــةٍ وكلُّ صافي الأديم كالذهـــبِ
بكلِّ عرّاصةٍ مثقّفـــــــةٍ فيها سنانٌ كشعـلة اللّهــب
وكلُّ فضفاضةٍ مضاعفـــةٍ من نَسج داودَ غيرَ مؤتشِبِ

فأنت ترى كيف تمتزج في القصيدة الواحدة ألوان الأخيلة والصور من استعارة (طرنا إليهم) وتشبيه (صافي الأديم كالذهب ، سنان كشعلة اللهب) وكناية (من نسج داود) ، وكلها مستمدة من الحياة والواقع المحسوس بكل ما فيه من حيوان ، وإنسان ، وما يقع تحت يد الإنسان من ذهب وأديم ولهب وخيل وسنان ودرع ... لكنك ترى هذه الصور جزئية مبعثرة ، كما نثرت أشلاء قتلى الحدَث فوق « الأحيدب » ، أو كما توزعت الشهب المنثورة في صفحة السماء ، يلتصق بعضها ببعض التصاقاً لا التحام فيه ، ولا تلبث أن تتفرق بعد التلاقي دون أن تجمَع شملَها لوحةٌ كاملة الأجزاء ، عبقرية الشمول .

وليس في مثل هذه الصور مزيد من الابتكار والاختراع ، وكثيراً ما شاع لدى الشعراء ــ من سابقي أبي محجن أو معاصريه ــ أن يطـيروا لتلبية النداء ، وأن تكون دروعهم من نسج داود . يقول بعض شعراء بَلْعنبر :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهـــم طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانـــا(١)

ويقول كعب بن زهير :

شُمُّ العرانين ، أبطالٌ ، لَبوسُهمُ من نَسج داودَ في الهيجا سَرابيلُ(٢)

وهذا الحكم يصدق على كثير من صور أبي محجن وأخيلته ، كقوله :

فإن أحبَس فذلكـــمُ بلائـــي وإن أترك أذيقُهـــم الحتُوفـا

فالصورة في قوله (أذيقهم الحتوفا) تقليدية شائعة ، تعاورها الشعراء في قوالب مختلفة والأصل واحد ، حتى كادت تنأى عن المجاز وتدخل في دائرة الحقيقة ، لطول دورانها على الألسنة ولَوْكِ الأفواه لها . ومن شواهد ذلك قول عنترة :

بكرَتْ تخوّفني الحتُوفَ كأنّنـــي أصبحتُ عن غَرض الحتوفِ بمَعزِلِ
فأجبتُها : إن المنيّة مَنهَـــلٌ لا بدَّ أن أُسقَى بكأس المَنهَـــل

ومن صور أبي محجن التي تشبثت بها العرب قبله : تشبيه ممدوحه بالحية ، في قوله :

فيكمُ مســـتيقظٌ ، فَهِـمٌ قُلقُلانٌ ، حيّـــةٌ ، ذكَرُ

فهذه الاستعارة التصريحية أثيرة لدى شعراء العرب وحكمائهم ، كقول ذي الإصبع العَدْواني :

عَذيرَ الحيِّ مـــن عَـــدْوا نَ كانوا حيّةَ الأرضِ(٣)

ولهم في ذلك أمثال كثيرة. يقولون: « هو أبصَرُ من حية » لحدة بصرها. و « أظلم من حيّة » ، و « فلان حية الوادي » إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته ... و « فلان حيةٌ ذكَر » أي شجاع شديد ، قد علا شأنه في الخبث والدهاء والعقل(٤) .

---

(١) الحماسة ١ / ٢٧ « مرزوقي » .

(٢) ديوانه ٢٣ .

(٣) الشعر والشعراء ٥٩٨ واللسان « حيي » ، يريد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يضيمون ثأراً . وذو الإصبع : حرثان بن حارثة ، جاهلي عمر دهراً ، وهو أحد الحكماء الشعراء . قيل له ذو الإصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعها – المؤتلف ١٧٠ .

(٤) انظر اللسان « حيي » .

ولا يقتصر التقليد في الصّور على التشبيه والاستعارة بنوعيها ، وإنما يتعداهما إلى الكناية أيضاً ، كقول أبي محجن :

وقالوا : عجيبٌ تركُكَ اليومَ قهوةً ‌ ‌ ‌ كأنّيَ مجنونٌ ، وجلْديَ أجـربُ

فالجلد الأجرب : صورة طالما تعاورها الشعراء ولا سيما النابغة الذبياني في بيته المشهور :

فلا تتركنّي بالوعيد كأننـــــي ‌ ‌ ‌ إلى الناس مَطليٌّ به القارُ أجربُ(١)

ولا شك أن التقليد في صور أبي محجن ، وفقدان الابتكار فيها ، يعودان إلى أنّ البيئة في ذلك العصر كانت ضئيلة المادة ، محدودة الجوانب ، ضيقة الآفاق ، لا تسمح للملكات أن تنمو ، ولا للشعراء أن يجولوا كثيراً في ميادين الخلق والابتكار ، إلا قلّةٌ منهم ، فشحّت الموارد ، ولم يجد الشعراء بداً من أن يدوروا في فلك واحد ، أو أن يأخذ بعضهم عن بعض . وهكذا جاءت أخيلة أبي محجن صورة لتلك البيئة ، بل إنها صورة ناقصة ، لأنّ مصادر الصور الشعرية لديـه كانت معدودة محدودة لم تتسع اتّساعَها في شعر غيره ، من أمثال الأعشى والحطيئة وحسان وسواهم ، فتشمل الإنسان في تقلّباته المختلفة ، أو تشمل الحيوان والنبات وما يشترك بينهما ، أو تتناول مختلف الظواهر الطبيعية من بحر وسحاب ومطر ، وهضاب ورمال ، وشمس وبرق ، وما إلى ذلك.

وإلى جانب تلك الصور الحسية القائمة على الحركة واللون والرؤية ، نجد في شعر أبي محجن صوراً أخرى صوتية تتصل بحاسّة السمع ، كقوله في وصف القينة :

ترفّع الصوتَ أحياناً وتخفضُـــه ‌ ‌ ‌ كما يطنّ ذبابُ الروضة الهَـزِجُ

فهذه الصورة قد تكون بديعة في ذاتها ، لما فيها من تشبيه تمثيلي مركب ، لكنّها لاتخلو مما ينافي الذوق المرهف ، لذلك رغب المولدون عن مثلها استبشاعاً لها ، فكادت تكون وقفاً على القدماء ، كعنترة الذي يقول في وصف روضة :

وخلا الذبابُ بها فليس ببـــارحٍ ‌ ‌ ‌ غَرِداً كفعلِ الشارب المترنّـمِ(٢)

وقد قال ابن رشيق معقباً على بيت أبي محجن ، وغير معجب به : « فأيّ قينة تحبّ أن

(١) ديوانه ٧٨ « فيصل » .

(٢) العمدة ١ / ٣٠٢ .

تشبّه بالذباب ؟ وقد سرق بيت عنترة وقلّبه فأفسده »(1) .

وإذا كنا قد لاحظنا أن أكثر الصّور لدى أبي محجن يقوم على عناصر مادية محدودة من إنسان وحيوان وجماد ، فلا بد أن نلاحظ أيضاً أنّ في بعض تلك الصور تجسيماً للأمور المعنوية كقوله مثلا « أذيقهم الحتوفا » . ونزيد هذه الناحية إيضاحاً فنقول : إنّ أسلوب التجسيم وما يصاحبه من تشخيص يخلع فيه صفات الأحياء على الجمادات والمعنويات .. هذا الأسلوب له ركنه الواضح في بناء الصور وتركيب الأخيلة . فأبو محجن يجعل من أطراف القنا أناسيّ يعاهدها فيُوفي لها ، ومن السيوف مخلوقاتٍ واعية عطشى لا ترويها إلا دماء أعناق الأعداء :

نُعاهد أطرافَ القنا فنَفي لهـــــا   إذا لم تُضرَّج من دمٍ أن تحطّمـــا
حرامٌ علينا أن نَشيم سيوفَنـــــا   ولم تروَ من أعناق أعدائنا دَمـــا

ومن صوره الرائعة تلك، تشخيصه الخمرة بامرأة تُرمى بالمَنون، ويندبها خلاّنها من الندامى :

رماها أميرُ المؤمنين بحَتفهـــــا   فخلاّنُها يبكونَ حول المعَاصـــر

وهي صورة جديدة مبتكرة، لا نعلم مثلها لشاعر آخر قبل أبي محجن، ولا شك أنّ جِدّتها نابعة من الجو الإسلامي ، وما رافقه من تحريم الخمرة ، وإيقاع الحدّ بشاربها ولا سيما أيام الفاروق عمر .

ولا يقتصر التجسيم أو التشخيص على الصور البسيطة : في تشبيهٍ تارة ، أو استعارة تارة أخرى ... وإنما قد يأتي ذلك مركباً منهما ، يلفّ فيه التشبيهُ الاستعارةَ بجناحيه فتنطوي تحت خوافيهما والقوادم ، ويجتمعان في تجسيم وتشخيص وحركة ، وذلك ما نراه في قول أبي محجن :

لمـــا التقّينا مات الكـــــلامُ ودا   رَ الموتُ دَور الرَّحى على القُطـــبِ

إنها صورة حركية ، حسية معبرة، قوية الإيحاء، يكتنفها الهول، وتخيّم عليها الرهبة، فلا تسمع إلاّ قعقعة السلاح ، ولا ترى إلا إزهاق الأرواح في الميدان ، حيث يدور الموت على الناس كما تدور الرحى على قطبها ، وحيث تَقلِص الشفاه عن وضَح الأفواه .

---

(1) العمدة ١ / ٣٠٢ . وانظر خزانة ابن حجة ١٨١ وأنوار الربيع ٥ / ٢٣٢ .

هذا ، وإنّ ما في صور أبي محجن من طابع مادي تصويري يقوم على الخطوط والأشكال والألوان والحركة ... لا ينبغي أن يصرفنا عما تتركه تلك الصور والأخيلة من الظلال النفسية وما يصحبها من دفقات وجدانية وانفعالات ذاتية ، ملأت جوانح الشاعر وأخذت بمجامع فؤاده ... أفلا ترى في قوله : (طِرنا إليهم) و (أذيقهم الحتوف) — على ما فيه من ذيوع وشيوع — كشفاً عن حبّ أبي محجن للحرب وإسراعه إليها، والتشفي من الأعداء في إذاقتهم طَعم المنون ؟

أوَلا ترى في تصوير المغنية وصوتها المرفّع تارة والمخفوض أخرى ما ينبيء عن إعجابه بها وطربه لسماع تغريدها في بسيطه ونشيده ؟

واقرأ كذلك قوله :

فما زلتُ حتى خرّقوا برماحهم ثيابي ، وجادت بالدماء الأباجلُ

أليس في هذه الكناية الموجزة «المركزة» ما يرمز إلى إشارات لمّاحة معبّرة تنطق بما قاساه أبو محجن يوم الجسر من وقوع الطعن فيه حتى مزقت الرماح ثيابه ، وجادت عروقه بالنجيع ؟

إنها ، جميعاً ، صور تنبض بالحياة الخفية ، والإيحاء الضمني ، وتسري فيها أنفاسُ أبي محجن ومشاعره ، فجاءت نسيجاً عاطفياً عضوياً تحقق فيه التوازن بين الفكر والعاطفة ، وائتلف الجسد والروح ، وامتزجت الحركة بالحسّ ، وبدت العلاقة وثيقة بين الوصف الداخلي — في عرض الناحية النفسية — والقسم الخارجي الذي تتمثل به هذه الناحية ، كل ذلك في بناء فني متلاحم للصورة الواحدة ، يصدر عن طبع وعفوية ، كما عهدنا أبا محجن في شعره كافة ، دون أن يجوّد فنه قاصداً إلى هذا التجويد ، أو يُعنى بدقّة التشبيهات واستيعاب الصورة ، والوصف المحكم ، وإنما هو يرسل نفسه على سجيتها إرسالاً .

شعر أبي محجن في الأوساط العلمية

ولقد كان شعر أبي محجن ، بعد هذا كلّه ، مرجعاً لبعض علوم العربية ، يعتمد عليه أصحاب اللغة ، وعلماء النحو ، وأرباب البلاغة ، ويستخرجون منه شواهد تؤيد مذاهبهم وآراءهم :

١ – **ففي اللغة** : يستشهد المفسرون واللغويون بقوله :

قد كنتُ أحسبُني كأغنى واحدٍ ... وردَ المدينةَ عن زراعة فُومِ

للإشارة إلى أن « الفوم » لغة في الثوم ، أبدلت الثاء فيه فاء ، أو أن الفوم هو الحنطة ، أو السنبل ، أو الخبز ، أو الحبوب التي تؤكل أو تخبز(١) .

٢ – **وفي النحو** : يستشهدون بثلاثة أبيات من شعره :

آ – الأول قوله في وصيته المشهورة ، وقد نال مكاناً بارزاً في كتب النحو والتفسير :

ولا تَدفِنَنّي بالفلاة ، فإنني ... أخاف ، إذا ما متُّ أن لا أذوقُها

استشهدوا به على أن « أنْ » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن محذوف ، لأنها سبقت بفعل فيه معنى العلم والتيقّن(٢) .

ب – والثاني قوله مهدداً زوجه ، وهو من شواهد كتاب سيبويه ، ومقتضب المبرد ، ومفصل الزمخشري :

يارُبَّ مثلِكِ في النساءِ غَريرةٍ ... بيضاءَ قد متّعتُها بطَلاقِ

وفيه شاهدان :

---

(١) انظر القطعتين ٢٨ ، ٣٠ من ديوانه .

(٢) انظر معاني القرآن ١ / ١٤٦ ، ٢٦٥ والأزهية ٦١ وشرح الكافية ٢ / ٢٣٣ والهمع ٢ / ٢ وشرح الشواهد للسيوطي ١ / ١٠١ « كوجان » وشرحها للبغدادي ١ / ١٣٨ « ط . دمشق » والخزانة ٣ / ٥٥٠

— أن (مثلك) نكرة ، وإن عرّفت لفظاً بإضافتها إلى الضمير ، بدليل دخول « رُبّ » عليها .

— أن (ربّ) تلزم العمل في النكرة ، كما تلزم (لا) النافية للجنس . فـ : « سي » مع « لا » النافية للجنس في « لا سيما » بمنزلة « مثل » ، فمن ثم عملت فيه « لا » كما عملت « ربّ » في « مثل » في بيت أبي محجن[1] .

ج — والثالث قوله في الخمرة :

فلا واللهِ أشرَبُها حياتـــي ولا أسقي بها أبداً نديمـــا

الشاهد في قوله « أشربها » . قال ابن الأثير[2] : « يريد : لا أشربها ، فحذف (لا) من الكلام ، وهي مفهومة منه » .

على أنه يمكننا أن نضيف أبياتاً أخَر من شعر أبي محجن يصلح كلّ منها شاهداً قوياً ونادراً على مسألة نحوية : كالاشتغال ، والتثنية ، والتعجب ، وتقديم المعطوف على (إنّ) واسمها ، قبل ذكر خبرها ، وإبدال الجملة ، وحذف الفاء الرابطة للجواب ، ونزع الخافض ، وبعض حالات الضمائر ، والمعاني الخاصّة لبعض الأدوات النحوية[3] ....

ونكتفي هنا ببيت واحد ، وهو قوله :

عمّن يركبِ البحرَ والبُوصيَّ معترِضاً إلى حضَوْضَى ، فبئسَ المركبُ التمسا

فقوله (فبئس المركب التمسا) يصلح شاهداً على الاستغناء بالصلة عن الموصول ، أو بالصفة عن الموصوف — في باب نعم وبئس — مع حذف المخصوص ، وتقديره : بئس المركب الذي التمسه ، أو : بئس المركب مركبٌ التمسه .

ومثل هذا الشاهد ثمين نادر ، يهمّ أصحابَ النحوِ ، وعليه الحديث الذي رواه البخاري : « ولَنِعمَ المجيءُ جاءَ »[4] .

---

(1) انظر كتاب سيبويه ١ / ٢١٢ ، ٢٥٠ « بولاق » والمقتضب ٤ / ٢٨٩ وشرح المفصل ٢ / ١٢٥ .

(2) المثل السائر ٢ / ٣٢٨ « الحوفي » .

(3) انظر فهرس مسائل العربية في آخر الديوان .

(4) انظر « شواهد التوضيح » ١٠٧ ، ١١٠ .

٣ ــ وفي البلاغة : يشير أبو هلال العسكري في شرحه لديوان أبي محجن إلى الاستفهام بمعنى التوجّع والنفي في قوله :

مررتُ على الأنصار وَسْطَ رحالهم فقلتُ : ألا هل منكمُ اليومَ قافلُ ؟

وإلى التعبير بلفظ المستقبل مع إرادة الماضي ، في قوله :

فقد أباكرها رِيّاً وأشرَبها صِرفاً ، وأطربُ أحياناً فأمتزجُ

وإلى الحذف إيجازاً ، في قوله :

وأنّا رِفدُهم في كلِّ يومْ فإن غضبوا فسَلْ رجلاً عَريفا

وإلى الكناية اللطيفة في قوله للمرأة التي ظنته منهزماً يوم القادسية :

إن الكرام على الجياد مَقيلُهم فذَري الجيادَ لأهلها وتعطّري

وإلى المجاز في قوله :

أعطي السنانَ غداة الرَّوْع ِنحلتَه وعامل الرمح ِأرويه من العلق

قال العسكري : « ومجاز هذا الكلام مجاز قولهم: فلان يوفّي هذه الصناعة حقّها» إذا قام بها حق القيام » .

هذا ، وفي شعر أبي محجن شواهد أُخَر كثيرة تصلح في ميادين البلاغة بشتى صورها نضرب عنها صفحاً خوف الإطالة(١) .

٤ ــ في الصرف : وهو ميدان آخر يُضم إلى اللغة ، والنحو ، والبلاغة . وقد حوى شعر أبي محجن جملة صالحة من الشواهد الصرفية كقوله :

وحتّى رأيتُ مُهرَتي مُزْوئرّةً لدى الفيلِ يدمَى نحرُها والشواكلُ

فقوله : « مزوئرة » أصله « مُزوارّة » ، « فأبدل الهمزة من الألف ثم حركها كما قال كثير :

وأنتَ ، ابنَ ليلى ، خيرُ قومك مشهداً إذا ما احمأرّت بالعبيط الأناملُ(٢)

---

(١) سردنا عنواناتها في فهرس مسائل العربية .

(٢) شرح الديوان : البيت السابع من القصيدة الرابعة .

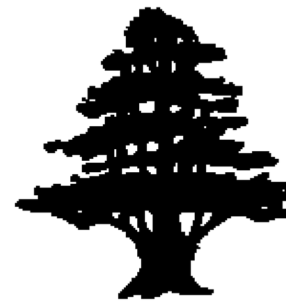
ومن ذلك استخدام « مفعول » بمعنى « فاعل » في قوله :

وأكشفُ المأزِقَ المكروبَ غُمّتهُ ... وأكتمُ السِّرَّ فيه ضربةُ العنق

فالمكروب : (مفعول) بمعنى (فاعل) ، أي الكارب(١) .

إلخ ... إلخ ....(٢)

إن ما أوردناه ، ومثلُه كثير ، يدل على ما يتمتع به شعرُ أبي محجن عامةً من ثقة وقوة على الاحتجاج به لدى العلماء . بل إنهم تجاوزوا شعره إلى بعض أقواله النثرية ، ولا سيما قوله لسعدٍ يوم القادسية : « أمّا إذ بهرجتني فلا أشربها أبداً » ، أي أهدرتني بإسقاط الحدّ عني . فهذا القول يتردد في كثير من كتب اللغة ومعجماتها : كالغريبين للهروي ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب ... وغيرها .



(١) شرح الديوان : البيت السادس من القصيدة الأولى .

(٢) انظر فهرس مسائل العربية في آخر الديوان .

- ٢ -

ديوان أبي محجن الثقفي

« صَنعة أبي هلال العسكري »

(توفي بعد سنة ٣٩٥ هـ)

﴿٢﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

أعطاكَ الله خير ما يعطي أمثالك ، ومنحاك أفضل ما يمنح أشكالكَ ، من الراغبين في الأدب ، المحامين على الحسب ، الدائبين فيما يزَينهم من ابتناء مجدٍ ، واجتناء(١) شكرٍ وحمد .

ذكرتَ(٢) أن أبا يوسف يعقوب بن السكّيت(٣) ، وأبا سعيد السكري(٤) وأبا الحسن الطّوسي(٥) ؛ قد عُنوا بصنعة دواوين المكثرين والمشهورين(٦) من شعراء الجاهلية والإسلام ، فأشْبعوا تفْسير مُشكلِها ، وبالغوا في إيضاح غامضها ، واستقصوا شرح غريبها ، متلافِين ما فرّط فيه غيرهم منها ، وأغفلوا دواوين المقلّين والمغمورين ، فلم يلمّوا بها .

فالتمست(٧) أن أسلك لك في دواوين المقلّين والمغمورين مسلكهم في دواوين المكثرين والمشهورين ، وأتناهى في الإبانة عن معانيها ، ليلحق قليلُ الإحسان بكثيره ، ومغموره بمشهوره .

وقد أجبتك إلى ذلك ؛ فابتدأتُ بتفسير ديوان أبي محجن ، وصنعته صنعة ترضاها وأنا أتبعه بما يمرّ بي من دواوينهم ؛ واحداً بعد واحد(٨) ، حتى آتي على أكثرها إن شاء الله تعالى .



(١) ي / ٢ : واقتناء .

(٢) بفتح التاء في ش ، ق ، ل ، وبضمها في ي / ١ . وفي ي / ٢ : وذكرت .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٠ عن نزهة الألباء ١٧٨ ووفيات الأعيان ٦ / ٣٩٥ .

(٤) هو الحسن بن الحسين ... النحوي اللغوي ، راوية البصريين . جمع أشعار فئة من الفحول . توفي سنة ٢٧٥ هـ – نزهة الألباء ٢١١ وبغية الوعاة ١ / ٥٠٢ .

(٥) هو علي بن عبد الله .. معاصر ابن السكيت وعُدوه . لقي علماء البصرة والكوفة وأخذ عنهم ـ نزهة الألباء ١٨١ والفهرست ١١٢ والبغية ٢ / ١٧٢ .

(٦) ص : المشهورين .

(٧) ي / ١ ، ص : « فالتمستُ » .

(٨) ش ، ل ، هـ : واحداً واحداً .

(٣) / قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، رحمة الله عليه : هو أبو محجن[1] بن حَبيب[2] بن عمرو بن عُمير ، من بني عَقِدة[3] بن غِيَرة[4] ابن عَوف بن ثَقيف .

وكان شاعراً شريفاً ، قد فضّلت أبياته القافية على كل شعرٍ قيل في معناها ؛ وهي هذه :

- ١ -

(البسيط)

١ – لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتِه وسائلي القومَ عن دِيني وعن خلُقي

قال الشيخ رحمه الله : إنه خاطب امرأته ، وكان من عاداتهم[5] أن يخاطبوا نساءهم في ابتداءات[6] قصائدهم إذا حَضروا ، ويخاطبوا خليليْهم[7] إذا سافروا ،

---

(١) سبق ص ٤٩ تفصيل الاختلاف في اسمه وكنيته .

(٢) بفتح الحاء كما في الأصلين و ش ، ل . وفي شرح شواهد المغني ٣٧ : " حبيب ، بالتصغير " . وانظر المزهر ٢ / ٤٥٠ والإيناس ٤٧ – ٥٠ والخزانة ٣ / ٥٥٦ .

(٣) بفتح فكسر ، كما في الأصلين و ش ، ل . لكن جمهرة كتب الأنساب ، وما إليها ، كالاشتقاق ٣٠٤ وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨ وطبقات ابن سعد ٥/٥١٥ والمؤتلف ١٣٣ توردها بضم العين وسكون القاف ، ضبط قلم ، وهو المفهوم مما ذكره ابن حجر في التبصير ٣ / ١٠١٥ عن بعض النسابة . أما السمعاني في أنسابه ، وابن الأثير في لبابه فلم يشيرا قط – في كلامهما على " العقدي " – إلى عقدة ثقيف هذه ؛ على تقصيهما . ومهما يكن ففي ضبط هذه النسبة خلاف كثير . انظر لب اللباب ١٨٠ .

(٤) في النسخ – عدا : ش – وفي الأغاني ١٨ / ٢٨٩ « ثقافة » ، ١٩ / ١ « الهيئة المصرية » : " عنزة " ، تصحيف . وفي مختار الأغاني ٥ / ٢٩٩ : " عمرو " خطأ . وليس في نسب ثقيف هذا ولا ذاك . والمثبت من ش والأغاني ٢١ / ١٣٧ « ساسي » وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨ والأنساب ٤١٤ / أ وتبصير المنتبه ٣ / ١٠٣٢ ، ١٠٤٠ وهو الصواب . وكتب فوقها في ش : صح . وانظر الإيناس ١٢١ والاشتقاق ٣٠٤ والمشتبه ٤٨٢ وضبط الأعلام لأحمد تيمور ١١٦ – ١١٧ .

(٥) ي / ٢ ، ص : عادتهم .

(٦) في الأصلين ، ص ، ق : ابتدآت . وفي ش ، ل ، هـ : ابتداآت .

(٧) ق ، ص : خليلهم .

لأنه كان لا يسافر منهم أقل من ثلاثة(١) .

ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المنخّل(٢) :

لا تسألي عن جُلّ مـــــا لي ، وانظري حسَبي وخِيري(٣)

وأخذه آخر فنحا به نحواً آخر ، فقال :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتــه ، قد يُقتَر المرء يوماً وهو محمود(٤)

﴿٤﴾ / ٢ – قد يعلم الناسُ أنّا من سَراتِهمُ إذا سما بصرُ الرِّعديدةِ الفَرِقِ(٥)

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله(٦) : « سَراة الناس »(٧) : خيارهم ، واحدهم : سَرِيّ . والسَّراة أيضاً : أعلى الشيء ، والجمع : السَّرَوات(٨) . ويقال : هو من سَرَوات القوم ، أي من أعاليهم وساداتهم . قال الشاعر :

---

(١) في الأصلين ، ش : ثلثة .

(٢) هو المنخل بن مسعود اليشكري ، شاعر جاهلي قديم ، مقل ، كان ينادم النعمان بن المنذر ، واتهم بالمتجردة. قتله النعمان أو عمرو بن هند – « المؤتلف ٢٧١ ، وأسماء المغتالين لابن حبيب ، في نوادر المخطوطات ٧ / ٢٢٩ والأغاني ٢١ / ٣ ثقافة » .

(٣) في النسخ الخطية : " لا تسلي " وفي ي / ٢ : وخيري (بفتح فسكون) . والبيت من الأصمعية ١٤ ص ٥٩ بالرواية نفسها . وهو أيضاً في الأغاني ٢١ / ٩ « ثقافة » ، وفيه : " واذكري كرمي " ، وحماسة أبي تمام ٢ / ٥٢٤ « مرزوقي » ، وفيها : " وانظري كرمي ". والخير ، بكسر الخاء : الكرم أو الهيئة .

(٤) في الأصلين ، ش ، ص : لا تسلي . والبيت أول ثلاثة في الحماسة الشجرية ١ / ٢٣٣ « ثقافة » للمرار بن سعيد الفقعسي ، وقد سبقت ترجمته ص ١٢١ .

(٥) سقطت : " سما " من ص . وفي الكشف عن مساوىء المتنبي : سراتهم (بضم السين) ، ولها وجه ، كما سيأتي في شرح البيت .

(٦) ي / ٢ ، ص : رحمة الله . ه ، ل : رحمه .

(٧) ل ، ه : سراة القوم .

(٨) في اللسان « سرو » : " ورجل سري ، من قوم أسرياء وسرواء ، كلاهما عن اللحياني . والسراة : اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيبويه ، قال : ودليل ذلك قولهم : سروات ... وقولهم : قوم سراة جمع سري ، جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة ، قال : ولا يعرف غيره ، والقياس سراة ، مثل قضاة ورعاة وعراة . وقيل : جمعه سراة ، بالفتح ، على غير قياس ، قال : وقد تضم السين ". وانظر الأحاجي النحوية للزمخشري ١٩ .

من السَّرَوات والرؤوسِ الذوائبِ(١)

و « الرِعديدة » : الجبان . وسمي رعديدةً لأنه إذا رأى الحربَ أرعد . ودخول الها فيه هاهنا(٢) للمبالغة .

و « الفَرِقُ »(٣) : الفَزِع . ورجل فَروق وفَروقة : كثير الفَرَق .

و « سما بصَرُه » : شَخَص(٤) من الفزع ، وهو أن يبقى مبهوتاً . وهو من قوله تعالى : « ليومٍ تشخَص فيه الأبصار »(٥).

يقول : نحن من خيار القوم في الحروب(٦) ، وخيارهم هم المحامون عن الحريم ؛ الصابرون على مراس العدو ، ومدافَعتِهم في اللقاء .

ولو قال : إنا نصبر ونحامي إذا سما بصَر الشجاع الصبور ، لكان أجودَ بل أبلغ(٧).

﴿٥﴾ / ٣ ـ أعطي السِّنانَ ، غداةَ الرَّوع ، نِحلتَه وعاملُ الرمحِ أرويه من العَلَقِ(٨)

أصل « النِّحلة » : أن يعطي الرجلُ الرجلَ الناقة ينتفع بمنافعها ثم يردَّها . ثم سمي

---

(١) من أبيات أربعة في الحماسة ٤ / ١١٥ « تبريزي » ، لعاصية البولانية ، وثلاثة في المرزوقي ٣ / ١٥٤٨ لامرأة من طيء ، والأشباه والنظائر ٢ / ٤٠ لأعرابي . وصلته ، كما في الأشباه :

فلو أن قومي قتلتهم عمارة من السروات والرؤوس الذوائب
صبرنا لما يأتي به الدهر عامداً ولكننا أوتارنا في محارب

(٢) ل ، ه : ههنا .

(٣) ق : والفرق (بفتحتين) .

(٤) ي / ١ : شخص (بكسر الخاء) ، فيكون مبنياً للمجهول ، وهذا الفعل لازم ومتعد . قال المجد : " وشخص ، كمنع ، شخوصاً : ارتفع ، وبصره : فتح عينيه وجعل لا يطرف ، وبصره : رفعه ".

(٥) إبراهيم ٤٢ " إنما نؤخرهم ليوم ... " .

(٦) ي / ٢ : الحرب .

(٧) من قوله : " ولو قال إنا " إلى قوله : " بل أبلغ " ساقط من ي / ٢ ، ص .

(٨) قيدت لام « عامل » بالضم في (ي / ١ ، ي / ٢ ، ش) وبالضم والفتح معاً في ل ، وكلاهما جائز . و « أرويه » بفتح الهمزة في ي / ١ ، وبضمها في ش ، وكلاهما صحيح . يقال رويت القوم أرويهم : إذا استقيت لهم الماء ، وأرويتهم أرويهم : جعلتهم يرتوون .

كل عطية نِحلة . وجعل أبو محجن ما نال السنانُ(١) من الدم نِحلة .

وروي : « حصته » . ومجاز هذا الكلام مجازُ قولهم : « فلان يوفّي هذه الصناعةَ حقّها » ، إذا قام بها حق القيام .

و « عامل الرمح » و « عاملِتُه » : على قدر ذراعٍ من السنان . و « سافلته » : على قدر ذراع(٢) من الزُّجّ .

وأصل « العلَق » : الدم الذي يَعلق بفم الجرح ، ثم كثر(٣) حتى سمّي كل دم علَقاً .

٤ – وأطعُن الطعنةَ النجلاء عن عُرُض تَنفي المَسابيرَ بالإزباد والفَهَقِ(٤)

الطعنة « النجلاء » ، الواسعة الشَّقّ(٥) ، وأصلها من النَّجَل ، وهو سعة العينين .

و « عن عُرُض » : أي عن ناحية(٦) . وعُرُض الشيء : ناحيته ، كأنه يختلس الطعنة .

واختلاسُ الطعنة عندهم محمودٌ ممدوح . قال الفِنْد الزِّمّاني(٧) :

---

(١) بضم النون كما في ي / ٢ ، ش ، أو بفتحها كما في ق .

(٢) ي / ١ : على ذراع .

(٣) أي كثر استعمالهم إياه .

(٤) أطعن : بضم العين في ي / ١ ، ش . وبضمها وفتحها معاً في ي / ٢ ، ل . وكلاهما صحيح ، لأن الفعل من بابي نصر وقطع . و « الإزباد » : مصدر أزبد ، إذا هاج وثار ، واستعاره أبو محجن للدم . وفي أساس البلاغة : " بالأزباد " فيكون جمعاً للزبد . قال ابن منظور : " وزبد الماء والجرة واللعاب : طفاوته وقذاه ، والجمع : أزباد " .

(٥) بفتح الشين في ي / ١ ، ش ، مصدراً ، وبكسرها في ي / ٢ ، اسماً .

(٦) في شرح أشعار الهذليين ٢٢٩ : " وإذا تحرف الرامي كان أشد للرمي . قال ابن أحمر :

ألا ليت المنازل قد بلينـــا فلا يرمين عن شزن حزينـــا

شزن : ناحية ... ومثله : وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... " .

(٧) هو شهل بن شيبان ، شاعر جاهلي قديم ، وأحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب البسوس وقد جاوز مائة سنة ، فأبلى بلاء حسناً – شرح الحماسة ١ / ١٩ تبريزي ، والخزانة ٢ / ٥٨ .

وقد أختلِس الطّعْنة ...... ـةَ لا يَدمَى لها نَصلي(١)

وأما قولهم : عَلِقَ الرجلُ المرأة عَرَضاً ، بالتحريك ، فمعناه : اعتراضاً من غير تعمّد . قال ذو الرمّـة :(٢)

تلك الفتاةُ التي عُلِّقتُها عَرَضـاً ... إن الكريمَ ، وذو الإسلام ، يُختلَبُ(٣)

[٦] / و « المَسابير » : جمع مِسبار ، وهو الميل الذي تقدّر(٤) به الجراحاتُ ليُعرَف غَورها . سبرتُها(٥) سَبْراً : إذا قدّرتَها . ثم كثر ذلك حتى(٦) جُعلت التجربةُ سَبْراً .

و « الفَهَق » : كثرة الدم . وتفهّق الرجلُ في القول : إذا توسّع . وولدٍ فَيهَقٌ : كثير الماء(٧) .

---

(١) الكامل ٣ / ٩٢١ لامرىء القيس بن عابس الكندي ، من فرسان الصحابة ، وفيه : " أختلس الضربة " ، وهو من أبيات في أخبار النحويين البصريين ٣٠ « كرنكو » لرجل من اليمن ، أو لامرىء القيس بن عابس ، وفي اللسان أيضاً « عرقب » للفند أو لامرىء القيس .

(٢) هو غيلان بن عقبة ، صاحب " مية " ، شاعر أموي مشهور ، في الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، وكان هواه مع الفرزدق على جرير . توفي سنة ١١٧ هـ - طبقات ابن سلام ٤٦٥ والشعر والشعراء ٤٣٧ ثقافة ، ووفيات الأعيان ٤ / ١١ .

(٣) ي / ١ : يحتلب . ش ، ل ، هـ : يجتلبه ، تصحيف . ومعنى يختلب : يخدع ويستلب عقله . وذو الإسلام : السليم الناحية ، العفيف . و « ذو » مبتدأ محذوف الخبر ، والنية به التأخير بعد خبر إن ، وهو قول سيبويه والبصريين ، كأنه قيل : « إن الكريم يختلب ، وذو الإسلام كذلك » ، فقدم وحذف الخبر ، كقول الشاعر :

فمن يك أمسى بالمدينـــة رحلـــه ... فإني ، وقيار ، بهـــا لغريـــب

وفي مثل هذه المسألة أقوال أخر ، انظرها في إملاء ما من به الرحمن ١ / ١٢٤ . والإنصاف : المسألة ٢٣ ، وكتاب سيبويه ١ / ٢٩٠ ومعاني القرآن ١ / ٣١٢ .
والبيت في ديوان ذي الرمة ١ / ٣٧ ، وروايته : " وذا الإسلام " .

(٤) ي / ١ يقدر . ق : يقدر .

(٥) ي / ٢ ، ص : وسبرتها .

(٦) سقطت " حتى " من ق .

(٧) في اللسان « فهق » : " تفيهق في الكلام ، وتفهق : أي توسع فيه وتنطع .. والفيهق : الواسع من كل شيء " .

يقول : إن الذي يريد سَبر هذه الطعنة يرجع عنها من هولها ، ولا يَقربُها من قبحها . وجعلها تنفيه وترده ، على جهة(١) المجاز ، كما تقول : منعتْهم السيوفُ عن دخول البلد . والمراد : أن أصحابها منعوهم بها .

٥ - عَفٌّ الإياسةِ عما لستُ نائلَـــهُ وإن ظُلمتُ شديدُ الحقدِ والحَنَقِ

قال الشيخ أبو هلال رحمه‌الله : « الإياسة » : اليأس . تقول : يأسٌ ، وإياس ، وأيِستُ . و « يئستُ » : أكثر وأجود(٢).

و « الحقد » : ما تُضمره من عداوة الرجل إلى حين التمكن منه . و « الحَنَق » : الغيظ . و « رجل عَفٌّ » : عفيف .

يقول : إني عاقل لا أطمع فيما لا أناله ، بل أيأس(٣) منه يأساً عفّاً لا قُنوط معه ولا كُفر . وذلك أن من الناس مَن إذا فاته الشيء قَنِط وكَفرَ .

(٧) / ٦ - وأكشِفُ المأزِقَ المكروبَ غُمّتَه(٤) ، وأكتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنـــــــقِ(٥)

« المأزِق » : المَضيق في الحرب . ومثله : المأقِط ، وهو حيث يلتقي الزحفان ، ويعترك الفريقان . و « المكروب »(٦) : مفعول بمعنى فاعل ، أي : الكارب .

و « غُمّته » : ضيقه وشدّته وإحاطة أهواله . وأصل الغَمّ : الإحاطة ، ومنه

---

(١) ي / ٢ ، ص : " على سبيل " .

(٢) أيست منه يأساً ، لغة في يئست منه يأساً ، ومصدرهما واحد . وقال ابن سيده : أيست من الشيء ، مقلوب عن يئست ، وليس بلغة فيه ، ولولا ذلك لأعلوه ، ولكان له مصدر - « اللسان : أيس » .

(٣) ي / ٢ : « آنس » تحريف .

(٤) في الأصلين ، ش ، ق ، ل : غمته (بالرفع) ، والصواب النصب . قال في المواهب الفتحية ١ / ١٤٧ : " المأزق : إما منصوب على نزع الخافض - فالمكروب مفعول أكشف - أو المأزق : مفعوله - فالمكروب بدل منه - و غمته : بدل اشتمال من المكروب على كل حال "

(٥) قوله : " فيه ضربة العنق " : حال من السر ، أو نعت له ، لأن « أل » جنسية . ويجوز أن يعود الضمير إلى الكتم المستفاد من « أكتم » ، كقوله تعالى " : " اعدلوا هو أقرب للتقوى " أي العدل . انظر تهذيب الألفاظ ١٠ .

(٦) ق : المكروب (بلا واو قبلها) .

الغِمامة(١) : التي تُجعل على فم البَعير ؛ والغَمام : لأنـه يحيط بنواحي السماء . ويجوز أن يكون أصلُه التغطيةَ .

ويروى : « المَخْشِيَّ غُمَّته » .

٧ ـ قد يُقتِرُ المرءُ يوماً ، وهوَ ذو حسَب ، وقد يَثُوب سَوَامُ العاجزِ الحَمِقِ(٢)

« الإقتار » : الإقلال . و « الحسَب » : ما يَعدّه الإنسان لنفسه من مناقبه ، ومناقب آبائه ، وهو من الحساب .

و « يَثوب » : يكثُر ، من قولك : ثاب إليه قومه ، أي نهضوا إليه وكثُروا حوله .

٨ والتثويب في الأذان : هو جمع الناس للصلاة . وفي القرآن : «وإذْ جعلنا / البيت مَثابةً للناس »(٣) لأنهم يكثُرون(٤) عنده . وأصل الكلمة : الرجوع . ويجوز أن يكون المعنى(٥) أنهم يثوبون إليه في كل سنة ، أي يرجعون .

و « السَّوام » : المال الراعي . وأسَمتُه : رعيتُه ، وسامتْ هيَ .
و « العاجز » : الضعيف . والحَمِق : الأحمق . وأصلُ الحُمق : اللّين . ومنه : البقلة الحَمقاء(٦) ، وسميت الخمرُ حمقاء للينِها(٧) .

٨ ـ قد يَكثُر المالُ يوماً ، بعد قلّتِه ويكتسي العُودُ ، بعدالجَدْبِ ، بالوَرَق

---

(١) في الأصلين بفتح الغين ، خطأ ، والصواب كسرها كما في : ش ، ق ، ل . والغمامة : المخلاة أو ما أشبهها تمنع البعير ونحوه من الاعتلاف . ج : الغمائم .

(٢) أقتر الرجل : إذا قل ماله وافتقر . ويقال أيضاً : أقتر الرجل على عياله وقتر عليهم ، من بابي نصر وضرب ، أي ضيق عليهم في النفقة .

(٣) البقرة : ١٢٥ .

(٤) ل ، ه : «يكثرن» ، خطأ .

(٥) ي / ٢ ، ص : الرجوع ويكون المعنى .

(٦) يقال : بقلة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء ، وهي تنبت على مجاري المياه ، فيطفح عليها الماء فيقتلعها ، ثم تعود فتنبت هناك .

(٧) في اللسان « حمق » : " والحميقاء : الخمر ، لأنها تعقب شاربها الحمق " .

٩ ـ وقد أجودَ وما مالي بذي فَنَعٍ   وقد أكرُّ وراء المُجْحَرِ البَرِقِ(١)

« ذو فَنَعٍ » : ذو كثرةٍ(٢) . وأصل الفَنَع : الحُسن . قال الراجز :

أنتَ جعلتَ الباهليّ مِفنَعا(٣)

والفَنَع ، أيضاً : الطيّب(٤) الرائحة . ومنه يقال : مِسكٌ ذو فَنَعٍ . و « المُجحَر » : المضيّق عليه في الحرب ، وأصله من الجُحر ، وقد أجحره الشيءُ : ضيّق عليه .

و « البَرِق » : الشاخص البصَر . / ومنه قوله سبحانه وتعالى(٥) : « فإذا بَرِقَ البصَرُ »(٦) . وبَرِق الرجلُ : تحيّر . قال الراجز :

(١) المجحر : المضطر الملجأ ، اسم مفعول ، من أجحره : إذا أدخله الجحر ، أو ألجأه إلى أن يدخل جحره. واستعماله لغير الضب من قبيل المجاز — « اللسان ، والتاج : جحر » .

ويجوز أن تكون " المجحر " من الجحر ، وهو — كما في أقرب الموارد ، والمرجع للعلايلي — الغار البعيد القعر . وبهذا الرسم جاءت أيضاً في ش ، ق ، ل ، والأغاني « الشعب » .

وفي الأصلين ، والاستيعاب « بجاوي » ، وأسد الغابة « الشعب » ، واللسان « فنع : برواية ابن بري » : « المجحر » بكسر الحاء ، اسم فاعل . وقد يكون له وجه . ففي التاج « جحر » : " ومن المجاز : أجحر القوم : إذا دخلوا في القحط والشدة " .

وفي الأغاني « ساسي ، ثقافة ، الهيئة » وحماسة ابن الشجري ، ومهذب الأغاني : « المحجر » بتقديم الحاء وفتح الجيم بعدها ، وهو تصحيف . وفسرها محققو الأغاني « الثقافة ، الهيئة » بالمغطى المستور. ولم يرد هذا التفسير في المعجمات القديمة ولا المعجم الوسيط ، كما لم يرد فيها فعل « أحجر » . ولعلهم اتكئوا في شرحهم للكلمة على أقرب الموارد أو المنجد ، إذ انفردا بقولهما : " أحجره : غطاه وستره " .

(٢) قال ابن الشجري : بذي فنع : بذي سعة .

(٣) المفنع ، كمنبر ، الحسن الذكر « القاموس » . وقيدت في ي / ١ ، ش ، ل ، ق : بفتح الميم ، خطأ . وفي الباقي بلا ضبط . ولم أعثر على الرجز .

(٤) كذا في النسخ . وبتشديد الياء في (ي / ١ ، ي / ٢ ، ش ، ق ، ل) والصواب "طيب الرائحة" بكسر الطاء على أنه مصدر مضاف مجرد من « أل » . ففي اللسان والمحكم : " الفنع : طيب الرائحة "

(٥) ي / ٢ ، ص : تبارك وتعالى .

(٦) القيامة ٧ . وقيدت راء " برق " في ل بالكسر والفتح معاً ، وكلاهما صحيح . انظر تفسير القرطبي ١٩ / ٩٥ ومجمع البيان ١٠ / ٣٩٣ واللسان : برق ، والمقاييس ١ / ٢٢٤ .

أعطيته عَيساءَ منها فبَرِقْ(1)

١٠ـ وأهجرُ الفِعلَ ذا حُوبٍ ومنقَصةٍ(2) وأتركُ القولَ يُدنيني من الرَّهَقِ

« الحُوب » : الإثم . ومنه قوله عزّ وجلّ : « إنه كان حُوباً كبيراً »(3).

و« الرَّهَق » : العَرامة والخبث . وغلامٌ فيه رَهَقٌ : إذا كان خبيثاً عارِماً .

★

وكان عمر رضي الله عنه(4) يفضّل هذه الأبيات ، ويتّهم رأيه فيها فلا يذكر ذلك . إلى أن قال لعلي عليه السلام(5) : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي أحسنَ الوصفَ ، وأحكَم الرّصفَ ، وقال الحقّ . قال : ومن هو ؟ قال : أبو محجن في قوله : (لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرتِه) . فقال(6) : أيدتني يا أبا الحسن أيّدكَ الله ، فما زلتَ مؤيداً في كل خير — وهذا أول ما قيل(7) : أيّدكَ الله — ثم قال له : قد صَدَق في {١٠} كل ما ذكر ، لولا آفة كانتْ في دينه من حبّه الخمر ، / ولقد تركها أنِفاً(8)، والأنَف من الكرَم ، والكرَم من الإيمان ، لقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(9) .

---

(1) العيساء : الناقة البيضاء مع شقرة يسيرة . والبيت في مجمع البيان ١٠ / ٣٩٤ وتفسير الطبري ٢٩ / ١١٢ بلا نسبة ، وصدره فيهما : « لما أتاني ابن صبيح راغباً » . وفي المقاييس ١ / ٢٢٤ بلا نسبة أيضاً وصدره : « لما تأياني عمير راغباً » . قال محققه : " في الأصل : لما أتاني ، تحريف . يقال : تأياه ، إذا قصده وعمد إليه " . ونسبه في تفسير القرطبي ١٩ / ٩٦ إلى الكلابي ، مما أنشده أبو عبيدة ، وروايته :

لما أتاني ابن عمير راغباً أعطيته عيساً صهاباً فبرق

ومنه يعلم خطأ اجتهاد محقق المقاييس ، والأولى أن يقال إن كلمة « ابن » سقطت من صدر البيت ، فتكون روايته كالقرطبي .

(2) المنقصة ، بفتح القاف : النقص . وأكثر ما يستعمل في الدين والعقل .

(3) النساء : ٢ .

(4) ش ، ل ، هـ : رضي الله تعالى عنه .

(5) ق : رضي الله عنه . ش ، ل ، هـ : كرم الله وجهه .

(6) ل ، هـ : قال .

(7) ي / ٢ ، ص : وهو أول من قال .

(8) بفتح فكسر ، كما في ي / ٢ ، هـ . وفي ق : أنفاً (بفتحتين) . وفي ي / ١ ، ش ، ص ، ل : آنفاً .

(9) الحجرات ١٣ .

فقال عمر رضي الله عنه(1): يأبى الله يا بني هاشم إلا أن يسوّدكم في الدين والدنيا.

قال الشعبي(2) : فلم يكن في الحيّ فتىً لا يحفظ هذه الأبياتَ تُعدّ(3) له مروءة .

قال عَوانــة(4) : دخــل عُبيد بن أبي محجن(5) على عبد الملك بن مروان(6) ، فقال له : أبوك الذي يقول :

إذا متُّ فادفنّي إلى أصل(7) كرمــةٍ تروّي(8) عظامي ، بعد موتي ، عُروقها
ولا تدفننّي بالفــلاة ، فإننــــي أخاف إذا ما متّ ، أن لا أذوقها(9)

فقال : يا أمير المؤمنين ، لكن (10) أبي الذي يقول :

لا تسألي الناسَ عن مالي وكثرته ....

وأنشدَ الأبيات إلى آخرها . فقال(11) عبد الملك : إن كنّا أسأنا لك القولَ ، فإنّا لا نسيء لك العطية .

وأمر له بعشرة آلاف(12) درهمٍ .

---

(1) ل : رضه . ش : رضي الله تعالى عنه .

(2) هو عامر بن شراحيل ، راوية كوفي ، من رجال الحديث الثقات . عرف بجلالة قدره ووفرة علمه . توفي سنة 103 هـ - طبقات ابن سعد 6 / 171 ووفيات الأعيان 3 / 12 .

(3) ي / 2 ، ص : فتعد .

(4) أبو الحكم الكلبي ، عوانة بن الحكم من أهل الكوفة ، كان فصيحاً عالماً بالشعر وأيام الناس والأنساب ، ويتّهم بأنه كان يضع الأخبار لبني أمية. توفي سنة 147 أو 158 هـ - الفهرست 141 ونكت الهميان 227 .

(5) ق ، هـ : عبيد بن محجن ، خطأ .

(6) الخليفة الأموي المشهور . وفي أكثر المصادر أنه معاوية لا عبد الملك . انظر ص 94 .

(7) ش ، ل ، هـ : جنب .

(8) ص : عروى ، تحريف . وفي هامشها بخط آخر : « الذي في حفظي : يروي عظامي ، ولعله من الناسخ » .

(9) بالفصل في ص ، ل ، هـ . وبالوصل في الباقي .

(10) بتشديد النون في ي / 1 ، ل ، ش . وبسكونها في ي / 2 .

(11) ي / 2 ، ص : فقال له .

(12) في الأصلين ، ش ، ق : ألف .

قال : ونقمَ عليه عمر رضي الله عنه[1] شُربه الخمر ، فسيّره إلى « حَضَوضَى[2] » وهي جزيرة في البحر ، وبعث معه « ابن جَهْراء[3] » . فراغَ منه على شط البحر ، ولحقَ بسعد بن أبي وقاص[4] ، وقال :

(البسيط)

(١١) / ١ ـ الحمدُ لله، نجّاني وخلّصني   من ابنِ جَهْراءَ، والبُوصيُّ قدحُبسا[5]

« البُوصيّ » : المرْكب، فارسيّ معرّب . و « نجّاني » و « خلّصني » واحد في المعنى ، وإنما كُرِّر[6] للتوكيد . وقد يقال : أوجعته وآلمته . وليس ذلك بالجيد في الشعر ، لأن من حق الشعر أن تكون[7] ألفاظه كالوحي ، ومعانيه كالسحر .

٢ ـ من يَركبِ البحرَ والبُوصيَّ معترِضاً   إلى حَضَوضى ، فبئس المركبُ التَمسا

وهذا مثل الأول[8] ، لأن ركوب البحر ينبيء عن ركوب البُوصيّ . و « معترضاً » : ذاهباً عرْضاً[9] ، و « الالتماس » : الطلب باللّمس، وكثُر حتى سُمي كل طلبٍ التماساً[10] .

---

(١) الجملة الدعائية ساقطة من : ش ، ل ، ه .

(٢) انظر ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) انظر ص ٧٤ .

(٤) صحابي جليل ، وفارس شجاع ، فتح الله على يده أكثر بلاد فارس . توفي سنة ٥٥ ﻫ . ـ الاستيعاب ٢ / ٦٠٦ .

(٥) ش : « حبسا » بالبناء المعلوم . وفي الأصلين : « والبوصي قد حبسا » برفع البوصي وبناء الفعل للمعلوم. وفي ق ، ل : « والبوصي قد حبسا » بنصب « البوصي » وبناء الفعل للمعلوم .

(٦) مبني للمجهول في ي / ١ ، ش . وللمعلوم في ي / ٢ .

(٧) ي / ٢ ، ص : يكون .

(٨) أي التوكيد ، كما في قوله : " نجاني وخلصني " .

(٩) ق : عُرضاً ، ومعناه الناحية والجانب ، أي ذهب كيفما اتفق .

(١٠) في الأصلين ، ص ، ق : التماس ، خطأ . وفي الباقي بالنصب ، وكتب فوقها في ش : " صح "

٣ ـ أَبلِغْ لدَيكَ أبا حَفصٍ مُغلغَلةً(١)   عَبْدَ الإلهِ ، إذا ما غارَ أو جَلَسَ

﴿١٢﴾ / « عَبد الإله » : يعني عُمر . وذلك أن كل خليفة يتواضع بهذا الاسم فيكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين » . ولم يَستَوِ لأبي محجن أن يقول : « عبد الله » فقال « عبد الإله » .

و « غَارَ » : أتى غَوراً . و « جَلَس » : أتى نَجْداً ، [والجَلْس : الصُّلب من الأرض ، وأرضٌ نجدٍ كذلك ، فسمي نَجدٌ جَلْساً](٢) ، ويقال لمن أتاه : جلَس . قال الشاعر :

إن كنتَ تاركَ ما أمرتُكَ فاجْلِسِ(٣)

أي : أَنجِدْ(٤)

٤ ـ إني(٥) أكرُّ على الأُولَى إذا فَزِعوا   يوماً ، وأَحبِسُ تحتَ الرايةِ الفَرسا(٦)

« الكُرور » الرجوع بعد الانهزام . و « الأُولى » يعني أُولى الخيل ، وهم المقدِّمة(٧) . وخصَّها(٨) بالذكر لأن نُخبة الكتيبة تكون فيها .

وقوله : « إذا فَزِعوا » أي إذا فزعَ الحيُّ .

---

(١) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد ، وبكسر الغين الثانية : المسرعة ، من الغلغلة : سرعة السير اللسان : « غلل » .

(٢) ما بين مربعين زيادة من ي / ٢ ، ص .

(٣) لعبد الله بن الزبير ، أو لمروان بن الحكم ، في خبر له مع الفرزدق ، كما في اللسان « جلس » وصدره : (قل للفرزدق ، والسفاهة كاسمها) . ونسبه ياقوت في البلدان " الجلس " إلى رجل يخاطب الفرزدق ، مع بيتين بعده ، كما أورده ابن فارس في المقاييس ١ / ٤٧٤ بلا عزو ، وفيه : " كاره " بدل " تارك " ، ووهم المحقق في نقله عن ياقوت أن البيت لمروان بن الحكم .

(٤) قوله : "أي أنجد" ساقط من هـ .

(٥) ل ، هـ : أني .

(٦) في هامش ل : " نخبة الكتيبة تكون تحت الراية " .

(٧) بكسر الدال في ي / ١ ، ش ، من قدّم بمعنى تقدم ، وبفتحها في ي / ٢ ، ل ؛ لأن غيرها يقدمها وكلاهما جائز كما في اللسان « قدم » . واقتصر صاحبا الصحاح والتهذيب على كسر الدال ، وهو الأصح

(٨) في هامش ل : " وخصا " .

٥ ــ أغشَى الصَّباحَ(١) وتَغشاني مُضاعفةٌ   من الحديد، إذا ما بعضُهم خنَسا

/(١٣) « مضاعَفةٌ » : درع صُنعت حَلقتَين حَلقتَين(٢).

وأصل « الغِشْيان » : التغطيةُ . ومنه : غشّيتُه(٣) بغشاء. وقد تكون بمعنى النكاح . يقال : غَشِيَ الرَجلُ المرأةَ ، إذا نكَحها ، والمراد أنه يَلبَسُها ؛ فعبّر عن اللّبس بالغِشيان ، لأن « أغشَى » مع « تَغشاني »(٤) أحسنُ .

و « خنَس » : تأخر . يقال(٥) : خنستُ عن الرجل ، إذا تأخرتَ عنه . ومنه قوله تعالى : « فلا أقسِمُ بالخُنَّس »(٦) ، يعني الكواكب السبعة ، وسمّاها خُنّساً ؛ لأن الفلَك الأعظم يقدّمها إلى المَغرِب ، وهي تتأخر إلى المشرِق .

ويروى : « حبَسا » ، أي حبَس فَرسَه في أهله ولم يَبرَمْ .

---

(١) ي / ٢ : « الصياح » ، بكسر الصاد ، بعدها ياء مثناة .

(٢) بفتح اللامين في الأصلين ، وبسكونهما في ش ، ل . وكلاهما جائز ، لكن التسكين أقوى ، انظر الصحاح « حلق » .

(٣) ص : « غشته » ، تحريف .

(٤) في الأصلين ، ص ، ق : يغشاني . والمثبت من ش ، ل ، ه .

(٥) ي / ٢ ، ص : « يقول » ، خطأ من الناسخ .

(٦) التكوير ١٥ .

- ٣ -

وقال يومَ قُسِّ الناطِف(١) ، وكان المثنّى بن حارثة(٢) كتب إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه :

« إنا قد غَلَبنا(٣) أهلَ فارس على بعض ما في أيديهم ، ومعي رجال صُبُرٌ صُدُقٌ . وإن أمددتَنا بجماعةٍ من قِبَلِكَ رجوتُ أن يفتح الله علينا » .

فقام عمر ، رضي الله عنه ، خطيباً وقال :

« أيها الناس ! إن الله وعدكم كنوزَ كسرى وقيصر ، في قوله تبارك وتعالى « وعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنّهم في الأرض »(٤) / وقال تبارك وتعالى : « هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهدى ودِينِ الحقِّ ليُظهِره على الدِينِ كلِّه »(٥)

ثمّ ذكر فارسَ ، فتثاقل الناس إشفاقاً من لقائهم . فقام أبو عُبيد بن مسعود بن عَمرو ابن عُمير الثقفي(٦) ، وقال : « أنا أوّل من انتَدَب » .

ثمّ قام(٧) سَليطُ بنُ قيسِ بنِ عمرو [بنِ عُبيدِ](٨) بنِ مالكٍ الخزرجيّ ومعه رهطٌ من الأنصار .

---

(١) قس الناطف : موضع قرب الكوفة ، على شاطىء الفرات الشرقي ، كانت فيه وقعة بين الفرس والمسلمين في خلافة عمر ، ويعرف هذا اليوم أيضاً بيوم الجسر . « معجم البلدان » وانظر ص ٦٥ .

(٢) صحابي شجاع ، شهم ، حسن الرأي والإمارة ، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد ، توفي سنة ١٤ هـ ، قبل وقعة القادسية ـ الاستيعاب ٤ / ١٤٥٦ بجاوي .

(٣) ص : " بلغنا " سهو من الناسخ .

(٤) النور ٥٥ . وكلمة " منكم " ليست في ي / ٢ ، ص .

(٥) التوبة ٣٣ .

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٧ ، ٦٣ ، ٩٥ .

(٧) ص : " قال " ، خطأ وسهو .

(٨) زيادة من أسد الغابة ٢ / ٤٤١ ـ الشعب ، والاستيعاب ٢ / ٦٤٦ ـ بجاوي . وفيهما أن سليطاً شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها ، وقتل يوم الجسر أيضاً .

ثمّ تتابع الناس وكثروا ، وقالوا : « أمِّرْ علينا » . فقال : « أؤمّر عليكم أوّلَ من انتَدبَ » . فأمّر أبا عُبيدٍ .

وبلغ يزدجردَ ذلك ، فبثّ القوّاد في أطراف مملكته ، وأخرج مَن فيها من العرب . فورد أبو عُبيد(١) في نحوٍ من ألفين ، والمثنى في نحوٍ من سبع مائة(٢) . فبثّ سراياه على قوّاد يزدجرد(٣) ، وقصد بعضَهم بنفسه ، فهزمهم .

فوردوا على يزدجردَ(٣) ، فعنّفهم وأقصاهم ، ودعا بهَمَرْدانَ الحاجبِ(٤) فعقَد له على اثني عشر ألفاً ، فسار إلى الحِيرة(٥) ، وأبو عُبيدٍ(٦) بها . فأشار عليه المثنى بعبور الفرات(٧) ، فعبَر .

وجاء هَمَرْدانُ فنزل « قُسَّ الناطف » ، بينه وبين العربِ الفراتُ(٧)، وقال لهم : « أتعبُرون إلينا أم نعبرُ إليكم ؟ » ، فقال أبو عبيد : « بل نعبُر إليكم » .

١٥ فأشارَ / عليه الناسُ ألاّ يعبُرَ ، فأبى ، وعقَد جسراً وعبَر ، فحصل على مستطْرَدٍ(٨) ضيّق . فرشقتهم الفُرس ، فجرح منهم الكثير .

---

(١) ل ، هـ : أبو عبيدة ، خطأ .

(٢) ل ، هـ : سبعمائة .

(٣) ص : «يزجرد» ، وهو سهو من الناسخ .

(٤) في اسم قائد الفرس يوم الجسر خلاف بين المؤرخين .. ففي الاستيعاب ٤ / ١٧١٠ – بجاوي : " وكان الذي بعث إليهم يزدجرد : مردانشاه بن بهمن ، في أربعة آلاف دارع " . وفي المروج ٢ / ٣٠٨ – بيروت : " وكان على جيش فارس في هذا اليوم : جاذويه ، ومعه راية فارس التي كانت لأفريدون ... وكانت من جلود النمور .. وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها في الأمر الشديد ". لكن ذكر المسعودي بعد ذلك ٢ / ٣١٣ – ٣١٤ ، في الكلام على معركة القادسية ، أن القعقاع طلب المبارزة " فبرز إليه عظيم منهم ، فقال له القعقاع : من أنت ؟ قال : أنا بهمن بن جاذويه . وهو المعروف بذي الحاجب . فنادى القعقاع : يالثارات أبي عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر ، وقد كان ذو الحاجب مبارزاً لهم ، على ما ذكرنا من قتله إياهم ، فجالا ، فقتله القعقاع ".

(٥) بكسر الحاء. قال ياقوت : " مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له : النجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به " – معجم البلدان .

(٦) ل ، هـ : وأبو عبيدة ، خطأ .

(٧) في الأصلين ، ص : الفراة ، وهو خطأ .

(٨) أي موضع يصلح للكر والفر .

ثم تدانى الزحفان ، فأرسِل الفيلُ ، فخبطَ الناسَ ، فتقدم أبو عبيدٍ في رجالٍ من أصحابه ، فضرب مِشفرَه وقال :

يا لكَ من ذي أربَعٍ ما أكبَــرَكْ

لأَعلُوَنَّ بالحُسام مِشفَــــرَكْ

فإن قُتلتُ بعـدَها فلِي دَرَكْ(١)

واستدبره أبو محجن ، فضَرب عرْقوبه(٢) ، فاستدارَ وسقَط . وتعاورَ الفُرسُ أبا عبيدٍ فقتلوه . فتداول الرايةَ بعده جماعة فقُتلوا . إلى أن انتهت إلى المثنى ، فجاش بها ساعةً ، ثم انهزم وانهزم الناس . وركبهم الفُرس فقَتلوا منهم ألفاً وثماني مائةٍ (٣) ، وقُتل من الفرس ألفان .

وبلغ الخبرْ عمر ، رضي الله عنه ، فبكى وقال : « رحم الله أبا عُبيدٍ ، لو رجَع إلينا لكان فينا فِئةٌ له »(٤).

فقال أبو محجن :

(البسيط)

١ ــ يا عَينُ بَكّي « أباجَبْرٍ » ووالدَه إذا تحطّمتِ الراياتُ والحلَقُ(٥)

(١٦*) / « تحَطّمت » : تكسرت . وحُطام النّبت : كُساره . وسميت جهنّم

---

(١) ق : " على درك " . والدرك : اللحاق والوصول إلى الشيء . يريد أنه إن قتل فسوف يلحق بأصحابه الذين سبقوه إلى الشهادة .

(٢) عرقوب الدابة : ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .

(٣) ل ، ه : " ثمانمائة " .

(٤) ق : فيئة (بفتح فسكون). وكلمة « له » ساقطة من ل ، ه . والفئة : الجماعة التي ينحاز إليها المقاتل فيفيئون به ، أي يرجعون به لقتال الأعداء . يريد عمر أن أبا عبيد لو لجأ إلى عمرَ والمسلمين مستنجداً مستعيناً لأعانوه ورجعوا معه إلى القتال وهم أقوى عدداً وعدة . وهو إشارة إلى قوله تعالى في الآية ١٦ من سورة الأنفال : " ومن يولهم يومئذ دبره – إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة – فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير " .

(٥) أبو جبر : هو أحد من استشهد يوم الجسر . « الإصابة ٤ / ٣٧ مصطفى محمد » . ولعله أبو عبيد الثقفي نفسه . فقد قتل ابنه جبر معه في تلك الوقعة . وانظر القصيدة الآتية ، رقم ٤ .

بالحُطَمة(1) ، من ذلك . وكانت الرايات تحملها رؤساء الجيوش يقاتلون بها ، وهي رماح قصارٌ ، مشدودٌ بها خِرَقٌ عليها أسنّةٌ يُطعَن بها .

و « الحَلَق » : الدروع . سميت بذلك لأنها تُعمل من الحَلَق .

٢ - يومٌ بيومِ(2) « أبي جَبْرٍ » وإخوته   والنّفسُ نَفْسانِ منها الهَولُ والشفَقُ(3)

قوله : «والنفسُ نَفسان» مثَلٌ ، والمراد أنه يحدِّث نفسه بالفرارِ مرةً ، وبالصبر أخرى ، فكأنّ له نَفْسين : تأمره إحداهما بهذا ، والأخرى بذاك(4) .

٣ - يا ضُلَّ ضُلَّ المنايا ، ما تَرَكْنَ لنا   عِزّاً نَبوءُ به ، ما هَدَّلَ الوَرَقُ(5)

« يا ضُلَّ ضُلَّ المنايا » : يريد : ما أضلَّ المنايا . وهو مثَلٌ . ومثله قول جَذِيمة الأبرش : « يا ضُلَّ ما تجري به العصا »(6) . والعصا : فَرَس جَذِيمةَ ، ركبها ﴿١٧﴾ / مولاه قَصير ونجا .

---

(1) ي / ٢ : الحطمة .

(2) ش : بيومٍ (بالتنوين) .

(3) الشفق : الخوف .

(4) قال ابن منظور : « نفس » " والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه ، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه ، فجعلوا التي تأمره نفساً ، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى . وعلى ذلك قول الشاعر :

يؤامر نفسيه ، وفي العيش فسحة   أيسترجع الذؤبان أم لا يطورها ؟ " .

(5) هدل الورق : تدلى من الأغصان لثقلها بالثمر ، و « ما » مصدرية زمانية .

(6) في الأصلين : ما يجري ، ص : ما يجري . والباقي : ما تجري . والمثل في جمهرة الأمثال ٢ / ٤٢٨ ومجمع الأمثال ٢/٤١١ ، وفيهما أن الذي قال ذلك هو عمرو بن عدي ، ابن أخت جذيمة ، حين ركب العصا ونجا بها بعد أن أحاطت كتائب الزباء بجذيمة . يضرب مثلا للجد لا ينفع . وفي اللسان « ضلل » أن هذا المثل قاله قصير بن سعد لجذيمة حين صار معه إلى الزباء ، فلما صار في عملها ندم ، فقال له قصير : اركب فرسي هذا وانج عليه فإنه لا يشق غباره . قال ابن منظور : " يا ضل ما تجري به العصا : أي يا فقده ويا تلفه " .

وقال الميداني : « والمنادى في قوله (يا) محذوف ، التقدير : يا قوم ضل ، أراد : ضلل ، بالضم ، وهي من أبنية التعجب ، كقولهم : حب بفلان ، أي حبب ، ومعناه ما أحبه إلي . ثم يجوز أن تخفف العين وتنقل الضمة إلى الفاء ، فيقال : حب .. ويجوز ألا تنقل . »

وتورَّط جَذيمة فقال: «ما أضلَّ جَرْيَها»، لأنّها تجري بغير صاحبها.

ويقال: «فلان ضُلُّ بنُ ضُلٍّ»(١) و«قُلُّ بنُ قُلٍّ»(٢): إذا لم يُعرف أصله.

(١) مجمع الأمثال ١ / ٤٢١ وفيه: "يضرب لمن لا يعرف هو ولا أبوه". واللسان أيضاً «ضلل»، قال: "وضل الشيء يضل ضلالا، أي ضاع وهلك، والاسم: الضل، بالضم. ومنه قولهم: فلان ضل بن ضل، أي منهمك في الضلال. وقيل: هو الذي لا يعرف ولا يعرف أبوه. وقيل: هو الذي لا خير فيه، وقيل: إذا لم يدر من هو وممن هو؟".

(٢) اللسان «قلل». قال: "وهو قل بن قل، وضل بن ضل: لا يعرف هو ولا وأبوه".

وقال أبو محجن يوم الجسر أيضاً(١) ، وكان يشبّب بأم يوسف ، أختِ الحجّاج ابن يوسف(٢) :

(الطويـــــــــل)

١ – أنّى تسدَّت نحوَنا أمُّ يوسفٍ ومِن دُون مَسْراها فَيافٍ مَجاهِلُ

« تسدَّت نحونا » : جازَت إلينا . وقال ابن السكّيت(٣) : « تسدَّيتُ : علَوتُ » . وأصل الكلمة : الرمي . ومنه قولهم : ما أحسنَ سَدْوَ يدِ الناقة ، أي رميَها بها في السير . والسَّدْو : حفرة تحفرها الصبيان ، ويرمون(٤) إليها بالجوز . و « مَسراها » : موضع سُراها . والسُّرى : سَير الليل خاصّةً(٥) . و « الفَيافي » : الصحاري ، واحدها فَيفاة . و « المَجاهل » : التي لا أعلام بها ، فسالِكها جاهل بالطريق .

﴿١٨﴾ ٢/ – إلى فتيةٍ(٦) بالطَّفِّ نِيلَت سَراتُهم وغُودرَ أفراسٌ لهمْ ورواحلُ

« الطَّفّ » : مادنا من الريف(٧) . وهو من قولهم : « خــذ ما طَفَّ لك

(١) سقطت " أيضاً " من ي / ٢ .

(٢) هذا وهم من العسكري ، فبين وفاة أبي محجن ٢٣ هـ وولادة الحجاج ٤١ هـ بضعة عشر عاماً ، ولم يكن له أخت سوى زينب بنت يوسف ، التي ولدت بعده . (انظر جبار ثقيف ٢٢) . والشاعر الذي كان يشبب بأخت الحجاج : إنما هو محمد بن عبد الله النميري الثقفي ، من شعراء الدولة الأموية ، انظر الأغاني ٦ / ١٨٠ (ثقافة) ، ونرجح أن " أم يوسف " في بيت أبي محجن امرأة متخيلة تحدث عن طيفها في هذا المطلع التقليدي .

(٣) إصلاح المنطق ه وقد اقتصرت المعجمات على ذكر " تسدى " متعدياً بمعنى علا وقهر وركب .

(٤) ي / ٢ ـ: يرمون .

(٥) سقطت كلمة " خاصة " من ي / ٢ .

(٦) ص : إلى فئة .

(٧) الطف : بناحية العراق ، على فرسخين من البصرة ، وهناك الموضع المعروف بكربلاء – « معجم ما استعجم » .

واستَطفَّ»(١) أي ما قربَ وسَهُلَ . وطِفاف المَكّوك : ما قاربَ مِلأهُ(٢) .

و « سَراة القوم » : خيارهم ، يعني أصحاب أبي عُبيد . والمراد بقوله : «نِيلَت سَراتُهم » أي قُتّلوا .

و « غُودِرِ » : خُلِّفَ . وسمي الغَدير غَديراً لأن السيل غادره ، أي خلّفه(٣) .

و « الراحلة » : فاعلة ، بمعنى مفعولة ، والمراد أنهم قتّلوا وخُلّف(٤) أفراسُهم ورواحلهم في المعركة ، يأخذها مَن يجدها .

٣ – وأضحَى « أبو جَبْرٍ » خلاءً بيوتُه بما كان يَعفُوها الضِعافُ الأراملُ

أي : خلَت بيوته بدلاً من عمرانها بالضيوف ، وذلك أنه يَنال من العدوّ ما يَقربهم به ، فقتله العدو ، فخلَت بيوته .

و « يَعفوها » : يأتيها العافي(٥) . وعافيةُ الرجل : غاشيته الذين يطلبون ما عنده . وعَوافي الطير : ما يأتي القتيلَ ليأكل منه .

(١٩ب)/ ٤ – وأضحى بنو عَمرٍو لدى الجسر ، منهم إلى جامدِ الأبيات جُودٌ ونائلُ

هذا مأخوذ من قول النابغة(٦) :

وغُودِرَ بالجَولان حَزمٌ ونائلُ(٧)

---

(١) قوله : " واستطف " ساقط من ي / ٢ . والمثل في الميداني ١ / ٢٣٢ ومعجم البلدان « الطف » . قال الميداني : " يقال : طف الشيء يطف طفوفاً ، إذا ارتفع وقل . ويقال أيضاً : خذ ما دف واستدف، قال أبو زيد : أي ما تهيأ ، يضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته " .

(٢) المكوك : نوع من المكاييل . والملء ، بكسر الميم : اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ .

(٣) ي / ٢ : لأن السيل خلفه .

(٤) في النسخ – عدا ي / ١ – : وخلفت .

(٥) ل ، ه : العواني .

(٦) هو النابغة الذبياني ، الشاعر الجاهلي المشهور ، من فحول الطبقة الأولى ، كان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم في سوق عكاظ . اتصل بالنعمان بن المنذر في العراق ، وملوك غسان بالشام ، ومدحهم – « طبقات ابن سلام ٤٦ والشعر والشعراء ٩٢ : بيروت ، والأغاني ١١ / ٣ ثقافة » .

(٧) ديوانه ١١٩ وصدره : « وآب مضلوه بعين جلية » . مضلوه : دافنوه . والبيت من قصيدة مشهورة في رثاء النعمان بن الحارث بن أبي شمر.

أي : كان جُوداً ونائلاً(1) ، فدُفِن في هذا الموضع ، فذهب الجود والنائل .

و « النائل »(2) ، والنّوال ، والنَّيْل : سواء ، وهو العطية . وقد ناله ينوله : إذا أعطاه . ورجلٌ نالٌ ، وامرأة نالةٌ : كثيرة العطاء .

٥ ـ وما لُمْتُ نَفسي فيهمُ ، غيرَ أنها   إلى أجَلٍ لم يأتِها وهو عاجــلُ

يقول : مالمت نفسي فيهم ، لأنني لم أقصّر في دفع الأعداء عنهم ، والمكافحة دونهم ؛ ولكن كان أجلُهم قد حضر ، وتأخر أجلي ، فقُتلوا وبقيتُ .

(٢٠) / ٦ ـ وما رِمتُ حتى خرّقوا برماحِهم   ثيابي ، وجادَت بالدماءِ الأَباجلُ

« ما رِمتُ » : ما برحتُ . وجعل تخريق الثياب عبارةً عن وقوع الطعن فيه . ودل على ذلك بقوله(3) : « وجادت بالدماء الأباجل » .

و « الأبجَل » عِرْق في باطن الذراع(4) ، وإنما هما أبجلان في الذراعين ، فجُمِع(5) لأن التثنية جَمْع(6) .

٧ ـ وحتى رأيتُ مُهرتي مُزوئرّةً   لدى الفيلِ ، يَدمَى نَحرُها والشَّواكِلُ

يقول : ما برحتُ حتى رأيت مهرتي مزورّةً(7) من الفيل ، نافرةً ، يَدمى

---

(1) ي / ٢ : جود ونائل .

(2) قوله: " والنائل " ساقط من ل ، هـ .

(3) ي / ٢ : قوله .

(4) ذكر ابن منظور في تفسير الأبجل تسعة أقوال ، هذا أحدها . ويعرف الأبجل بالشريان القصبي وهو في الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان ـ المرجع للعلايلي .

(5) بضم الجيم ، مبنياً للمجهول ، في ي / ١ ، ش ؛ وبفتحها ، مبنياً للمعلوم ، في ي / ٢ .

(6) وهو كقوله تعالى في سورة التحريم (الآية ٤) : " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ... " . قال الطبرسي في مجمع البيان ١٠ / ٣١٢ : " .. التثنية جمع في المعنى ، فوضع الجمع موضع التثنية". وقال أيضاً ٣ / ١٥ : " والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم . حكى سيبويه أنهم يقولون : وضعا رحالهما ؛ يريدون : رحلي راحلتيهما " .

(7) ق ، ص : مزوئرة .

نحرها وخاصرتُها من الطعن والضرب .

و « الشواكل » : الخاصرة(١) . وقال : « مزوئِرَةٌ » فأبدل الهمزة ياءً ثم حرّكها كما قال كُثيّر(٢)

إذا ما أحمأرّت بالعَبيطِ الأناملُ(٣)

﴿٢١﴾ / ٨ – وما رُحتُ حتى كنتُ آخِرَ رائحٍ وصُرّعَ حولي الصالحون الأَماثلُ

« أماثلُ » القوم : خيارهم وأولو الصلاح منهم . والمَثالة : الصلاح . ويقال : ما يزداد فلان إلا مَثالة ، أي صلاحاً . والمُثلى : تأنيث الأمثل . وفي القرآن العزيز : « بطريقتكم المُثلى »(٤) .

٩ – مررتُ على الأنصار وَسْطَ رحالهم فقلت لهم : هل منكمُ اليومَ قافلُ ؟

« القافل » : المنصرف من الغزو . ويقال : قَفَلَ يقفُل قفولاً . والاستفهام ها هنا(٥) بمعنى التوجع لهم ، والنفي لقُفولهم .

١٠ – وقرّبتُ رَوّاحاً وكُوراً ونمرُقاً وغُودِرَ في «أُلَيْسَ»(٦) بكرٌ ووائلُ

---

(١) ش ، ل ، ه : « الخواصر » وكان حقه أن يقول : الخاصرتان أو الشاكلتان فجمع كما فعل في « الأباجل » لأن التثنية جمع .

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن ، صاحب عزة ، وبها يعرف ، وهو شاعر أهل الحجاز في العصر الأموي ، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية منفحول الإسلام– الشعر والشعراء ٤١٠ بيروت، طبقات ابنسلام٤٥٧ .

(٣) ديوانه ٢٩٤ من قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان . وروايته :

وأنت ، ابن ليلى ، خير قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

احمأرت : يريد احمارت ، فحرك الألف وأبدلها همزة . والعبيط : الدم الطري .

وقول أبي محجن : « مزوئرة » أصله : « مزوارة » ، التقى فيه ساكنان : الألف والراء المدغمة ، فاضطر الشاعر إلى تحريك الألف بالكسرة بعد إبدالها همزة . فعبارة العسكري مخلة بالمراد . انظر اللسان «جنن» ، والممتع لابن عصفور ١ / ٣٢٠ .

(٤) طه ٦٣ : «قالوا : إنهذان لساحران يريدان أن يخرجاكم منأرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى» .

(٥) ي / ٢ ، ل : ههنا .

(٦) أليس : موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية كانت فيه وقعة صغيرة بعد الجسر (انظر ص ٦٨)

« روّاحاً » . يعني بَعيره(١). و « الكُور »: الرَّحْل . و « النُّمرُق »: الطِّنْفِسة
(٢٢) / تكون تحت الرَّحْل(٢) .

و « ألّبِس » : موضع قريب من النُّخَيلة » ، وكانت الوقعة بالنخَيلة .

و « غودِروا »: تُركوا مقتّلين(٣) .

١١ – ألا لعَنَ اللهُ الذين يَسرُّهم رَدايَ ، وما يَدرونَ ما اللهُ فاعلُ ؟

الردَى : الهلاك .

يقول : لعن الله من يحبّ موتي ، ولا يدرون : لعلّ الله يجعل في بقائي خيراً .

واللّعن : الإبعاد عن الخير .

---

(١) رواح : صيغة مبالغة . يقال : راح يروح رواحاً : سار في العشي ، أو في أي وقت كان .

(٢) ص ، ه : الرجل .

(٣) ش : " مقتولين " وكتب تحتها " مقتلين " .

- ٥ -

وقال أبو محجن في ذمّ الخمر(١) : (الطويـــــل)

١ – يقول أناسٌ: اشْربِ الخمرَ إنها إذا القومُ نالوها أصابوا الغنائمـــا

﴿٢٣﴾ يقول: إنهم جعلوا شُربها غنيمةً لِما فيها من السرور . وأصل(٢)/« الغنيمة »: مالُ الأعداء ، ثم جُعلت مثلاً في غـيره . يقال : اغتنمت السرور بلقائك(٣) ، واغتنمت الفرصة في الأمر .

٢ – فقلتُ لهم: جهلاً كذبتمْ ، ألم تَروْا أخاها سَفيهاً بعدمَا كان حالمـا

٣ – وأضحىَ وأمسَى مستخَفّاً مهيَّماً(٤) وحسبُك عاراً أن ترى المرءَ هائما

« مستخَفّاً » بفتح الخاء ، أي : يستخفّه الناس ، يجدونه خفيفاً ، كما تقول : استحسنتهُ ، إذا وجدتَه حسَناً ، واستقبحتُه : وجدتُه(٥) قبيحاً .

و « الهائم » : المتحيِّرُ الذاهبُ على وجهه .

(١) لم أعثر على الأبيات في مصدر آخر .
(٢) من قوله : " يقول : إنهم " إلى قوله : " وأصل " : ساقط من ص .
(٣) هـ : بلقاك .
(٤) مهيماً: اسم مفعول . يقال : هيمه ، إذا جعله هائماً أو ذا هيام .
(٥) في النسخ – عدا : ي / ٢ ، ق – : " إذا وجدته " .

وقال أيضاً في ذمّ الخمر(١) (الطويـــــل)

٢٤﴾ / ١ – أتوبُ إلى اللهِ الرحيمِ فإنّه غفورٌ لذنْبِ المَرءِ ما لم يعـاوِدِ

ليس لقوله : « ما لم يعاودِ » معنىً يصحّ ، لأنه إن عاود وتاب غفر الله له ، والمعاودة في ذلك كالابتداء .

٢ – ولستُ إلى الصَّهباءِ ، ماعشتُ، عائداً ولا تابعاً قولَ السفيهِ المُعانـــدِ

« الصهباء » : الخمرة المتخذة من العنب الأبيض . والصُّهبة : حُمرة يعلوها بياض .

٣ – وكيف–وقد أعطَيتُ ربّي مَواثقاً– أعودُ لها ؟ واللهُ ذو العَرشِ شاهدي !

٢٥﴾ / ٤ – سأتركها مذمومةً، لا أذوقها وإن رغِمتْ فيها أنوفُ حَواســدي.

« رَغِمَ أنفُه » : إذا ذَلّ . وأصله أن يَلصَق بالتّراب . والرَّغام : التّراب والمُراغِم للقوم : المغاضِبُ لهم . وفي القرآن العزيز : « مُراغَماً كثيراً وسَعةً »(٢)

وكان(٣) حواسده إذا شرب قرّت عيونُهُم ، لأنّه كان يَسقط بذلك عند المسلمين . فلما تَرك شُربهَا رَغِمتْ أنوفهم ، لأنه عزّ بتَركه(٤) عندهم .

---

(١) انفرد بها الديوان .

(٢) النساء ١٠٠ : " ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله : ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً ".

(٣) ي / ٢ : وكأن .

(٤) كذا في النسخ ، وذكر الضمير لأنه يعود على الشرب . ويجوز أن يعود على الخمر ، لأنها تؤنث وتذكر . جاء في المصباح المنير : " والخمر معروفة ، يذكر ويؤنث ، فيقال هو الخمر ، وهي الخمر . وقال الأصمعي : الخمر أنثى وأنكر التذكير . ويجوز دخول الهاء فيقال : الخمرة ، على أنها قطعة من الخمر ".

- ٧ -

وكان(١) مع سعد بن أبي وقاص بالقادسية . وكان سعد لا يزال يراه شارباً ، فقال له : لتَنتَهِيَنّ أو لأوجعنّك ضَرباً » . قال(٢) : « لستُ تاركَها لقولك أبداً » . وبلغه أنّه قال(٣) :

(الطويـــــل)

١ - ألا سقّني ،(٤) ياصاحِ ، خمراً فإنني ... بما أنزلَ الرحمنُ في الخمرِ عالِمُ

٢ - وَجُدْ لي بها صِرفاً لأزدادَ مأثماً ... ففي شُربها صِرفاً تَتِمّ المآثِمُ

(٢٦) / ٣ - هيَ النارُ إلا أنني نِلتُ لذّةً ... وقضّيتُ أوطاري وإن لامَ لائِمُ

فأمر سعدٌ به فحُبِس .

---

(١) أي أبو محجن .

(٢) ل ، هـ : فقال .

(٣) انفرد بها الديوان .

(٤) في هامش ص : " لعله : اسقني " . ولا داعي لهذا القول لصحة « سقني » أيضاً ، قال ابن منظور : " سقاه سقياً ، وسقّاه ، وأسقاه ... وسقّيته الماء : شدد للكثرة " . — اللسان : سقي .

- ٨ -

فلما تواقع القومُ بالقادسية ، نظر أبو محجن إلى الناس قد قُتلوا(١) فقال(٢) :

(الطويـــــل)

١ – كفى حزناً أن تَطْعُنَ(٣) الخيلُ بالقنا / وأصبحَ مشدوداً عليَّ وثاقيـــــا

٢ – إذا قمتُ عَنّاني(٤) الحديدُ ، وأُغلقت / مَصارع من دوني تُصِمّ المُنادِيا(٥)

٣ – وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ / فأصبحتُ منهم واحداً، لا أخاليَا(٦)

٤ – [وقد شَفَّ جِسمي أنني ، كلَّ شارقٍ / أعالج كَبْلاً مُصْمَتاً قد بَرانيَا(٧)

٥ – فلله دَرِّي يومَ أترك مُوثَقــاً / وتَذهَلُ عــني أسرتي ورجاليَا

٦ – حبيساً عن الحرب العَوان وقد بدت / وإعمال غيري يوم ذاك العواليا(٨)

---

(١) فوقها في ي / ١ : " فشلوا " . وكتب ذلك أيضاً في هامش (ص) عن نسخة أخرى . وفي بقية النسخ : فشلوا .

(٢) في الحماسة البصرية ١ / ٢٠ : " وقال أبو محجن الثقفي لما حبسه سعد بن أبي وقاص " .

(٣) بفتح العين في ي / ٢ ، ل ، وبضمها في ي / ١ ، ش . وهو من بابي منع ونصر ، كما في القاموس المحيط .

(٤) عناه : حبسه حبساً طويلا وبلغ منه غاية العناء . ص : " عياني " وكتب في هامشها : " لعله : أعياني " .

(٥) كلمة " من " ساقطة من : ش . وفي ل ، هـ : « مصارع دوني قد تصم » . المصارع : جمع مصرع كمنبر ، لغة في المصراع ، مثل مفتح ومفتاح . ومعنى : " تصم المناديا " تجعله أصم ، وذلك أن الأصم إذا بالغ في النداء ظن أنه مقصر فيلح في رفع صوته ولا يقلع .

(٦) جملة " لا أخاليا " بدل من المفرد : " واحداً " في محل نصب . ومثله قول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجـــــة / وبالشام أخرى ، كيف يلتقيـــــان !

انظر المغني ١ / ١٧٤ « أمير » وشرح شواهده للسيوطي ٢ / ٥٥٧ « كوجان » .

(٧) شفه : هزله وأوهنه ، وبابه نصر . كل شارق : كل يوم طلعت فيه الشمس . المصمت : القيد الذي لا جوف له . وحلي مصمت : أي نشب على لابسه فما يتحرك ولا يتزعزع – براه : هزله وأنحله وأذهب لحمه .

(٨) قوله : " إعمال " بكسر الهمزة ، كما في مخطوطة «الكشف عن مساوىء الخمر» ، وهو الصواب ، ولم تضبط الهمزة في نسخ الديوان . وهو مصدر « أعمل » نصب المفعول : « العوالي » .

٧ – أريني سلاحي ، لا أبا لَكِ ، إنني		أرى الحربَ ما تزداد إلا تمادِيا

٨ – ولله عهدٌ ، لا أخيسُ بعهدِه :		لئن فُرّجت، ألاّ أزورَ الحَوانيا](١)

﴿٢٧﴾ / ٩ – فإن متُّ كانت حاجةً قد قضيتُها		وخلّفتُ «سَعداً» وحدَه والأمانيا

وقال لامرأة سعد : « أطلقيني ، ولكِ عليَّ عهدُ الله وميثاقُه : لئن فتح الله على المسلمين ، وأنا حيٌّ لأرجعنّ إلى محبِسي »(٢) . فأطلقته . فركب فرساً بَلْقاء لسعد . وخرج فشقّ الصفوف مقبِلاً ومدبِراً . وأشرفَ سعد من القصر فنظر ، فقال « لولاً أن أبا محجن مقيّد لقلتُ : إن(٣) الفارس أبو محجن ، وهذه فرسي البلقاء(٤) » .

---

(١) خاس بعهده : نقضه وخانه ، أو غدر به ونكث. ومفرد الحواني : الحانية ، أو الحانوت ، وهو المكان الذي تعاقر فيه الخمر وتباع . ومثلها الحانة – اللسان .

(٢) ي / ٢ : مجلسي .

(٣) في هامش ص : " عله : أنه " .

(٤) لقول سعد ، هذا ، روايات أخر . انظر ص ٨١ .

فلما هُزم المشركون ، أقبل أبو محجن راجعاً ، فرأته امرأة من المسلمين ، فظنت أنه منهزم ، فقالت :

مَنْ فارسٌ كَرِه الطِعانَ يُعيرني فَرساً ، إذا نَزلوا بمَرْجِ الصُّفّرِ(١)

أي: يعيرني رمحه لأطاعن به عنه ، تعيّره الفرارَ . تقول : إذا فرّ الرجالُ فينبغي أن يقاتل النساءُ .

فقال أبو محجنٍ مجيباً لها :

(الكامـــــل)

إنّ الكِرامَ على الجياد مَقيلهم فذَرى الجِيادَ لأهْلِها ، وتعَطّري

هذه كنايةٌ لطيفة(٢) .

[٢٨ب] / « المَقيل » في الأصل : حيث يَقيل(٣) الرجل ، وكَثُر حتى قيل لموضع(٤) الشيء : مَقيلُه .

و « تعطّري » : تطيّبي للرجال .

(١) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان ، هزم به الروم في وقعة مشهورة بينهم وبين العرب في خلافة عمر سنة ١٤ هـ . « معجم البلدان: صفر ، وفتوح البلدان ١ / ١٤١ منجد » ووهم ياقوت في قوله إن هذه الوقعة كانت " في أيام بني مروان " وتابعه على هذا الوهم محقق الأغاني « ط . دار الشعب » .

والبيت لخالد بن سعيد بن العاصي بن أمية – تمثلت به المرأة – كما في فتوح البلدان ١ / ١٤١ « منجد » وروايته : " يعيرني رمحاً " ، ومعجم البلدان « مرج الصفر » وفيه : " هل فارس كره النزال يعيرني رمحاً . .) وبلا نسبة في الأغاني ٢١ / ١٤١ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٦ « ثقافة » ، ٢١ / ٧٢٣٣ « الشعب » ، ١٩ / ٩ « الهيئة » وروايته : " يعيرني رمحاً " .

وخالد بن سعيد : من أقدم الصحابة إسلاماً ، ومهاجريهم إلى الحبشة ، كان يكتب للنبي « ص » ثم بعثه عاملا على اليمن . وفي خلافة أبي بكر خرج مجاهداً فشهد فتح أجنادين بفلسطين ١٣ هـ وقتل في وقعة مرج الصفر ، وقيل قتل بأجنادين – فتوح البلدان ١٤١/١ منجد، والاستيعاب ٤٢٠/٢ بجاوي.

(٢) ي / ٢ : " هذه كناية ظريفة " . وهذه العبارة ساقطة من ص ، ق . لكن في هامش ص : " هذه الكناية لطيفة غاية اللطف كما لا يخفى على أهل الظرف " .

(٣) من القيلولة : النوم في نصف النهار ، وقيدت الياء بالضم في ي / ٢ ، ق ، ل . ومع تشديد الياء في ي / ٢ وكل ذلك خطأ .

(٤) ي / ٢ : موضع .

فلما رجع سَعْد إلى منزله ، سأل امرأتَه عن أبي محجن ، فأخبرته بقصته . فدعا أبا محجن وقال له : « والله لاعاقبتك على الخمر أبداً » . فقال : « وأنا والله لا أشربها أبداً ، إنما كنت أشربها إذ كنتم تطهّرونني(١) » . وقال(٢) :

(الطويـــــل)

١ – ألم ترني ودّعتُ ما كنتُ أشربُ   من الخمر إذْ رأسي ، لكَ الخيرُ ، أشْيَب

يقال : رجلٌ أشْيب ، ولا يقال : امرأةٌ شيباء ، واكتفوا بلفظة الشمطاء .

٢ – وكنتُ أروّي هامتي من عُقارها(٣)   إذ الحَدُّ مأخوذٌ ، وإذْ أنا أضربُ

«٢٩» / ٣ – فلمّا درَوْا عنّي الحدودَ تركتُها   وأضمرتُ فيها الخيرَ ، والخيرُ يُطلَبُ

أصل « دَرَوْا » : درَؤوا ، فترك الهمزة استخفافاً . والدَّرْء: الدفع . وفي القرآن الكريم : « ويَدرأُ عنها العذابَ »(٤)

٤ – وقال لي النَّدْمانُ لمّا تركتُها :   أآلْجِدُّ(٥) هذا منكَ أم أنتَ تلعبُ؟

النَّدمان ، والنديم : سواء . وقيل النّدمان : جمعٌ وواحد(٦) .

---

(١) انظر ص ٨٣ .
(٢) ش ، ل ، هـ : " وقال أيضاً " . والأبيات انفرد بها الديوان .
(٣) بضم العين ، كما في النسخ ، من أسماء الخمر . فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه ، أو أن الضمير في " عقارها " يعود على الهامة . ويجوز أن تكسر العين فيكون مصدراً كالمعاقرة .
(٤) النور : ٨ .
(٥) ص : الجد ، سهو من الناسخ ، والهمزة الثانية من « أالجد » همزة وصل مفتوحة ، دخلت عليها همزة الاستفهام ، وكان القياس أن يستغنى عنها ، لكنها لم تحذف ، وخففت بتسهيلها بين بين . ولا سبيل إلى دعوى تحقيقها لأنه لا قائل به . (انظر الخزانة ٤ / ٤٣٠) . وللعرب في ذلك مذهب آخر أفصح ، وهو قلب الهمزة الثانية ألفاً محضاً فيقولون : آلجد .
(٦) النديم والندمان : الشرب الذي ينادمك . وجمع النديم : « ندماء » و « ندام » . وجمع الندمان « ندامى » . ويجمع الندمان على ندامى أيضاً . وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً – اللسان .

٥ – وقالوا : عَجِيبٌ تركُكَ اليومَ قهوةً[١] كأنيَ مجنونٌ ، وجِلْديَ أجرَبُ

« جِلدي أجرب » : أي ليس يقربني الناس ، كأنني أجرب ، يخافون مني العَدوى .

(٣٠) / ٦ – سأتركُها للهِ ثم أذمُّهـا وأهجُرُها في بيتِها حيث تُشرَبُ

(١) في هامش ل : " قبوة " ، إشارة إلى رسم آخر للكلمة ، ولم يذكر أين جاء ذلك . والقبوة : انضمام ما بين الشفتين ، ولا معنى لها هنا . وبنو قابياء : المتجمعون لشرب الخمر – اللسان .

وقال(١) : (البسيط)

١ـ إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنعت وحالَ من دونِها الإسلامُ والحَرَجُ

« عَزَّ الشيءُ » : إذا قلَّ . و« عَزَّ » : إذا امتَنع .

وأصل « الحَرَج » : الضِيق ، وحَرِجَ الشيءُ يَحرَج حرَجاً ، وهو حَرِجٌ : إذا ضاق ، وأصله من الحَرَجَة(٢) : وهي الشّجر الملتف . ويقال لقِلادة الكلب : حِرْج(٣) . والحَرَج والتحرُّج : كراهة الدخول في الأمر(٤) .

٢ ـ فقد أباكِرها رِيّاً ، وأشربُهـا صِرفاً ، وأطرب أحياناً ، فأمتزِجُ

(٣١) أراد : فقد باكرتُها وشربتُها صِرفاً ، وربما طربتُ فمزجتُها . / [وكان(٥) ينبغي أن يقول : شربتُها ممزوجةً ، وربما طربتُ فصرَّفتُها(٦) .

ولِما قاله وجهٌ : وهو أنه إذا طرب مزجَها لئلا تُدخله في السُّكْر . وجاء بلفظ المستقبل وهو يريد الماضي .

---

(١) ش ، ل ، هـ: " وقال أيضاً " . وهذه الأبيات قالها أبو محجن بعد عزمه على هجر الخمرة ، إثر عفو سعد عنه – العقد ٦ / ٣٥٠ ، والأغاني ١٨ / ٢٩٥ ثقافة ، وقطب السرور ١٢٢ .

(٢) بفتحتين كما في ل ، ش ، والصحاح والقاموس واللسان . وسكنت الراء في ي / ١ خطأ . وتجمع على : حرج ، وحرجات (بفتحتين فيهما) ، وحراج ، وأحراج .

(٣) بكسر فسكون ، كما في ل ، والصحاح ، واللسان ، والتاج . وفي الأصلين و« ش » بفتح الحاء ، خطأ .

(٤) والحرج أيضاً (بفتحتين) : الإثم . قال ابن الأثير في النهاية : " الحرج في الأصل : الضيق ، ويقع على الإثم والحرام . وقيل : الحرج : أضيق الضيق " .

(٥) من هنا يبدأ النقص في ي / ١ وهو ثابت في النسخ الأخرى ، الخطية والمطبوعة . ومنها استدركناه ، ولكن عولنا في ترقيم الصفحات على الأصل الثاني « ي / ٢ » من ص « ٣١ – ٣٧ » حتى ينتهي ذلك النقص .

(٦) صرف فلان الخمر : شربها صرفاً . وفي ق : " فأصرفتها " وهما بمعنى . (انظر اللسان : صرف) .

٣ ــ وقد تَقومُ على رأسي مغنّيــــةٌ		فيها، إذا رفَعَت مِن صَوتِها، غُنُجُ(١)
٤ ــ تَرفَعُ الصوتَ أحياناً وتَخفِضُه		كما يَطِنُّ ذبابُ الروضةِ الهــزِجُ

« الهَزَج »: الصوت . شبه الغناء بطنين الذباب، وهو رديء(٢) . لكن الجيّد أن يشبّه طنين الذباب بالغناء(٣) ، كما قال عنترة :

وخَلا الذبابُ بها ، فليس ببــارح(٤)		غَرِداً كفِعلِ الشاربِ المترنِّــم (٥)

---

(١) رفعت : بتخفيف الفاء المفتوحة في ي / ٢ وبتشديدها في ش ، ل . وكلاهما صحيح . والغنج (بضمتين): ملاحة العينين، أو التكسر والتدلل. «التاج». وقيدت بفتحتين في بعض نسخ الديوان والمصادر الأخر خطأ.

(٢) ق ، ص : ردي .

(٣) قال ابن رشيق معلقاً على بيت أبي محجن : " فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب ؟ وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده " .

(٤) ل ، ه : بنازح ، تصحيف .

(٥) من معلقته . يصف روضة مخصبة يألفها الذباب . انظر ص ١٥٢ .

﴿٣٢﴾ / وقال أبو محجن أيضاً(١) : (الوافـــــر)

١ ـ لقد علمتْ ثقيفٌ ، غيرَ فخـرٍ بأنا نحن أجوَدُها سيوفـــا

٢ ـ وأكثرُها دروعــاً ضافيـاتٍ وأصبرُها إذا كَرِهـوا الوقوفـا

« الضافية » : التامّة من الدروع . وضفا الشيءُ يضفو : إذا تمّ . و « أصبرها » : إذا كرهوا الوقوف في المعركة ، ففرّوا .

٣ ـ وإنّا(٢) رِفدهُم في كلّ يومٍ فإن غضِبوا فسَلْ رجلاً عَرِيفا

﴿٣٣﴾ « الرِفْد » : العطية . يقول : نحن أصحاب رفدهم . فحذف / إيجازاً(٣) ؛ كما قال تعالى : « يَحول بين المرء وقلبِه »(٤) ، أي يَحول بين المرء وتمَنّي قلبِه(٥) ، فحذف « التمني » إيجازاً(٣) .

و « العَرِيف » : العارِف ، مثل : العليم والعالِم . وروي : « عَروفا » .

٤ ـ [وليلةَ « قادسٍ » لم يَشعُروا بي ولَم أشعِر بمَخرجي الزُحوفا(٦)

٥ ـ فإن أحبَس فذلكمُ بَلائـي وإن أُترك أذيقُهمُ الحُتـوفا]

---

(١) كلمة " أيضاً " ساقطة من ق . وهذه الأبيات قالها أبو محجن في القادسية – كما في الأغاني – بعد أن تحاجز " أهل العسكرين ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجليه في القيد " .

(٢) بكسر الهمزة في ي / ٢ ، وبفتحها في ش ، ص ، ل ؛ عطفاً على ما سبق .

(٣) ي / ٢ : " إنجازاً " ، تصحيف .

(٤) الأنفال ٢٤ .

(٥) في ق : " أي يحول بين تمني قلبه " . وفي ي / ٢ ، ص : " أي يحول بين تمني قلبه وقلبه " . والمثبت من ش ، ل ، هـ . وانظر تفسير البحر ٤ / ٤٨١ .

(٦) قادس : القادسية – معجم ما استعجم ٢ / ٣٥٣ وتاريخ الطبري ٣ / ٥٢٩ ، ٥٥٠ ..

وقال أبو محجن أيضاً(١)

(الطويل)

١ – عَمِّي الذي أهدَى لكسرى جِيادَه | لدى الباب منها مُرسَلٌ ووقـوفُ
٢ – عَشيةَ لاقَى التَرجُمانَ(٢) وربَّه | فأدّاه فَرداً ، والوفودُ عكـوفُ

« ربَّه » : يعني المَلِك كسرى .

« فأداه » : أي أدخله وحده إلى الملك ، وغيرُه من الوفود وقوفٌ لا يؤذن لهم .

﴿٣٤﴾ و « العُكوف » : جمع عاكف ، وهو اللازم لموضعه ؛ ومنه الاعتكاف . / عاكفٌ وعكوف ؛ مثل : جالس وجلوس .

وعمُّه الذي ذكره هو غَيلان(٣) بن سلَمة الثقفي(٤) .

أخبرنا أبو أحمد ، الحسن بن عبد الله(٥) ، عن الجلُودي(٦) ، عن المغيرة ابن محمد ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن(٧) ، عن العُتبي ، عن أبيه ، قال(٨) :

(١) لم أجد البيتين في مصدر آخر . وأبو محجن يفتخر فيهما بعمه غيلان بن سلمة بن معتّب الثقفي ، ولم يكن عمه لحاً ، وإنما هو رجل من القبيلة . وسبقت ترجمته ص ٤٧ .

(٢) بفتح التاء وضم الجيم في ي / ٢ ، وبضمهما في ش ، ق ، ل ، وكلاهما صحيح ، ويجوز أيضاً فتحهما مثل زعفران ، والجمع : التراجم ، بكسر الجيم – « الصحاح » .

(٣) ي / ٢ ، ص : عيلان (بالعين المهملة) ، تصحيف ، انظر الخزانة ١ / ٦٧ .

(٤) بعدها في ش : " رضي الله تعالى عنه " .

(٥) هو أبو أحمد العسكري (٢٩٣ – ٣٨٢ هـ) خال أبي هلال العسكري وأستاذه ، أحد الأئمة في الآداب والحفظ ، والتبحر في أنواع العلوم ، اشتهر بالدراية والإتقان ، وكان صاحب أخبار ونوادر . ومن كتبه المطبوعة : المصون ، والتصحيف والتحريف . « وفيات الأعيان ٢ / ٨٣ وإنباه الرواة ١ / ٣١٠ » .

(٦) بفتح الجيم نسبة إلى جلود ، قرية بالشام ، وضمت خطأً في ي / ٢ ، ش . وهو عبد العزيز بن يحيى ، فقيه الإمامية بالبصرة ، مؤرخ أديب ، له كتب كثيرة في السير والتراجم والأخبار والفقه . توفي بعد سنة ٣٣٠ هـ . « الفهرست ١٧٣ وهدية العارفين ١ / ٥٧٦ » . ولم أعثر على تراجم بقية رجال السند .

(٧) هـ : إبراهيم بن عبد الرحمن .

(٨) الخبر ، بسند آخر واختلاف ، في : الأغاني ١٣ / ٢٠٧ « ثقافة » والروض الأنف ٧ / ٢٧١ « الوكيل » . وانظر الكامل ١ / ٣٧٠ ، ٢ / ٧٢١ ، ٧٣٠ .

خرج أبو سفيان بن حَرب(1) في جماعة من قريش وثقيف ، يريدون بلاد كسرى(2) بتجارة . فلما ساروا ثلاثاً(3) قال أبو سفيان : « إنا في مَسيرنا(4) هــذا لعلى خطرٍ ، لأنّا نَقدَم على ملكٍ لم يأذن لنا في القــدوم عليه(5) وليست بلاده(6) لنا بمتجرٍ ، فأيّكم يذهب ؟ فإن أصيب فنحن بُرَآءُ(7) مــن دمه ، وإن يَغنَم(8) فله نصف الربح » !

فقال غَيلان(9) بن سلَمة الثقفي : « أنا أمضي بها » . وقال(10) :

فلو رآني أبو غَيلانَ إذ(11) حسَرت عني الأمورُ بأمرٍ ماله طَبَقُ(12)

لقالَ: رُغْبٌ ورُهْبٌ أنتَ بينَهما(13): حبُّ الحياةِ ، وهَولُ النفسِ ،والشفَقُ

(1) بعدها في ل ، ه : « رضه » . وأبو سفيان : هو صخر بن حرب .. كان من أشراف قريش في الجاهلية وكبار تجارها ، ومن أفضلها رأياً . أسلم يوم الفتح ، ومات سنة ٣٣ هـ – الاستيعاب ٤ / ١٦٧٧ بجاوي .

(2) الأغاني : يريدون العراق .

(3) ي / ٢ : ثلثا .

(4) ل ، ه : سيرنا .

(5) عليه : ساقطة من ل ، ه .

(6) ل ، ه : بلاد .

(7) برآء: كفقهاء، جمع بريء . وفي ق ، ه : " براء " بفتح الباء ، صحيح أيضاً ، وهو مصدر يستعمل بلفظ واحدمع الجميع .

(8) ق : يمر (بفتح الميم المشددة).

(9) ي / ٢ ، ص : عيلان ، تصحيف . وكذا في صدر البيت الآتي .

(10) الأبيات في الأغاني « ١٢/٤٦ ساسي ، ١٢/٤٨ مصورة طبعة بولاق ، ١٣/٢٠٧ ثقافة ، ١٣/٢٠٦ مصورة طبعة دار الكتب » ومختار الأغاني ٦ / ٥٠ ، وتجريده (ق ٢ ، ج ١ : ١٥٠٠) . ومخطوط منتخب الأغاني (الورقة ٢٧٧ / أ) ، والإصابة ٣ / ١٨٧ « مصطفى » .

(11) سقطت " إذ " من ص . وفي ل ، ه : إذا ، خطأ .

(12) الأغاني : (ولو رآني ... إلى أمر له طبق) . ووقع في طبعة دار الثقافة: " حصرت " بدل " حسرت "، خطأ مطبعي . وفي مختار الأغاني ، وتجريده : (فلو رآني .. إلى أمر له طبق) . وفي مخطوط منتخب الأغاني (عن الأمور إلى أمر له طبق). حسرت : انكشفت، والطبق : الحال والخطر ، والذي له مابعده.

(13) الأغاني « ثقافة ، دار الكتب » ، وتجريده ، ومختاره : (رغب ورهب يجمعان معاً) . الرغب : مصدر رغب ، بمعنى الرغبة . وفي ص والأغاني « ساسي ، مصورة طبعة بولاق » ومخطوطات مصورة طبعة دار الكتب : (رعب ، ورهب يجمعان معاً) وفي منتخب الأغاني : (لقال رهباً ورغباً يجمعان معاً) . وفي الإصابة : " رعب ورهب أنت بينهما " .

إما مُسيفٌ(١) على مجدٍ ومكرمةٍ   أو أُسوةٌ لكَ فيمن تَهلِكُ الوَرِقُ(٢)

﴿ ٣٥ ﴾ / فخرج في العِير ، وكان أبيض طويلاً جَعْداً . فتخلّق(٣) ولبس ثوبين أصفرين ، وشهرَ نفسه ، وقعد بباب كسرى حتّى أذِن له ، فدخل عليه وشُبّاكٌ من الذهب بينه وبينه . فقال له الترجُمان : « يقول لك الملك : ما أدخلك بلادي بغير إذني ؟ » . فقال : « لستُ من أهل عداوة لك ، ولم أكن جاسوساً ، وإنما حَملتُ تجارة ، فان أردتَها فهي لك ، وإن كرهتَها رددتُها .

قال : فانه لَيتكلم إذ(٤) سمع صوت الملك ، فخرّ ساجداً . فقال له الترجمان : « يقول لكَ الملِك : ما أسجدَك ؟ » قال : « سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترتفع الأصوات ، فظننته صوتَ الملك فسجدتُ » .

قال : فشكر ذلك له ، وأمر له بنُمرُقةٍ(٥) توضع تحته . فرأى فيها صورة الملك ، فوضعها على رأسه . فقال له الترجمان : « الملك يقول لك : إنما(٦) بعثنا بها إليك لتقعد(٧) عليها » . قال : « قد علمتُ ، ولكن رأيت عليها صورة الملك ، فوضعتُها على أكرم أعضائي » .

فقال له : « ما طعامك في بلادك » ؟ قال : « البُرُّ » . فقال : « هذا عقْلُ البُرّ » . ﴿ ٣٦ ﴾ /

ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وبعث معه مَن بنى له أُطُماً بالطائف ، فكان أوّلَ أطمٍ بُني بالطائف .

---

(١) المسيف : الذي مات ولده . وفي الأغاني ، وتجريده ومختاره ومنتخبه : " إما بقيت " . وفي الإصابة : " أما مشف " ، تصحيف .

(٢) قوله " تهلك " ضبط بضم التاء وكسر اللام في ش ، ل . فماضيه « أهلك » . وبفتح التاء في ي/٢ ، ق ، فيكون ماضيه ثلاثياً متعدياً بمعنى أهلك – انظر اللسان . وفي طبعات الأغاني ، وتجريده ، ومختاره ، ومنتخبه ، والإصابة : " يهلك " .

والورق : الفضة . يخاطب غيلان والده قائلا : إذا فقدتني فإما أن تحتسبني في سبيل المجد والمكارم ، وإما أن تتعزى بمن أهلكه حب المال والخروج في طلبه ، فيكون لك فيه أسوة .

(٣) تطيب بالخلوق (بفتح الخاء) : وهو ضرب من الطيب .

(٤) ل ، ه : إذا ، تحريف .

(٥) ق ، والأغاني : " بمرفقة " ، وكلاهما بمعنى المتكأ ، والمخدة .

(٦) سقطت " إنما " من ل ، ه .

(٧) ي / ٢ : ليقعد .

وقال أبو محجن أيضاً(١) : (الطويل)

١ - إني - وما صاحت يهودُ(٢)وطرّبتْ ثلاثَ ليالٍ بالحجاز - لحائرُ(٣)

٢ - ولولا ابنةُ الحَبْرِ اليهوديّ قد حدا بأجمالنا، في نَقْبِ جُسْمانَ جائر(٤)

« النَّقْب » : الطريق في الجبل ، وجمعه : نِقاب(٥) ، وأنقاب .

و « الجائر » : المائل عن الطريق . يقول : لولا هذه لخرَجنا على غير قَصْد . كأنهم كانوا خائفين .

وما طرّبت له اليهودُ : يعني التوراة .

(٣٧) / ٣ - تقول ابنةُ الحَبرِ اليهوديّ: ما أرى أبا محجن إلا وللقلب ذاكرُ

٤ - فإن ابنــةَ الحَبر اليهوديّ تَيّمتْ فؤادي، فهل لي من سُميّةَ زاجرُ؟

(١) يتغزل بيهودية . وليس في أخباره ما يوضح هذا الجانب ، وقد انفرد الديوان بالأبيات .

(٢) هذا قسم ، أي حلفت بالذي صاحت يهود به ، أو له . ويهود : اسم للقبيلة ، معرفة مؤنث . فإذا أدخلوا عليه « أل » أرادوا النسب ، أي : اليهوديين . وجمع اليهودي : يهود ، كما يقال في المجوسي : مجوس ، وفي العجمي : عجم ....

(٣) ش ، ق ، ل ، هـ : " لحاذر " . طربت : تغنت . وطرب الرجل في صوته : رجعه ومده وحسنه . ويريد بالحجاز : المدينة ، وهو من قبيل تسمية الجزء باسم الكل . - انظر اللسان : نجد، ومعجم البلدان : الحجاز .

(٤) الحبر : (بكسر الحاء وفتحها) : واحد أحبار اليهود . حدا بالإبل : ساقها وغنى لها . جائر : فاعل حدا ، أي حاد ضالّ عن الطريق - وجسمان (بكسر الجيم ، في ش ، ل . وبضمها في ي / ٢) : لم يذكر في كتب البلدان . ويبدو أنه اسم موضع قرب المدينة . وأرجح أنه محرف عن " جُشّان " وهو حصن لليهود بالمدينة . « معجم البلدان ، والنهاية لابن الأثير ١ / ٣٩٢ » . ولا يبعد أن يكون محرفاً أيضاً عن " عسفان " وهي قرية ذات نخيل ومزارع بين مكة والمدينة .

(٥) ي / ٢ : نقب(بفتح فسكون) . ق : أنقب . والمثبت من « ش ، ل ، هـ » وهو الموافق لما جاء في اللسان .

قال الشيخ أبو هلال(١) : أنشدني أبو القاسم الكاغَديّ ، عن العُقَديّ(٢) ،
﴿٣١﴾ عن أبي جعفر](٣) / عن المدائني(٤) ، هذه الأبيات لأبي محجن ، ورُويت(٥)
لسُحيمِ عبدِ بني الحَسحاس(٦) :

(الطويل)

١ ـ تمنّيتُ أن ألقاهما وتمنّتا ... فلما التقَينا استَحْيَتا مِن مُناهما

٢ ـ بكَت هذه ، وانهلّ أدمعُ هذه ... وفاضت دموعي في عِراض بُكاهما

« انهلّ » الدمع ، واستهلّ : إذا انصبّ .

وقال : « في عِراض بكاها » أي : في مذاهب دموعهما . ويقال : صنعتُ هذه القصيدة في عِراض قصيدة فلان ، أي على وزنها ورويّها(٧)

٣ ـ هما سَقَتاني السَّمّ(٨) يومَ تَولّتا ... جَزاني إلهي عنهما ، وجَزاهُما

---

(١) بعدها في ق : رحمه الله .

(٢) بضم العين وفتح القاف في ي/٢ . وبفتحهما في ل . وبفتح العين فقط في ش . ولم أعثر على ترجمته . وقد سبق توضيح رجال هذا السند في الفقرة « د » ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) إلى هنا ينتهي النقص من ي/١ ويجري وفقها ترقيم صفحات المخطوط بدءاً من هنا .

(٤) لعله علي بن محمد البصري المدائني ، أبو الحسن ، مؤرخ ، إخباري راوية الشعر ، مات في بغداد سنة ٢٢٥ هـ ـ الفهرست ١٥٣ .

(٥) ش ، ص ، ل ، هـ : « وتروى » . وفي هامش ش : « خ : ورويت » . وفي هامش ل : « في هامش الأصل : خـ : رويت » .

(٦) سبقت ترجمته ص ١٠٤ .

(٧) جاء شرح البيت الثاني بعد البيت الثالث في ش ، ل ، هـ .

(٨) في هامش ل : " سقتان " بلا إشارة موضحة . والسم : بفتح السين في الأصلين ، و« ش » . ولم تشكل في الباقي . وهي من الكلمات المثلثة ، والفتح هو الأشهر .

وقال(١) : (الطويل)

(٣٢) / ١- إذا مُتُّ فادفِنّي إلى أصل كرمةٍ تُرَوِّي(٢) عظامي، في التراب، عُروقُها(٣)

٢ - ولا تَدفِنَنّي بالفَلاة ، فإنني أخاف ، إذا ما متُّ ، أن لا أذوقُها(٤)

٣ - [وتُروي بخمر «الحُصّ» لحدي، فإنني أسيرٌ لها من بعدِ ما قد أسوقُها](٥)

٤ - أباكرها عند الشروق ، وتارةً يُعاجلني بعد العَشيّ غَبوقُها(٦)

« الغَبوق » : شُرب العَشِيّ . والصَّبوح : شُرب الغداة . ويقال : صبَّحه يَصبَحه ، وغبَقه يَغبِقُه(٧) ، واغتَبق ، واصطَبح .

---

(١) ش ، ل ، هـ : « وقال أيضاً » . وقد ذكر البغدادي في الخزانة أن هذه القصيدة رواها كل من ابن الأعرابي وابن السكيت في ديوان أبي محجن . وشرحها في كتابيه : الخزانة ، وشرح شواهد المغني ، وعنه أخذنا ما رأيناه ضرورياً .

(٢) كتبت في ي/١ بالياء والتاء معاً . وفي ي/٢ ، ص : يروي . وفي ش ، ق ، ل ، هـ : تروي .

(٣) قال ابن السكيت : " قوله : (إذا مت فادفني) هذا خطاب مع ابنه يأمره بذلك ، وفيه مبالغة على حبه الخمر وتعطشه إليها ، إذ أظهر الرغبة إليها وهو ميت ".

(٤) في الأصلين ، ش ، ق ، وبعض المصادر : " ألا أذوقها " والصواب الفصل . والضمير في « أذوقها » يعود إلى الكرمة ، وأراد به الخمرة . والبيت شاهد نحوي على تخفيف « أن » ، واسمها ضمير شأن محذوف لأنها سبقت بفعل فيه معنى العلم والتيقن وهو « أخاف » ، ولما كان الشاعر موقناً أنه لن يذوق الخمرة ، صار خوفه يقيناً . وهو مذهب سيبويه والأخفش ومنع ذلك الفراء والمبرد ، وأوجبا نصب الفعل . (انظر المقتضب ٣ / ٨ وأمالي ابن الشجري ١ / ٢٥٣ ، وشرح الكافية ٢ / ٢٣٣ والخزانة ٣ / ٥٥٠).
وزعم بعضهم أن « أن » هي الناصبة ، أهملت ولم تعمل في قوله : لا أذوقها . ورده العيني : ٤ / ٣٨١ .

(٥) تروي لحدي : تجعله يرتوي . الحص : موضع بنواحي حمص تنسب إليه الخمر . ذكره ياقوت واستشهد عليه ببيت أبي محجن .

(٦) " أي أنني أصبحها عند شروق الشمس ، ومرة أشربها عشاء ، إلا أنني أقدم شربها على العشاء فيعاجلني الغبوق " . « ابن السكيت » . والضمير في « أباكرها » مثله في « أذوقها » .

(٧) كسرت الباء في الأصلين و ل ، وضمت في ش ، وكلا الضم والكسر جائز ، كما في اللسان ، والفعل من بابي « نصر » و « ضرب » . واقتصر الجوهري في الصحاح على الضم .

٥ – وللكأسِ(١) والصهباءِ حظٌّ منعَّم(٢) فمِن حقِّها ألاّ تُضاعَ حقوقُهـا

٣٣ / « حظٌّ(٣) منعَّمٌ » : أي منعَّمٌ صاحبُه(٤) ، فحذَف . كما قال الله سبحانه وتعالى(٥) : « وسَل القرية »(٦) ، أي أهل القرية .

٦ – أقوِّمها زِقّاً بحِقٍّ ، بِذاكـم يُساق إلينا تَجْرُها ، ونَسوقُها(٧)

« الحِقّ » من الإبل : ابن ثلاث سنين . والأنثى : حِقّة . وسمي بذلك لأنه استحق أن يُحمل عليه .

يقول : أشتري(٨) زِقّاً بحِقٍّ ، ولهذا يُحمل(٩) إلينا الخمر لأنّا نُربح حاملَها .

و « التَّجْر » : جمع تاجر ، مثل : صَحْب ، وصاحب .

٧ – وعندي على شُرب العُقار حَفيظةٌ إذا ما نساءُ الحَيِّ ضاقت حلوقُها(١٠)

---

(١) ص ، ل ، هـ : « وللكاس » ، بتخفيف الهمزة . ي/١ : « وللكأسُ والصهباءُ » .

(٢) ي / ٢ : « حق منعم » . وفي هامش ش : « خـ : حق » إشارة إلى نسخة أخرى . وفي هامش ل " في هامش الأصل : خـ : حق " .

جاء في الخزانة : " قال ابن السكيت : حقها كونها تسر القلب ، وتذهب الهم ، وتسخي البخيل ، وتشجع الجبان ، إلى غير ذلك من فعلها ، وهذا حق لها ، وإذا كان هذا دأبها فمن حقها أن تعظم ، ولا تضيع حقوقها " .

(٣) في هامش ش : « خ : حق » .

(٤) ي / ٢ : « حق منعم : أي منعم صاحبه » .

(٥) ي / ٢ : « الله تبرك وتعالى » . ل ، هـ : « كما قال سبحانه وتعالى » .

(٦) كذا في الأصلين ، ق ، ص . وهي قراءة ابن كثير والكسائي . (الإرشادات الجلية : ٢٣٧) . وفي الباقي : « واسأل » . وهي الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٧) الزق ، بالكسر : ظرف الخمر .

(٨) ي / ٢ ، ص : اشترى .

(٩) ص : « وبهذا يحمل » . وأعجمت « يحمل » في ش : بالياء والتاء معاً .

(١٠) قال ابن السكيت : " الحفيظة : كل شيء يغضب لأجله . يعني : وإن كنت سكران ؛ لا أهمل الحفاظ إذا استغاثت بي نساء الحي وصحن لنازلة نزلت بهن " .

٨ – وأعجِلنَ عن شَدّ المآزِر، وُلَّهاً مفجّعةَ الأصوات قد جفّ ريقُها(١)

(٣٤) / ٩ – وأمنعُ جارَ(٢) البيت مما ينوبه وأكرمُ أضيافاً قِراها طُروقُها(٣)

« الولَّه » ، هاهنا(٤) : جمعُ والهةٍ ، وهي التي تحيّرت من الفزع. و « أعجِان عن شدّ المآزر » : من فزع الغارة .

يقول : إني أشرب على هذه الحال .

و « الحفيظة » : الغضب ، وهي هنا(٥) : المحافَظة على شرب الخمر .

وقال : « قَراها(٦) طروقُها » : أي قريناها عند طروقها . و « الطُروق » : الإتيان ليلاً .



(١) قال ابن السكيت : " أي دهمهن من البلاء ما أعجلهن عن شد المآزر في أوساطهن ... والواله : الذاهب العقل . والمفجعة : التي نزل بها ما أخافها وأفزعها ".

وبكلمة « ريقها » ينتهي القسم الموجود من نسخة ي/٢ وهو نهاية الصفحة الأربعين منها .

(٢) ص : « جان » ، تحريف .

(٣) قراها : قيدت بكسر القاف في (ي / ١ ، ق ، ل ، هـ) فتكون اسماً . وبالفتح في مخطوطة شرح الشواهد البغدادي . وبالفتح والكسر معاً في ش ، فهي على ذلك تحتمل الاسمية والفعلية .

قال ابن السكيت : " قراها : أطعمها . يقول : إذا طرقتنا الضيفان ليلاً أعجلنا لها القرى ، فكأن طروقها هو الذي قراها " .

(٤) ل ، هـ : هنا .

(٥) ش : « هاهنا » . ل ، هـ : « ههنا » .

(٦) بفتح القاف وكسرها ، في ي / ١ ، وكتب فوقها : معاً .

«تمَّ شعرُ أبي محجنٍ بأسره ، والحمد لله وحده

كتبه ياقوت المستعصميّ في شوالٍ سنةَ إحدى وثمانين وستمائة

حامداً لله تعالى على نعمه ، ومصلياً على نبيّه محمدٍ وآله وصحبه، ومسلّماً»(١)

---

(١) بهذا انتهت نسخة ي/١ . وجاء في آخر « ش » ما يلي :

" تم شعر أبي محجن بأسره ، والحمد لله وحده . وكتبه محمد محمود بن التلاميد ، لطف الله به ، عام ١٢٩٥ / ١٧ رمضان ، ثم وقفه على عصبته بعده وقفاً مؤبداً ، فمن بدله فإثمه عليه ، يليه إن شاء الله تعالى ديوان شعر الحادرة ... " . وإلى جانب ذلك بخط الناسخ نفسه ، في الهامش الأيسر : " نقلته من خط ياقوت ، ولفظه : كتبه ياقوت المستعصمي في شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة حامداً لله تعالى على نعمه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله وصحبه ، ومسلماً ".

وفي آخر نسخة « ق » ما نصه :

" تم شعر أبي محجن بأسره ، والحمد لله وحده ، على يد كاتبه إسماعيل حقي المغربي ، غفر الله له ، ولجميع المسلمين . سنة ١٢٩٦ " .

وختمت نسخة « ص » بالعبارة الآتية :

" تم شعر أبي محجن بأسره ، والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . بقلم الفقير مصطفى الإمام الدمشقي ، عفي عنه " .

وفي آخر مطبوعة ليدن « ل » ما يلي :

(في آخر الأصل المنقول منه — وهو النسخة المحفوظة بكتبخانة ليدن — ما نصه :

" تم شعر أبي محجن بأسره ، والحمد لله وحده ، وكتب في المدينة المنورة " .

وتحت ذلك مكتوب بخط الناسخ ما صورته : " نقل من نسخة أديب زمانه ووحيد عصره ، الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي ، وهو نقل من خط ياقوت المستعصمي ، ولفظه : كتبه ياقوت المستعصمي في شوال سنة ٦٨١ حامداً لله تعالى على نعمه " .) .

الزّيادات

ما نسب إلى أبي محجن

- ١٧ -

« .... وهو القائل : (المنسرح)

١ - لمّا رأينا خيلاً محجّلةً وقومَ بغيٍ في جحفلٍ لَجِبِ(١)

٢ - طِرنا إليهم بكلّ سَلْهبةٍ(٢) وكلّ صافي الأديم كالذهبِ

٣ - وكلّ عرّاصةٍ(٣) مثقّفةٍ فيها سِنانٌ كشُعلة اللهبِ

٤ - وكلّ عَضْبٍ في متْنه أُثُرٌ ومَشرفيٍّ كالمِلْحِ ذي شُطَبِ(٤)

٥ - وكلّ فضفاضةٍ مضاعفةٍ مِن نَسج داودَ غيرَ مؤتشِبِ(٥)

٦ - لمّا التقَينا مات الكلامُ ودا رَ الموتُ دَوْرَ الرّحى على القُطُبِ(٦)

٧ - فكلُّنا يَسْتَلِيصُ(٧) صاحبَه عن نفسه ، والنفوسُ في كُرَبِ

٨ - إن حَمَلوا لم نَرِم مَواضعَنا وإن حَمَلْنا جَثَوْا

---

(١) التحجيل: بياض في قوائم الفرس لايجاوز الركبتين والعرقوبين . جحفل لجب : جيش ذو جلبة-الصحاح.

(٢) السلهبة : الفرس التي طالت وعظمت .

(٣) في اللسان : " رمح عراص : لدن المهزة ، إذا هز اضطرب " . والشاعر يريد القناة ، قناة الرمح .

(٤) الأثر ، بضمتين : فرند السيف ووشيه ورونقه . والأكثر : « الأثر » بفتح فسكون . وعلى هذا يجوز أن نقرأ في بيت أبي محجن: «أثر» بفتحتين، فيكون هذا التحريك للضرورة - انظر اللسان: أثر.
وشطب السيف (بضم ففتح) : طرائقه في متنه ، الواحدة : شطبة . وكذلك : شطب (بضمتين) .

(٥) فضفاضة مضاعفة: درع واسعة ضوعف حلقها - غير مؤتشب : صريح غير مخلوط . يقال : ائتشب القوم : اختلطوا ، ورجل مؤتشب : مخلوط غير صريح في نسبه . « اللسان » .

(٦) القطب : الحديدة أو الخشبة القائمة التي تدور عليها الرحى .

(٧) كذا في المؤتلف «طبعة فراج» ، ولم يرد هذا الفعل في المعجمات. وأرجح أن "استلاص" بمعنى ألاص فلاناً : أي أداره عن الشيء يريده منه . وألاصه على الشيء : راوده عليه وداوره. « اللسان : لوص ليص » ، فيكون المعنى : كل منا يراود قرنه على نفسه ويداوره ليقتله ويسلبه روحه .
وفي طبعة " كرنكو " : " يستليس " ، وفي الخزانة: "يستلبص" ، وكلاهما تحريف .

(٨) رام موضعه ، ومن موضعه : برحه .

- ١٨ -

« ويروى لأبي محجن الثقفي : (الطويل)

١ – عسى فَرَجٌ يأتي بهِ اللهُ ، إنــه ... له ، كلَّ يوم ، في خَليقته أمــرُ

٢ – عسى ما ترى ألاّ يدومَ ، وأنْ ترى ... له فَرَجاً مما ألحّ به الدهــرُ

٣ – إذا اشتدَّ عُسرٌ فارْجُ يُسراً ، فإنه ... قضى اللهُ أنّ العسرَ يَتبعهُ اليُسرُ »

- ١٩ -

« وهو القائل(١) : (المديد)

١ – إن يكن ولّى الأميرُ فقــدْ ... طابَ منه النَّجْلُ(٢) والأثَــرُ

٢ – فيكمُ مستَيقِظٌ ، فَهِــمٌ ... قُلْقُلانٌ ، حَيَّةٌ ، ذَكَــرُ(٣)

٣ – أحمَدُ اللهَ إليكَ فمــا ... وُصْلَةٌ إلا ستَنبَتِــرُ »

- ٢٠ -

« وقال أبو محجن [في أبي بكر الصديق] : (الطويل)

١ – وسُمّيتَ صِدّيقاً ، وكلُّ مهاجرٍ ... سِواكَ يسمّى باسمه ، غيرَ منكَرِ

٢ – سَبقتَ إلى الإسلام ، واللهُ شاهدٌ ... وكنتَ جليساً بالعَريش المشهَّرِ(٤)

٣ – وبالغار ، إذْ سُمّيتَ بالغارِ صاحباً ... وكنتَ رفيقاً للنّبيّ المطهَّــرِ »

---

(١) في القطعة هذه جمع بين المدح والتعزية . وليس في حياة أبي محجن ما يلقي ضوءاً على ذلك .

(٢) النجل : النسل ، أو الولد .

(٣) قلقلان : لم تذكرها المعجمات ، ولعلها بمعنى القلاقل والقلقل ، وهو الخفيف المعوان السريع التقلب في البلاد . والذكر : القوي الشجاع الأنف الأبي .

(٤) العريش : شبه الخيمة يستظل به . وقد بني لرسول الله يوم بدر ، وكان معه أبو بكر وحده – أسد الغابة ٣ / ٣١٨ " الشعب " .

- ٢١ -

« غرّب [عمر] رجلاً من ثقيف هو أبو محجن ، وكان يُدمن الخمر ، وأمر ابنَ جهراء النّصري ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر .... وقال أبو محجن أيضاً :

(المـــديد)

١ ـ صاحبا سَوءٍ صَحِبتُهمــــا صاحِباني يومَ أرتحـــلُ

٢ ـ ويقولان : ارتحِلْ معَنـــا وأقول : إنني ثَمِـــلُ

٣ ـ إنني باكرتُ مُترَعـــةً مُزّةً ، راووقُها خَضِـــل(١) »

- ٢٢ -

« أبو محجن الثقفي : (الطويل)

١ ـ نُعاهد أطرافَ القَنا ، فنَفي لها إذا لم تُضرَّجْ من دمٍ : أن تُحطّما

٢ ـ حَرامٌ علينا أن نَشيمَ(٢) سيوفَنا ولم تروَ من أعناقِ أعدائنا دَمــا »

---

(١) المزة : الخمر اللذيذة الطعم ، تلذع اللسان . والراووق : المصفاة أو إناء الشراب . خضل : ندي ، مبتل . يريد أن الخمرة بنت ساعتها .

(٢) شام السيف يشيمه : أغمده .

- ٢٣ -

« ... وأسلم [مالك بن عَوفٍ النّصريّ] فاستعمله رسول الله (ص) على مَن أسلم من قومه ، وتلك القبائلِ [حول الطائف](١) : ثُمالةَ ، وسَلِمةَ ، وفَهْمٍ ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً ... حتّى ضيّق عليهم . فقال أبو محجن بنُ حبيبِ بنِ عَمرو بن عُمير الثقفي :

(المديد)

١ - هابت الأعداءُ جانبَنا ... ثم تَغزونا بنو سَلِمَه(٢)

٢ - وأتانا مالكٌ بهمُ ... ناقضاً للعهد والحُرُمَه

٣ - وأتَونا في منازلنا ... ولقد كنّا أولي نَقِمه »

- ٢٤ -

« قال أبو محجن ... الثقفي ، وهو على حصن الطائف :

(الرجز)

واللهِ لا نُسْلِم ، ما حَيِينا ، ... وقد بنَينا طائفاً حَصينا »



(١) زيادة من الطبري ٣ / ٨٩ « ذخائر » . وسبقت ترجمة مالك بن عوف ص ٤٥ .

(٢) سلِمَة : بفتح السين وكسر اللام ، وهو الراجح الذي عليه أكثر النسابين وأصحاب الحديث . وأما أهل اللغة ، وجماعة من أصحاب الحديث فيفتحون اللام طلباً للتخفيف . انظر الروض الأنف ٧ / ٢٨٥ (الوكيل) والإيناس ٩٢ وعجالة المبتدي ٧٣ .

مااختلطت نسبته

- ٢٥ -

« وقال أبو محجن الثقفي : (الوافر)

١ ـ ألم تَسلِ الفوارسَ من سُـليمٍ ... بنَضْلةَ ، وهو موتورٌ مُشيحُ(١)
٢ ـ رأوه فازدَروْه ، وهوَ خِرقٌ ... وينفع أهلَه الرجلُ القبيــحُ(٢)
٣ ـ فلم يخشَوا مَصالتَه عليهـم ... وتحت الرَّغوة اللّبَنُ الصّريحُ(٣)
٤ ـ فكَرَّ عليهمُ بالسيف صَلْتـاً ... كما عضَّ الشّبا الفَرسُ الجَموحُ(٤)
٥ ـ فأطلَق غُلَّ صاحِبه ، وأردى ... جريحاً منهمُ ، ونجَا جَريـحُ »

- ٢٦ -

« أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعةٍ فيهم أبو محجن الثقفي ، وقد شربوا الخمر ... فجعل يحدّهم .. حتّى انتهى إلى أبي محجنٍ . فلما جلَده أنشأ يقول(٥) :

(الطويل)

١ ـ ألم ترَ أن الدهرَ يعثرُ بالفـتى ... ولا يستطيع المرءُ صرفَ المَقـادر
٢ ـ صبرتُ فلم أجزَع ، ولم أكُ كائعاً ... لحادث دهرٍ في الحكومة جائرِ(٦)
٣ ـ وإني لذو صبرٍ ، وقد مات إخوتي ... ولستُ عن الصهباء يوماً بصابـرِ
٤ ـ رماها أميرُ المؤمنين بحَتْفِهـا ... فخُلاّنُها يبكُون حولَ المَعاصِرِ »

(١) بنضلة : عن نضلة . الموتور : الذي قتل له حميم ولم يدرك ثأره . المشيح : الحامل الحذر ، الجاد . يقال : أشاح في الأمر : جد ، وأشاح منه : حذر .
(٢) الخرق : السخي الكريم ، ومن الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة .
(٣) المصالة : الصولة والوثبة ؛ مصدر ميمي .
(٤) الصلت : الصقيل الماضي . والشبا : مفرده الشباة ، وهي طرف الشيء . يريد هنا طرف اللجام وحده.
(٥) الأغاني . وفي الأشربة والكشف والشريشي : أن « الشاعر » قال الأبيات حين منع عمر أهل الشام شرب الخمر .
(٦) كائعاً : جباناً .

- ٢٧ -

[وقال يهدد امرأته] :

(الكامل)

يا رُبَّ مثلِك ، في النساء ، غريـرةٍ بيضاءَ قـد متّعتُها بطَـلاقِ(١)

- ٢٨ -

« هويَ [أبو محجن] امرأةً من الأنصار يقال لهـا : شَموس(٢) . فحاول النظر إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فآجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها . فأشرف من كوّةٍ في البستان فرآها ، فأنشأ يقول(٣) :

(الكامل)

١ ـ ولقد نظرتُ إلى الشّموس ودونَها حَرَجٌ من الرحمنِ غيرُ قليـلِ

٢ ـ قد كنتُ أحسَبُني كأغنى واحدٍ وردَ المدينةَ ، عن زراعةِ فُـولِ »

(١) الغريرة : الغافلة التي لم تجرب الأمور . وقيل : المغترة بلين العيش ، الغافلة عن صروف الدهر . متعتها بطلاق : أعطيتها شيئاً تستمتع به عند طلاقها . أو : جعلت الطلاق نفسه تمتيعاً لها ، لأني لم أرض خلقها ، ولم أستطع الصبر على قبح فعلها ، وإن كانت حسنة الوجه . والبيت شاهد نحوي مشهور. انظر ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) انظر ص ٧٣ - ٧٤ ، ١٢٩ .

(٣) الأغاني ١٨ / ٢٩٠ « ثقافة » .

- ٢٩ -

« وفي تركه الخمر يقول :   (الوافر)

١ ـ رأيتُ الخمرَ صالحةً ، وفيهـا   خِصالٌ ، تُفسد الرجـلَ الحليما
٢ ـ فلا ، واللهِ ، أشرَبها حياتـي   ولا أشفي بها أبداً سقيمـا
٣ ـ ولا أعطي بها ثمناً حياتـي   ولا أدعو لها أبداً نَديمـا »

- ٣٠ -

وقال :   (الكامـل)

قد كنت أحسبُني كأغنى واحـدٍ ،   قَدِمَ المدينةَ ، عن زراعة فُـومِ(١)



(١) سبق ذكره ، مع آخر قبله ، في القطعة ٢٨ ، وإنما أفردناه هنا ، لتغير قافيته. وهذا البيت يرد في كثير من كتب التفسير واللغة ، وفي المعجمات « مادة : فوم » للإشارة إلى أن " الفوم " لغة في " الثوم " عند بعضهم ، وأن الفاء قد تبدل من الثاء ، أو أن الفوم هو الحنطة ، أو السنبل ، أو الخبز ، أو الحبوب التي تؤكل أو تخبز . ومن ثم جاءت قافية البيت في تلك الكتب : " فومِ " .

تخريج أشعار الدّيوان

وزياداته

أ ـ (٢) : شرح ديوان صريع الغواني ١٥٢ .

(٤) : اللسان والأساس « فهق » بلا نسبة . وصدره في شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٢٩ ، ٤٤٢ بلا نسبة .

ـ صدر الرابع وعجز السادس معاً : مجمع الأمثال ١ / ٣٣٢ ، صبح الأعشى ١ / ١٠٧ .

(٦) : بهجة المجالس ١ / ٤٦٢ بصدر آخر .

(٨) : عجزه فقط في المخلاة ٦٢ بلا نسبة . والبيت في حماسة البحتري ٢٢٥ لحارثة بن بدر ، مع بيت آخر قبله ، وهو :

إن الأمور لها ربٌّ يدبِّرها ... في الخلق ما بين تجميعٍ ومفترقِ

(٩) : مقاييس اللغة « فنع » بعجز آخر .

ـ صدر التاسع وعجز السادس معاً : الحيوان ٥ / ١٨٢ ، تهذيب الألفاظ ١٠ ، ومختصره ٦ ، فصل المقال ٥٦ ، الفائق ٣ / ١٤٥ ، المحكم ٢ / ١٣٤ ، النهاية ٣ / ٤٧٦ ، اللسان والتاج « فنأ ، فنع ، فجر » ، حياة الحيوان ٢ ـ ٥٦٩ . وبلا نسبة في شرح المفضليات للأنباري ٣٨٣ . وصدره في شرح اختيارات المفضل ٢ / ٨٧١ بلا نسبة أيضاً .

ب ـ (١ ، صدر الرابع وعجز السادس) : العقد الفريد ١ / ٦٧ .

ـ (١ ، ٢ ، ٦ بصدر آخر) : الشعر والشعراء ٣٣٧ « ط . بيروت » .

ـ (١ ، ٢ ، ٣ ، صدر الرابع وعجز السادس) : جمع الجواهر ٨٤ « بجاوي » ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

ـ (١ ، ٣ ، صدر الرابع وعجز السادس ، ٢) : الكشكول ١ / ٣٦١ ، ذيل ثمرات الأوراق ٢٠٦ .

ـ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ بصدر آخر) : عيون الأخبار ١ / ٣٨ ، قطب السرور ١٢٢ .

ـ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦) : البصائر والذخائر : ق ٢ ، مج ٢ : ٣١٠ .

ـ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) : جمهرة الأمثال ١ / ٥١٠ .

ـ (١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨) : شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٨ « البهية » ، ١ / ١٠٢ « كوجان » .

ـ (١ ، ٢ ، ٦ بصدر آخر ، ٣ ، ٥ ، ٧) : الكشف عن مساوىء الخمر ٢٩ / ٢ .

ـ (١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ ، صدر التاسع مع عجز السادس ، ٥ ، ٨) : الوحشيات ١٦٩ .

ـ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ٨) : حماسة ابن الشجري ٦٢ « حيدر آباد » ، ١ / ٢٣٣ « دمشق » .

(١ ، ٢ ، ٦ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨) : الإصَابــة ٧ / ١٧١ « شرقية » ، ٤ / ١٧٥ « مصطفى محمد » .

- (١ ، ٢ ، ٦ ، ٣ ، ٥ ، ٩ ، ٧ ، ٨) : أسد الغابة ٥ / ٢٩١ « الوهبية » ، ٦ / ٢٧٧ « الشعب » .

- (١ ، ٣ ، صدر الرابع وعجز السادس ، ٥ ، ٩ ، ٢ ، ٧ ، ٨) : الأغاني ٢١ / ١٤٢ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٨ « ثقافة » ، ٢١ / ٧٢٣٦ « الشعب » ، ١٩ / ١١ « الهيئة المصرية » ، ومختار الأغاني ٥ / ٣٠٤ وتجريده ١٩٨٧ ومهذبه ٢ / ٥٠ .

- (١ ، ٢ ، ٦ ، ٣) ، (٤ ، ٥ ، ٩ ، ٧ ، ٨) : الخزانة ٣ / ٥٥٥ . وذكر البغدادي أن الخمسة الأخيرة مما زاده بعضهم في هذه الأبيات .

- (١ ، ٣ ، ٢ ، ٧ ، ٨) التذكرة السعدية ١ / ١٥٥ .

- (١ ، ٢ ، ٦ بصدر آخر ، ٣) ، (صدر الرابع وعجز السادس ، ٥ ، ٩ ، ٢ مكرراً برواية أخرى ، ٧ ، ٨) : الاستيعاب ٤ / ١٨٥ « مصطفى محمد » ، ٤ / ١٧٤٩ « بجاوي » . وذكر ابن عبد البر أن الستة الأخيرة مما زاده بعضهم في هذه الأبيات .

- وفي الحماسة البصرية ١ / ٩ ثمانية أبيات ، اكتفى المحقق بذكر مطلعها محيلا القارىء على الديوان ، كعادته .

- ٣ -

الخبر والأبيات الخمسة في الأغاني ٢١ / ١٣٨ « ساسي » ، ١٨ / ٢٨٩ « ثقافة » ٢١ / ٧٢٢٤ « الشعب » ، ١٩ / ١ « الهيئة » . ومختار الأغاني ٥ / ٢٩٩ ومهذب الأغاني ٢ — ٤٧ .

- ٤ -

[illegible]صابة ٤ / ٣٧ ، « مصطفى محمد » .

[illegible] ٢ ، ٩) : فتــوح البلدان ٢٥٢ « ليدن » ، ٢٥٣ « رضوان » ، ٣٥٢ « طباع » ، [illegible] ٣٠ « منجد » .

[illegible] ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) : معجم البلدان « أليس » .

[illegible]بيات كلها : الأغاني ٢١ / ١٤١ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٦ « ثقافة » ، ٢١ / ٧٢٣٤ « الشعب » ١٩ / ٩ « الهيئة » ، مهذب الأغاني ٢ / ٤٩ .

(لم يرو في الديوان إلا الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٩) وزدت بقية الأبيات من بعض المصادر ، واضعاً إياها بين مربعين ، ومبيناً مصدر كل منها في موضعه):

- (١) : الأغاني (٢١ / ١٤٠ ساسي ، ١٨ / ٢٩٥ ثقافة ، ٢١ / ٧٢٣٢ الشعب ، ١٩ / ٨ الهيئة) ، والاستيعاب (٤ / ١٨٧ مصطفى محمد ، ٤ / ١٧٥٠ بجاوي) ، والإصابة (٧ / ١٧٠ شرفية ، ٤ / ١٧٣ مصطفى محمد) ، وحاشية الأمير على المغني ١ / ٣٠ . وصدره في الخزانة ٣ / ٥٥٤ (الموضع الثاني) .

- (١ ، ٢) : المصنف ٩ / ٢٤٣ وعيون الأخبار ١ / ١٨٧ وفتوح البلدان « ٢٦٠ ليدن ، ٢٦٠ رضوان ، ٢ / ٣١٩ منجد» ، والاستيعاب ٤ / ١٨٤ « مصطفى محمد » ، ٤ / ١٧٤٨ « بجاوي » ، وقطب السرور ١٢١ والحلة السيراء ٢ / ٣٢٨ ورياض النفوس ١ / ٢٧ ومعالم الإيمان ١ / ٥٤ والتوابين ١٣١ والعقد الثمين ٨ / ٩٧ وشرح شواهد المغني « ٣٧ البهية ، ١ / ١٠١ كرجان » .

- (١ ، ٢ ، ٣) : الطبري « ٤ / ١٣٩ الحسينية ، ٣ / ٥٧٥ الذخائر » ، والبداية والنهاية ٧ / ٤٤ ، وشرح قصيدة ابن عبدون ١٤٣ .

- (١ ، ٢ ، ٣ ، ٧) : طبقات ابن سلام ٢٢٥ = ١ / ٢٦٨ والشعر والشعراء « ١ / ٣٨٧ شاكر ط . أولى ، ١ / ٤٢٣ ط . ثانية ، ١ / ٣٣٦ بيروت » .

- (١ ، ٢ ، ٣ ، ٨) : مروج الذهب ٢ / ٣٢٢ « مصر » ، ٢ / ٣١٥ « بيروت » ، والطبري ٤ / ١٢٣ « الحسينية » ، ٣ / ٥٤٨ « الذخائر » ، وكامل ابن الأثير ٢ / ٣٣٠ « دار الكتاب » ، والتوابين ١٣٠ .

- (١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٨) : أسد الغابة ٥ / ٢٩١ « الوهبية » ، ٦ / ٢٧٦ « الشعب » .

- (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨) : الاستيعاب ٤ / ١٨٣ « مصطفى محمد » ، ٤ / ١٧٤٧ « بجاوي » ، والكشف عن مساوىء الخمر (اللوحة ٢٨ / ١ – ٢) ، والأغاني ٢١ / ١٣٩ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٢ « ثقافة » ، ٢١ / ٧٢٢٩ « الشعب » ١٩ / ٥ « الهيئة » وتجريد الأغاني « ق ٢ ج ٢ / ١٩٨٤ – ١٩٨٥ » ومختار الأغاني ٥ / ٣٠١ والخزانة ٣ / ٥٥٤ ومهذب الأغاني ٢ / ٤٨ .

وفي الحماسة البصرية سبعة أبيات ١ / ٢٠ رقم ٤٧ ، اكتفى المحقق بذكر أولها وأحال القارىء على الديوان ص ٦٨ (ليدن ١٣٠٤ هـ) إلا أن الديوان لا يتضمن إلا أربعة أبيات ، كما ذكرنا .

- ٩ -

— البيت « إن الكرام ... » : في الأغاني : ٢١ / ١٤١ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٦ « ثقافة » ، ٧٢٣٤/٢١ « الشعب » ، ١٩ / ٩ « الهيئة » :

- ١١ -

آ — البيت (٤) في العمدة ١ / ٣٠٢ وأنوار الربيع ٥ / ٢٣٢ وخزانة ابن حجة ١٨١ .

ب— والأبيات الأربعة في العقد ٦ / ٣٥٠ وقطب السرور ١٢٢ والحماسة البصرية ٢ / ٣٨٧ (ذكر المحقق البيتين الأولين وأحال الآخرين على الديوان ، كعادته) ومختار الأغاني ٥ / ٣٠٣ .

ج— ورويت الأبيات في (الأغاني) ، ومهذبه ، في موضعين :

١ — في ترجمة الأقيشر الأسدي (١٠ / ٩٠ ساسي ، ١١ / ٢٧٣ دار الكتب ، ١١ / ٢٥٦ ثقافة) ، والمهذب ٢ / ٢١٧ : قالها في توبته من النبيذ . وعقب عليها أبو الفرج بقوله : « هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة في هذا الخبر : أن الأبيات للأقيشر ، ووجدتها في شعر أبي محجن الثقفي ، له ، لما تاب من الشراب » . والأقيشر شاعر كوفي خليع ، كان من المجاهرين بالفسوق وشرب الخمر ، ثم تاب . اتصل ببشر بن مروان ومدحه .

٢ — في ترجمة أبي محجن ، له : (٢١ / ١٤١ ساسي ، ١٨ / ٢٩٥ ثقافة ، ٢١ / ٧٢٣٣ الشعب ، ١٩ / ٨ الهيئة) . والمهذب ٢ / ٤٩ .

- ١٢ -

أ — لم يرو في نسخ الديوان إلا الأبيات الثلاثة الأولى .

ب— والخمسة ، بالترتيب المثبت ، في : تاريخ الطبري (٣ / ٥٤٩ الذخائر) ، والأغاني (٢١ / ١٤٠ ساسي ، ١٨ / ٢٩٣ — ٢٩٤ ثقافة ، ٢١ / ٧٢٣٠ الشعب ، ١٩ / ٦ الهيئة) ، وكامل ابن الأثير (٢ / ٣٣١ دار الكتاب) ، وتجريد الأغاني (ق ٢ ج ٢ : ١٩٨٥ — ١٩٨٦) ، ومختار الأغاني (٥ / ٣٠٢) ، ومهذب الأغاني (٢ / ٤٩) .

ج ـ والخمسة أيضاً ، بتقديم الرابع على الثالث ، في تاريخ الطبري (٤ / ١٢٤ الحسينية) ومروج الذهب (٢ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥ مصر ، ٢ / ٣١٦ بيروت) :

- ١٥ -

الأولان فحسب في ديوان سحيم ٦٢ ، بتقديم الثاني على الأول ، من قصيدة له يتغزل في بجاريتيه ، ويصف فراقهما .

- ١٦ -

(١) : الأغاني (٢١ / ١٤٣ ساسي ، ١٨ / ٣٠٠ ثقافة ، ٢١ / ٧٢٤٠ الشعب ، ١٩ / ٣: الهيئة المصرية) ، وجمهرة الأنساب (٢٥٧ بروفنسال ، ٢٦٨ ذخائر) ، واللسان (كرم) ومختار الأغاني ٥ / ٣٠٦ .

وصدره في الاستيعاب (٤ / ١٨٦ مصطفى محمد - ٤ / ١٧٥٠ بجاوي) والكشف عن مساوىء الخمر (في موضعين : اللوحة ٢٩ / ١ واللوحة ٢٩ / ٢) ، والفائق ٣ / ١٤٥ وتجريـــد الأغاني ق ٢ ، ج ٢ : ١٩٨٧ (في موضعين من الصفحة) ، والبرهان للزركشي ٤/٢٠٠ وتفسير القرطبي ٣ / ٥٧ ومختار الأغاني ٥/٣٠٤ وشرح شواهد المغني للسيوطي (٣٨ البهية = ١ / ١٠٣ كوجان) والخزانة ٣ / ٥٥٥ (في موضعين من الصفحة) ، والعقد الثمين ٨/٩٩ .

وجزء من صدره : (إذا متّ فادفني) : في حياة الحيوان ٢ / ٥٦٩ وشرح شواهد المغني للسيوطي (٣٨ البهية - ١ / ١٠٢ كوجان) :

(٢): معاني القرآن ١ / ٢٦٥ بلا نسبة ، وتفسير البحر المحيط ٣ / ٢٤١ ، لأبي محجن ، والمغني ١ / ٢٩ (أمير) ، وشرح الكافية ٢ / ٢٣٣ بلا نسبة فيهما .

وعجزه في همع الهوامع ٢ / ٢ وشرح الأشموني ٣ / ٢٨٣ (بحاشية الصبان ، ومعه شرح الشواهد للعيني) بلا نسبة ، وبحاشية الصبان فقط ٣ / ٢٣٩ ، وفي شرح أبيات المغ للبغدادي (١ / ١٣٩ المطبوع) وفي المخطوط : اللوح ٣٩ .

(١ – ٢) : هذان البيتان هما أشهر شعر أبي محجن على الإطلاق ، لذا تعددت مصادرهما :
معاني القرآن ١٤٦/١ والتذكرة السعدية ٤٩٩/١ بلا نسبة فيهما . والأشربة ٣٤ ، وعيون الأخبار ١ / ٣٨ ، والشعر والشعراء (١ / ٣٨٨ شاكر ط. أولى ، ١ / ٤٢٤ ط . ثانية ، ١ / ٣٣٧ بيروت) ، والعقد الفريد ٦ / ٣٥٠ ، والمروج (٢ / ٣٢٥ مصر ، ٢ / ٣١٦ بيروت) .

— والأغاني (٢١ / ١٣٧ ، ١٤٢ ساسي ، ١٨ / ٢٨٨ ، ٢٩٧ – ٢٩٨ ثقافة ، ٢٠ / ٧٢٢١ ، و ٢١ / ٧٢٣٦ الشعب ، ١٨ / ٧٣٤ و ١٩ / ١٠ الهيئة) .

— وشرح ديوان أبي محجن ١٧١ عرضاً ، والبصائر والذخائر (مج ٢ ، ق ٢ : ٣١٠) .

— والأزهية ٦١ ، وقطب السرور ١٢٢ ، ١٨٣ والصاهل والشاحج ٣٣٨ ، وذيل زهر الآداب ٦٨ ، (وجمع الجواهر ٨٤) ، والاستيعاب (٤ / ١٨٥ مصطفى محمد = ٤ / ١٧٤٩ بجاوي) ، ومحاضرات الأدباء ١ / ٦٧١ ، والكشف عن مساوىء الخمر : الورقة ٢٩ / ١ ، وأمالي ابن الشجري ١ / ٢٥٣ ومجلة المورد (ما لم ينشر من الأمالي الشجرية) مج ٣ ، ع ١ ، ص ١٩١ وكامل ابن الأثير ٢ / ٣٣١ (دار الكتاب) ، ومجمع البيان ٢ – ٣٢٨ بلا نسبة ، وشرح المقامات للشريشي ٢ / ٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ٣ / ٤٧٥ – ٤٧٦ ، وأسد الغابة (٥ / ٢٩١ الوهبية = ٦ / ٢٧٧ الشعب) ولسان العرب (فنع) ، ونهاية الأرب ٤ / ٩١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٧٣ ، وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦ وحياة الحيوان الكبرى ٢ / ٥٦٩ (المطية) ، والإصابة (٧ / ١٧١ الشرفية = ٤ / ١٧٤ – ١٧٥ مصطفى محمد) ، وشرح الشواهد للعيني (المطبوع مع حاشية الصبان على الاشموني) ٣ / ٢٨٣ ، والكشكول ١ / ٣٦١ ، وسبحة المرجان ١٦٧ ، وذيل ثمرات الأوراق للأحدب ٢٠٦ والدرر اللوامع ٢/٢ ، وحلبة الكميت ٩٦ وهما بلا نسبة في حاشية الخضري ٢ / ١١١ وشرح لامية العجم للصفدي ٢ / ١٨٨ ط. بيروت .

(١ – ٢ – ٣) : الطبري (٤ / ١٢٤ الحسينية = ٣ / ٥٤٩ ذخائر) ، والأغاني (٢١ / ١٤٠ ساسي ، ١٨ / ٢٩٤ ثقافة ، ٢١ – ٧٢٣١ الشعب ، ١٩ / ٧ الهيئة) ، ومعجم البلدان (الحص) وتجريد الأغاني (ق ٢ ، ج ٢ : ١٩٨٦) والمختار ٥ / ٣٠٢ والمهذب ٢ / ٤٩ .

(١ ، ٤ ، ٥) : حاشية الأمير على المغني ١ / ٢٩ ومنتهى أمل الأريب ، الورقة ٤٢ / أ .

(١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) : العيني ٤ / ٣٨١ (هامش الخزانة) ، وشرح الشواهد للسيوطي (٣٧ البهية = ١ / ١٠١ كوجان) .

(١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩) : شرح الشواهد للبغدادي (اللوح ٣٩ – ٤٠ من المخطوط ، و ١ / ١٣٨ – ١٤٢ من المطبوع) وللبيت الثاني فيه روايتان ١٣٨ ، ١٤١ .

– والأبيات – عدا الثالث – في الخزانة ٣ / ٥٥٠ – ٥٥٢ .

– وفي الحماسة البصرية (٢ – ٣٨٩) أربعة أبيات ، اكتفى المحقق بإيراد الأول منها وأحال الباقي على الديوان ولم يعين أي الأبيات وردت في الحماسة .

- ١٧ -

– المؤتلف والمختلف ٩٥ « كرنكو » ، ١٣٣ « فراج » ، وعنه الخزانة ٣ / ٥٥٦ . قال البغدادي « وهذا الشعر لم يروه ابن الأعرابي وابن السكيت في ديوانه ».

– والأبيات (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) في الأنوار ٧٧ لبعض العرب .

– والأبيات (٢ ، ٤ ، ٣ ، ٨) في الحماسة الشجرية ١ / ١٧٤ « دمشق » مع بيتين آخرين ختم بهما القطعة ، وهما :

لما رأونا لا نشتكي ألمـــاً ، نمضي إليهم قُدُماً ، ولم نهَبِ

ولّوا سراعاً، من بعدما صبروا يوماً طويلاً ، للنّهب والسّلَبِ

وقد نسبها ابن الشجري سهواً إلى « حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي » وهو والد أبي محجن ، أو أن الناسخ أسقط اسم الشاعر .

- ١٨ -

– بهجة المجالس ١ / ١٧٧ والآداب الشرعية ٣ / ٢٩٥ .

– وروضة العقلاء ١٥٩ ، والأرج « بتقديم الثاني على الأول » ١٦٣ ، بلا نسبة فيهما .

– والأول في التمثيل والمحاضرة ١٠ والفرج بعد الشدة ١٦٤ « خانجي » و ٢ / ٢٣٤ « شالجي »، والأرج ١٧٠ ونثر النظم ٧٠ بلا نسبة فيها جميعاً .

– والثالث في المخلاة ٢٥٢ بلا نسبة .

– والأول والثالث في الفرج بعد الشدة ١ / ٢٩٧ ، ٤ / ١١٩ « شالجي » بلا نسبة . وفي الأرج ١٧٩ « لأبي الحسن الثقفي »، وهو محرف عن « أبي محجن الثقفي » .

والأبيات في الفرج بعد الشدة ، بلا نسبة :

١ - خمسة في طبعة الخانجي ٤٥٥ باختلاف في الترتيب، وزاد الناشر فيها بين قوسين بيتين آخرين من كتابي الأرج وحل العقال ، كما قال . ولعلها ملفقة من قطعتين ، أو أن الأمر غمّ على راويها ، لتشابه الموضوع . وهذه هي الأبيات كاملة (١):

إذا اشتد عسر فارج يسراً فإنـــــه	قضى الله(٢) أن العسر يتبعه يسر
عسى ما ترى ألا يدوم وأن تـــرى	له فرجاً يوماً يجيء به العســـر
(إذا ما ألمّت شدة فاصطبر لهـــا	فخير سلاح المرء ، في الشدة، الصبر
وإني لأستحيي مـــن الله أن أرى	إلى غيره أشكو ، وإن مسّني الضرّ)
عسى فرج يأتي به الله إنـــــه	له ، كل يوم ، في خليقته أمـــر
فكن عند ما يأتي به الدهر حازمـاً	صبوراً ، فإن الخير مفتاحه الصبر
فكم من هموم بعد طولٍ تكشفت	وآخرُ معسور الأمور له يُســـر

٢ - وأربعة منها فقط في طبعة الشالجي ٥٦/٥، هي : ١ ، ٥ ، ٦ ، ٧ . ورواية الثالث: « فإن الحزم .. » .

والأبيات ، بتقديم الثالث على الثاني ، في حل العقال ١٢٧ مضمّنة في قطعة لابن النجار خماسية الأبيات . أولها :

إذا ما ألمّتْ شدّةٌ فاصطبرْ لها	فخيرُ سلاح المرء في الشدة الصبرُ

وآخرها :

وإني لأستحـــيي مـــن الله أن أرى	إلى غيره أشكو ، وإن مسّني الضرّ

- ١٩ -

الشعر والشعراء ٣٣٧ «بيروت» ، ١/ ٤٢٤ «شاكر ، ط ٢» .

---

(١) نقل الناشر في الهامش عن كتاب الأرج أن الأبيات لأبي علي محمد بن محمد بن الشاطر الأنباري . ولكن الأبيات بلا نسبة في « الأرج » .

(٢) في ط . الخانجي : « فان قضاه الله » تحريف ، وما أثبتناه هو الصواب .

- ٢٠ -

- العثمانية ١١١ . والأول مكرر فيه ص ١٢٥ .
- والثلاثة في الاستيعاب ٣ / ٩٦٥ « بجاوي » ، وشرح نهج البلاغة ١ / ٤٩٦ ، والشذرات « بتقديم الثالث على الثاني فيه » : ١ / ٢٤
- والأولان في أسد الغابة ٣ / ٣١٠ « الشعب » .

- ٢١ -

- الأغاني ٢١ / ١٣٨ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩١ « ثقافة » ، ٢١ / ٧٢٢٦ « الشعب » ، ١٩ / ٣ « الهيئة » ، ومهذب الأغاني ٢ / ٤٨ .

- ٢٢ -

الأشباه والنظائر ١ / ١٥

- ٢٣ -

- السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ١٣٨ « محي الدين » ، ٢ / ٤٩١ « السقا » ، ٧ / ٢٤٥ « الوكيل » مع الروض الأنف » .

والأبيات ، مع خبرها ، في المغازي ٣ / ٩٥٥ والطبري ٣/ ٨٩ «ذخائر» ونهاية الأرب ٣٤٥/١٧.

- والأول وحده في الروض الأنف ٧ / ٢٨٥ « الوكيل » .

- ٢٤ -

المغازي ٣ / ٩٣٥ . وقد أبهم أمر الرجز على المحقق فجاء في سياق النثر ، بلا تمييز بينهما .

- ٢٥ -

هذه الأبيات يتنازع نسبتها ثلاثة شعراء :

آ ـ أبو محجن الثقفي :

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) : البيان والتبيين ٣ / ٣٣٨ .
(١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) : الأشباه والنظائر ٢٢١/٢ .

ب ـ نَضْلة السلَميّ :

نسبة إلى سُلَيم بن منصور ، شاعر جاهلي ، ذو نجدة وبأس وكان حقيراً دميماً . وقد قال الأبيات في يوم غَوْل الذي كان لبني ضبة على بني كلاب . (الكامل ، ورغبة الآمل ٢ / ٢١ والبصرية ١ / ٦٧) .

- (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣) : الكامل ١ / ٨٠ « شاكر » ، ومع رغبة الآمل ٢ / ٢١ ، والعقد ٢٤٢/٥ ، والبصرية ٦٧/١ .
- (٢ ـ ٣) : اللسان « فصح » .
- والأبيات (١ ، ٢ ، ٣) في مجموعة المعاني ١٥٥ : لنضلة السَهْمي : وهي أيضاً في مجمع الأمثال ١٠٣/١ ، ٤١٤ : لنضلة (بلا ذكر لنسبته) .
- والأبيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣) في مجالس ثعلب ١ / ٧ ـ ٨ وعنه البصائر والذخائر ٤ / ٢١١ : لرجل من بني سُليم ، في خبرٍ ذكراه .

ج ـ شاعرٌ لم يسم :

(٢) : نقد الشعر ١٨٨ ونسبه إلى « بعضهم في ابنٍ له ازدراه رجال فمنعهم من نَعَمه فأغاروا عليها » .

(٣) : شرح أدب الكاتب ١٠٣ .
(٢-٣) : مجمع البيان ٥ / ١٥٦ .
(١ ، ٢ ، ٣) : محاضرات الأدباء ١ / ٢٧٩ .
(١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) : الأشباه والنظائر ١ / ١١٤ لأعرابي .

ونرجّح أن الأبيات لنضلة ، لبعد مضمونها عما عرفناه من سيرة أبي محجن وحياته .

- ٢٦ -

آ - لأبي محجن الثقفي :

الأربعة في الأغاني ٢١ / ١٤٢ « ساسي » ، ١٨ / ٢٩٩ « ثقافة » ، ١٩ / ١٢ « الهيئة » ، ٢١ / ٧٢٣٨ « الشعب » . وتجريد الأغاني ١٩٨٣ ومختاره ٥ / ٣٠٥ ومهذبه ٢ / ٥١ .
وهي - عدا الثاني - في الوحشيات ١٩٢

ب - لأبي الزهراء القشيري :

(صحابي ، شهد فتح دمشق) - الإصابة ٤ / ٨١ .
الأبيات - عدا الثاني - في تاريخ الطبري ٤/٩٧ - ٩٨ « ذخائر » والبداية والنهاية ٧ / ٩٣ ، في حوادث سنة١٨هـ . والثاني والرابع في الإصابة ٤ / ٨١ .

وقد قال الأبيات حين حدّ أبو عبيدة بعض الصحابة في الخمر بدمشق في غزو الروم لعهد عمر سنة ١٨ هـ .

ج - لذي الكلاع الحميري :

(مخضرم ، اسلم ولم ير النبي (ص) ، وله مع عمر أخبار . قتل بصفين وهو في جيش معاوية) .

البيت الرابع فقط في الإصابة ١ / ٤٨١ مع آخر بعده وهو :

فلا تجلدوهم واجلدوها فإنهـــــا هي العيش للباقي ومن في المقابـــر

والثالث والرابع في تهذيب تاريخ دمشق ٥ / ٢٧٢ مع البيت الزائد : « فلا تجلدوهم . . »

وقد قال الشعر حين كثر شرب الناس الخمر في خلافة عمر ، فكتب إلى عامله أن يأمر بطبخ كل عصير بالشام حتّى يذهب ثلثاه .

د ـ بلا نسبة :

في الأشربة ٧٢ والكشف ١١٤ / ١ وشرح الشريشي ٢ / ٢٣ . وفيها أن صاحب الأبيات قالها حين منع عمر أهل الشام شرب الخمر .

- ٢٧ -

أ ـ لأبي محجن : في كتاب سيبويه ١ / ٢١٢ ، ٣٥٠ « بولاق » ، ١ / ٤٢٧ ، و ٢ / ٢٨٦ « هارون » ، وشرح القصائد التسع ١٢٧ ، ٥٠٣ ، ٥٢٢ ، وشرح المفصل ٢ / ١٢٦ وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١ / ٣٧٦ .

ب ـ وبلا نسبة : في المقتضب ٤ / ٢٨٩ ، وشرح المعلقات للنحاس ٨٤ / أ وشرح أبيات سيبويه للنحاس ١٦٧ ، والقصائد العشر للتبريزي ٢٩٠ وشرح المقصورة ١٧٣ ورصف المباني ١٩٠ . وصدره في المفصل ٢ / ١٢٥ (بشرح ابن يعيش) .

ج ـ والبيت ، مع آخر ، لغيلان بن سلمة الثقفي (ترجمته ص ٤٧ ، ١٩٦) في : الأغاني ١٢/٤٦ « مصورة بولاق » ، ١٢ / ٤٤ « ساسي » ، ١٣ / ٢٠٤ « ثقافة » ، ١٣ / ٢٠٣ « مصورة دار الكتب » وفرحة الأديب ١٨٨ ، ومختار الأغاني ٦ / ٤٩ ومهذبه ٢ / ٤٦ وهو الراجح المقبول . وفي هذين البيتين يهدد غيلان امرأته حين ملّته وتجنّت عليه لهرمه وكثرة أسفاره ، فأنكر أخلاقها وقال فيها :

يا رُبَّ مثلِكِ في النساء غريـــرةٍ ... بيضاءَ ، قد صبّحتها بطـــلاقِ

لم تدرِ ما تحتَ الضلوع وغرَّهـــا ... مني تحمُّل عِشرتي وخَلاقـــي

- ٢٨ -

آ ـ لأبي محجن :

البيت الأول : مختار الأغاني ٥/٢٩٩ والإصابة ٧/١٧١ « شرفية » ، ٤/١٧٤ « مصطفى محمد » . والبيت الثاني : شرح ديوان ابن أبي حُصينة ٢ / ١٠٩ وخمس رسائل لأبي العلاء ١١ / ٢ ، « مصورة المجمع » ورسالة الملائكة ١٧ « الجندي » ، ١١ « الميمني » ، وشرح ديوان أبي تمام ٤ / ٤٢٧ واللسان (فوم) والإتقان ١ / ١٢٢ والتاج (فوم) وسؤالات نافع بن الأزرق ١٤ .

والبيتان معاً : الأغاني ٢١ / ١٣٨ «ساسي» ، ١٨ / ٢٩٠ «ثقافة» ، ٢١ / ٧٢٢٥ «الشعب» ١٩ / ٢ (الهيئة المصرية) .

ب ـ لأحَيحة بن الجُلاح :

(شاعر جاهلي قديم ، من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد قومه الأوس ومن الأثرياء المعدودين في يثرب) : الخزانة ٢ / ٢٣ بولاق .

روي له البيت الثاني فقط في : تفسير الطبري ١ / ٢٤٧ ومجمع البيان ١ / ١٢٢ وتفسير القرطبي ١ / ٤٢٥ (في موضعين) وتفسير البحر المحيط ١ / ٢١٩ وتفسير ابن كثير ١ / ١٠١ والروض الأنف ٢ / ٤٥ «جمالية» ، ٤ ـ ٤٣٥ «الوكيل» . قال السهيلي : «وقيل : هو لأبي محجن الثقفي» .

ج ـ بلا نسبة :

البيت الثاني فقط في : المحتسب ١ / ٨٨ والصحاح (فوم) وتفسير الشوكاني ١ / ٩١ .

ونحن نرجح أن البيتين لأبي محجن ، لأن سيرته تصدّق ذلك من جهة ، ولقوة المصادر التي نسبتها إليه من جهة أخرى .

- ٢٩ -

الكشف عن مساوىء الخمر ١/٣٠ . وقد اعتمدنا روايته لأنها أوفى الروايات التي عزت الأبيات إلى أبي محجن . وهذه الأبيات يتنازع نسبتها أربعة شعراء ، هم :

آ ـ أبو محجن :

نسبت إليه الأبيات الثلاثة في الكشف عن مساوىء الخمر (١/٣٠) ثم (٥/٢) . كما نسب إليه البيتان الأولان في الأغاني ٢١ / ١٤١ «ساسي» ، ١٨ / ٢٩٧ «ثقافة» ، ٢١/٧٢٣٦ «الشعب» ، ١٩ / ١٠ «الهيئة» . والاستيعاب ٤ / ١٨٥ «مصطفى» ، ٤/١٧٤٩ «بجاوي» وذكر أنها تنسب أيضاً إلى قيس بن عاصم . والمثل السائر ٢٠٧ «البهية» ، ٢ / ١١١ «محيي الدين» ، ٢ / ٣٢٨ «الحوفي» ، وتجريد الأغاني ١٩٨٦ ، والإصابة ٤ / ١٧٤ «مصطفى» ٧ / ١٧١ «الشرفية» ، ومهذب الأغاني ٢ / ٥٠ .

ب - قيس بن عاصم المِنقَري :

(من شعراء الصحابة وعقلائهم ، وهو ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية) . « الاستيعاب ١٢٩٤ بجاوي » :

- الأبيات الثلاثة : الأشربة ٢٦ ، وأوائل العسكري ٣٩ « وكيل » ، ١ / ٥٩ « الثقافة » والكشف عن مساوىء الخمر ٥ / ٢ .

- والأول والثاني : في البداية والنهاية ٨ / ٣١ .

- أربعة أبيات : الاستيعاب ٣ / ١٢٩٥ « بجاوي » وأسد الغابة ٤ / ٤٣٣ « الشعب » ، وتفسير القرطبي ٣ / ٥٦ . والرابع فيها هو :

فإنّ الخمر تَفضحُ شاربيهـــا ... وتجنيهم ، بهـــا ، الأمرَ العظيما

وزاد القرطبي أيضاً أن المفضل الضبي نسب الأبيات إلى أبي محجن .

- أربعة أبيات في المحبر : الأول ، وصدر الثاني مع عجز الثالث ، ثمّ بيتان آخران ، هما :

فإنّ الخمر تفضَح شاربيهـــا ... وتجنيهم بها الأمرَ العظيمـــا

إذا دارت حميّاها تعلّـــتْ ... طوالعُ تَسفَهَ المرءَ الحليمـــا

- خمسة أبيات : الأغاني ١٢ / ١٤٩ « ساسي » ، ١٢ / ١٥٥ « مصورة بولاق » ، ١٤ / ٧٩ « ثقافة » ، ١٤ / ٨٤ « مصورة دار الكتب » ، وتجريد الأغاني ١٥٥١ ، ومهذبه ٢ / ١٦٦ ونهاية الأرب ٤ / ٨٨ وقد وقع فيها جميعاً تبديل عجزي البيتين (٢ ، ٣) أحدهما مكان الآخر . والرابع والخامس هما بيتا المحبّر ، وروايتهما :

فإن الخمر تفضَح شاربيهـــا ... وتُجشِمهم بها أمراً عظيمـــا

إذا دارت حُميّـــاها تعلّـــت ... طوالعُ تَسفهَ الرجلَ الحليمـــا

وفي طبعة الثقافة من الأغاني : « أبداً عظيماً » .

- والبيت الأول مع آخرين في أدب النديم ص ٥ وهما :

لأن الخمرَ تفضح شاربيهـــا ... وتجنيهم بها الأمر العظيمـــا

إذا دبّت حميّاها تعلّـــت ... طوالعُ تسفهَ الرجلَ الحليمـــا

وقد قال قيس الأبيات في الجاهلية حين سكر يوماً فعبث بذات محرمٍ منه ، ثم علم بذلك حين صحا ، فحرم الخمر على نفسه ، وقال ذلك الشعر .

ج - صفوان بن أمية بن محرِّث الكناني :

(وهو ممن حرّم الخمر في الجاهلية أيضاً) :

- البيتان ١ ، ٢ في أمالي القالي ١ / ٢٠٢ والسمط ١ / ٤٨٨ .

- وفي قطب السرور ٤٢٠ أربعة أبيات ، ثلاثتها الأولى هي أبيات الديوان (١ ، ٢ ، ٤) والرابع هو :

إذا دبت حميّاها تبدّت ... طوالعُ تفضح الرجلَ الحليما

د - عيسى بن عامر : (لم أعثر على ترجمته)

نسبت إليه الأبيات الثلاثة في : سدرة الأدب ١٠١

هـ - والأبيات الثلاثة بلا نسبة في تفسير الشوكاني ١ / ٢٢١ .

وأنت ترى أنه يصعب الفصل في نسبة هذه الأبيات .

- ٣٠ -

سبق ذكر البيت مع آخر قبله ، في القطعة ٢٨ ، وإنما أفردناه هنا ، لتغير قافيته . وهذا البيت يَرِد في كثير من كتب التفسير واللغة ، وفي المعجمات (مادة : فوم) للإشارة إلى أن «الفوم» لغة في «الثوم» عند بعضهم ، وأن الفاء قد تبدل من الثاء ، أو أن الفوم هو الحنطة ، أو السنبل ، أو الخبز ، أو الحبوب التي تؤكل أو تخبز . ومن ثم جاءت قافية البيت في تلك الكتب : «فومِ» .



اختلاف الروايات

- ١ -

(١): الوحشيات : « عن مجدي وعن خلقي » – العيون : « القوم مالي وما حسبي ... ما حزمي وما خلقي » – الشعر والشعراء : « لا تسأل الناس ما مالي .. وسائل .. ما حزمي وما » – العقد : « وسائلي الناس عن بأسي » – الأغاني (ساسي) : « لا تسأل .. وسائلي الناس ما فعلي وما » – الأغاني (ثقافة ، الشعب ، الهيئة) ، وتجريده ، ومهذبه : « الناس ما فعلي وما » ، وتوافقها رواية مختار الأغاني ، لكن فيه : " لا تسألي اليوم " .

وفي البصائر : « لا تسألي القوم ... ما ديني وما خلقي » – جمهرة الأمثال : « لا تسأل .. ما مالي .. وسائل .. عن مجدي » – ذيل زهر الآداب ، وجمع الجواهر : « لا تسألي القوم ... عن بأسي » – قطب السرور : « ما مالي الناس ما حزمي وما خلقي » الحماسة البصرية : « وسائلي الناس عن فعلي » – حماسة ابن الشجري (في الطبعتين) : « ما فعلي وما خلقي » ، وفي طبعة دمشق : « لا تسألي القوم » . وذكر في حاشية طبعة حيدر آباد أن في نسخة : « القوم » .

وفي الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والكشف عن مساوىء الخمر ، والإصابة ، والخزانة : «لا تسأل.. وسائل الناس عن حزمي » ، وفي شرح شواهد المغني : « وسائلي الناس عن حزمي .. » – وفي الكشكول وذيل ثمرات الأوراق : « لا تسأل ... ما مالي .. وسائل الناس ما جودي وما .. » .

وفي التذكرة السعدية : « لا تسألي القوم .. ما نفعي وما خلقي » .

(٢): في الوحشيات ، وجمهرة الأمثال ، وطبعتي الحماسة الشجرية : « قد يعلم القوم أني » – وفي الاستيعاب (مصطفى محمد) والإصابة : « اليوم أعلم أني .. إذا تطيش يد .. » .

وفي الاستيعاب (بجاوي) ، والشعراء ، وأسد الغابة ، والعيون ، وقطب السرور ، وذيل زهر الآداب (في الطبعتين) ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وشرح شواهد المغني : « القوم أعلم أني ... إذا تطيش يد .. » ، لكن في شرح الشواهد : « الرعديد » بدل « الرعديدة » ، وهو خطأ .

وكرر البيت في الاستيعاب برواية أخرى ، من أبيات زادها بعضهم ، وهي : « واليوم أعلم أني ... الفرق » ، (ط . مصطفى محمد) وهي كذلك في طبعة البجاوي لكن فيها : « والقوم أعلم » وذكر المحقق البجاوي أن في إحدى النسخ : « القوم أعلم » و « بصر الرعديد للشفق ».

وفي الأغاني (ثقافة) : « والقوم أعلم أني .. الرعديد للشفق » . وفي الأغاني (ساسي ، الشعب ، الهيئة) ، وتجريده ، ومهذبه : « والقوم أعلم أني ... الرعديدة الشفق » . وقال محقق طبعة دار الشعب : « كذا في أكثر الأصول » ولم يذكر ما في بقية الأصول .

وفي مختار الأغاني : « والقوم تعلم أني .. الرعديد للشفق » – وفي البصائر والذخائر : « هل يعلم القوم أني ... إذا تطيش يد .. » – وفي الخزانة : « أني من سراتهم إذا تطيش » – وفي الكشكول : «ويعلم الناس أني .. إذا أمسّ بضرّ عدة الفرق » – وفي ذيل الثمرات : «ويعلم الناس أني ... الرعديد بالفرق».

وفي شرح ديوان صريع الغواني :

ويعلم القوم أني من سراتهم إذا سما البطل الرعديدة الفرق

وفي التذكرة السعدية : « القوم أعلم أني من خيارهم » .

(٣): الوحشيات ، والعيون ، والاستيعاب ، والأغاني ، والبصائر ، وحماسة ابن الشجري ، وأسد الغابة ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وقطب السرور ، وذيل زهر الآداب ، وتجريد الأغاني ، ومهذبه ، والتذكرة السعدية : « حصنته » بدل « نحلته » .

وفي نسخة من الأغاني (كما ذكر محقق طبعة دار الشعب) ، ومختار الأغاني : « أمام الروع حصنته » .

وفي الإصابة :

آ – المطبعة الشرفية : « حصنته ، وحامل الرمح أرويه من العنق » .

ب – طبعة مصطفى محمد : « حصنته ، وحامل الرمح أرديه من العلق » .

وفي الخزانة : « حصنته وعاسل » تحريف ، وفي الكشكول : « أعطي الحسام غداة البين حصنته » ، وفي ذيل ثمرات الأوراق : « أعطي الحسام غداة الروع حصنته » .

(٤): ابن الشجري : « بالأفواه والفهق » – الأساس : « بالأزباد » – اللسان : « بالإرباد » تصحيف – الخزانة : « النجلاء قد علموا .. بالأزياد » .

وعجزه في مجمع الأمثال ، وذيل زهر الآداب ، وذيل الثمرات ، وتجريد الأغاني ، والكشكول ، ونسخة من فصل المقال (كما ذكر محققه) : « وأكتم السر فيه ضربة العنق » . وهو عجز البيت السادس ، كما سيأتي .

وعجزه في الأغاني (الساسي ، الثقافة ، الشعب ، الهيئة) ومختاره ، ومهذبه : « وأحفظ السر فيه ضربة العنق » .

وفي الاستيعاب : « .. النجلاء لو علموا وأحفظ السر فيه ضربة العنق » . وذكر المحقق البجاوي أن الرواية في إحدى نسخ الاستيعاب :

قد أطعن الطعنة النجلاء قد علموا وأكتم السر فيه ضربة العنق

وفي العقد الفريد ، وعنه صبح الأعشى :

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنق

(٥): الوحشيات : « شديد الغيظ » – الأغاني (الساسي ، الثقافة ، الشعب) : « عف المطالب ... فإن » – الأغاني (الهيئة المصرية) ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والكشف عن مساوىء الخمر ، ومختار الأغاني ،

والخزانة : « عف المطالب » . وقال محقق مختار الأغاني : « في الأصل : قائله » . أي بدل « نائله » .

البصائر والذخائر : « شديد الظلم » – حماسة ابن الشجري (في الطبعتين) : « عف المطامع » وفي طبعة دمشق : « شديد الحمق والحنق » – تجريد الأغاني: « عف المطالب عما لست طالبه » – الإصابة: « عن المطالب .. وان طلبت » ، تحريف .

وفي مهذب الأغاني : « عف المطالب .. فإن ... والحمق » .

(٦): البصائر : « وأكشف المأقط المكروه غمته » – وصدره في الشعراء ، والعيون ، والاستيعاب ، وقطب السرور ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وأسد الغابة ، والإصابة ، وشرح الشواهد ، والخزانة: « قد أركب الهول مسدولا عساكره » – وفي بهجة المجالس : « قد أركب الهول مسدولا ستائره » – .

وصدره في : الوحشيات ، وشرح المفضليات للأنباري ، والفائق ، والنهاية ، وفصل المقال ، واللسان ، والتاج (فنع) والمحكم ٢ / ١٣٤ والحيوان ٥ / ١٨٢ : « وقد أجود وما مالي بذي فنع » وفي اللسان والتاج (فنأ) : « وقد أجود وما مالي بذي فنأ » – وفي اللسان والتاج (فجر) : « فقد أجود وما مالي بذي فجر » وكلها بمعنى – وفي تهذيب الألفاظ ومختصره وحياة الحيوان الكبرى : « وقد أجود وما مالي بذي قنع » .

هذا وقد سبقت الاشارة – في روايات البيت الرابع – إلى تلفيق بعض المصادر والمراجع بين صدر الرابع وعجز السادس :

وأطعن الطعنة النجلاء عـــــن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنـــــــق

(٧): الأغاني (ساسي ، ثقافة ، الهيئة العامة) ، وتجريده ، والاستيعاب (بجاوي) ، وأسد الغابة ، والكشف عن مساوىء الخمر ، ومهذب الأغاني : « قد يعسر المرء حيناً ، وهو ذو كرم » .

– الإصابة : « قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم وقد يسوم ... » .

– الأغاني (دار الشعب) ، والاستيعاب (مصطفى محمد :) :

« قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم وقد تثوب ... » .

وذكر محقق الأغاني (ط . الشعب) أن « سوام » هي في نسخة واحدة ، وأنها في سائر الأصول : « ثواب » .

– مختار الأغاني : « قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم وقد يثوب ثواب ... » .

– شرح شواهد المغني :

قد يعسر المرء حيناً وهو ذو كرم وقد يثوب الغنى للعاجز الحمق

(٨): الوحشيات : « قد يقتر المرء يوماً بعد كثرته ... بعد اليبس ... » .

– حماسة البحتري : « الغصن بعد اليبس » ونسبه البحتري إلى حارثة بن بدر ، وذكر قبله بيتاً آخر وهو :

إن الأمور لهـــــا رب يدبرهـــــا في الخلق ما بين تجميـــع ومفـــترق

- ابن الشجري : « بعد اليبس » .
- طبعات الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، وشرح شواهد المغني :
« سيكثر المال يوماً ... بعد اليبس ... » .
- مختار الأغاني : « سيكثر المال حيناً ... بعد اليبس ... » .
- التذكرة السعدية : « ويكثر المال .. ويكتسي الغصن بعد اليبس بالورق » .
- المخلاة : « ويكسى العود بعد اليبس بالورق » وصوابه : يكتسي .
- الخزانة : « ويكثر المال يوماً ... » .

(٩): آ – الأغاني (ثقافة) : « المحجر الفرق » – الأغاني (ساسي ، الهيئة) ، وابن الشجري ، ومهذب الأغاني : « المحجر البرق » . وذكر محقق طبعة الهيئة المصرية أن في نسختين : « المحجر الفرق » .

وفي الأغاني (الشعب) : « المجحر البرق » ، وذكر محققه أن في ثلاث نسخ : « قنع » بالقاف ، كما ذكر أن رواية : " المجحر البرق " هي كذلك في أكثر الأصول ، وأن في نسخة : " المحجم " بدل " المجحر " ، وفي ثلاث نسخ : " الفرق " بدل " البرق " .

وفي مختار الأغاني : « بني قنع .. المحجم الفرق » – وفي تجريده : « قد أجود .. قنع ... المحجم الفرق » – وفي الخزانة : « بني قنع .. المحجر البرق » ، والقنع : مصدر قنع ، كالقناعة ، بمعنى الرضا .

وفي أسد الغابة (الشعب) والاستيعاب (بجاوي) : « بني فنع .. المجحر » ، وقال محققا أسد الغابة : « في المصورة والمطبوعة : قنع ، بالقاف » . كما ذكر محقق الاستيعاب أن في نسخة : « قنع » . وفي أسد الغابة (الوهبية) والاستيعاب (مصطفى) : « بني قنع .. المحجر الفرق » .
- وفي نسخة من شرح اختيارات المفضل : « بني قنع » وذكر المحقق أنها كذلك في مخطوطة شرح المرزوقي على المفضليات .

وفي تهذيب الألفاظ ، وحياة الحيوان :

« ... بني قنع   وأكتم السر فيه ضربة العنق » .

لكن في اللسان والتاج (فنأ) : « مال ذو فنأ : أي كثرة ، كفنع . قال : وأرى الهمزة بدلا من العين . وأنشد أبو العلاء بيت أبي محجن الثقفي :

وقد أجود وما مالي بني فنـــــأ   وأكتم السر فيه ضربة العنـــــق

ورواية يعقوب في الألفاظ : بني فنع » .

فعلى ما ذكره صاحب اللسان هنا ، يكون في طبعة تهذيب الألفاظ « قنع » تصحيف ، صوابه : فنع .

وفي اللسان والتاج (فنع) : « بني فنع   وأكتم السر فيه ضربة العنق » .

قال ابن منظور : « وروى ابن بري عجز هذا البيت : (وقد أكر وراء المجحر الفرق) وقال : وقد روي عجزه على ما قدمناه » . يريد : وأكتم السر .. إلخ .

ب - وذكر محقق فصل المقال ٥٦ أن صدر البيت في نسخة : « وأطعن الطعنة النجلاء من عرض » .

ج - وروي البيت في المقاييس « فنع » هكذا :

وقد أجود وما مالي بذي فنـــــع على الصديق ، وما خيري بممنـــون

وهو هنا ملفق من بيتين ، فصدره لأبي محجن ، وعجزه لذي الإصبع العدواني من المفضلية ٣١ وروايته :

إني لعمرك ما بابي بذي غلـــق عن الصديق ، ولا خيري بممنـــون

د - وقد مر تخريج القصيدة ، وفي روايات البيت السادس ، الإشارة إلى تلفيق صدر التاسع وعجز السادس في بيت واحد ، هو :

وقد أجود وما مالي بذي فنـــع وأكتم السر فيه ضربة العنـــق

مع خلاف يسير بين (فنع ، قنع ، فنأ ، فجر) .

- ٣ -

(١) مختار الأغاني : « نجاني وسلمني .... حبسا » . « بفتح الحاء والباء » وكذا ضبطه صاحب مهذب الأغاني . وقيد في الأغاني « الشعب » بنصب « البوصي » وبناء الفعل للمعلوم .

(٢) في طبعات الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه : « من يجشم البحر والبوصي مركبه » . جشم الأمر ، كسمع : تكلفه على مشقة ، كتجشمه .

(٤) الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه : أني ، « بفتح الهمزة » . وفي نسخة من الأغاني : ليلا « بدل « يوماً » . (هـ . الأغاني - ط . دار الشعب) .

(٥) في الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه : « أغشى الهياج » .

- ٤ -

(١) فتوح البلدان « منجد » : « تسرت » ، أي تكلفت الرفعة والفضل والعلو . وفي نسخة من الأغاني : « تصدت » . (عن هـ . ط . دار الشعب) .

(٢) فتوح البلدان : « نيل » . الأغاني « ثقافة » ونسخة من الأغاني (عن هامش ط . الهيئة) وثلاث نسخ أخر (عن هامش ط . دار الشعب) : « حلت » .

(٣) عجزه في طبعات الأغاني ، ومهذبه : « وقد كان ينشاها النمائب الأرامل » . وفي الإصابة : « به علياً بيوته ؛ وقد كان ينشاها ».

(٤) الأغاني « سامي » ، دار الشعب » ، ومهذبه : « وأضحت » . وفي طبعات الأغاني ومهذبه « إلى جانب ».

(٥) طبعات الأغاني : « لما أجل » .

(٦) طبعات الأغاني ، ومهذبه : « خرقوا بسلاحهم إهابي ».

(٧) في معجم البلدان : « مزبئرة من النبل يرمى » . وفي الأغاني (الهيئة) : « من النبل » بدل « لدى الفيل ». وذكر المحقق أن في نسخة : « لدى الفيل » ، وفي نسخة أخرى : « أرى الفيل » .

وفي الأغاني « الشعب » : « مزبئرة » ، وقال محققه : « في أكثر الأصول والديوان : مزورئرة» ومعنى مزبئرة : مقشعرة .

(٨) في نسخة من الأغاني : « أول » (عن هـ . ط . الشعب والهيئة) . وفي معجم البلدان : « وضرج حولي ». وفي نسخة من الأغاني : « وصرع نحوي » . (عن هـ . ط . الشعب).

(٩) الأغاني ، ومعجم البلدان ، ومهذب الأغاني : « فقلت ألا هل ». وفي نسختين من الأغاني : « فيكم اليوم » . (عن هـ . ط . الشعب).

(١٠) في بعض نسخ الأغاني : « وقربت هواجاً ». (هـ . ط . الشعب) . والدواج : ضرب من الثياب .

وفي معجم البلدان : « وكوراً وغرقة » . والغرقة : القليل من اللبن أو الشربة منه . ولا يبعد أن تكون محرفة في بيت أبي محجن ، إذا روعي ذكر الرواح والكور ، وشرح السكري النمرق.

وفي الأغاني (ثقافة) : « وغودر في الأبيات » . وفي هامش الأغاني (الهيئة) أنها كذلك في بعض النسخ .

وفي مهذب الأغاني : « بكر بن وائل » ؛ ففيه إقواء .



(١) طبقات ابن سلام : « أن تطرد .. وأترك » . تطرد : تدفع دفعاً شديداً حتى تنقلب منهزمة .

– المصنف ، وعيون الأخبار ، والاستيعاب (الموضع الثاني ١٤ / ١٨٤ مصطفى محمد ، ١٧٤٨/٤ بجاوي) والتوابين ١٣١ ، وشرح شواهد المغني ، والخزانة (في الموضع الأول) : « أن تلتفي ... وأترك » ، وفي حاشية عيون الأخبار أن في نسخة : « أن تطعن .. وأترك ».

– الشعر والشعراء : « وأترك » . وفي حاشية طبعتي شاكر أن في نسختين : (أن تطرد الخيل) .

– فتوح البلدان (عدا طبعتي ليدن والطباع) : « أن تدعس ... وأترك قد شدوا علي ». وفي طبعتي ليدن والطباع: «وبالقنا» مكان « بالقنا » .

– الطبري (في الموضعين من طبعتي الحسينية والذخائر) ، والأغاني (في الموضعين) ، وقطب السرور، ونسخة من الاستيعاب (٤ / ١٧٤٧ ، ١٧٥٠ بجاوي) ، وكامل ابن الأثير ، وأسد الغابة (الشعب)،

والكشف عن مساوىء الخمر ، وشرح قصيدة ابن عبدون ، وتجريد الأغاني، والتوابين ١٣٠ والعقد الثمين ٨ / ٩٧ : « أن تردي .. وأترك » .

ردى الفرس يردي : رجم الأرض بحوافره ، في سيره وعدوه . أو هو سير بين العدو والمشي .

– المروج ، وبعض النسخ الخطية للأغاني (عن حواشي طبعتي دار الشعب ٢١ / ٧٢٢٨ والهيئة ١٩ / ٥)، والاستيعاب (في الموضعين : الأول والثالث : ٤ / ١٨٣ ، ١٨٧ مصطفى محمد ، ٤ / ١٧٤٧ ، ١٧٥٠ بجاوي) وأسد الغابة (الوهبية) ، وكامل ابن الأثير (دار الكتاب) ، والحماسة البصرية ، ومختار الأغاني ، ومهذبه : « أن ترتدي ... وأترك ».

– وذكر محقق المروج (ط . مصر) أن ٧ في نسخة : « كفى حزناً أني أرى الخيل » ".

– رياض النفوس ، والحلة السيراء : « أن تقرع .. وأترك » . وكذا في طبعة معالم الإيمان . إلا أن مصححها ذكر أن الذي في الأصول : « تقنع » ، تحريف .

– البداية والنهاية : « أن تدحم الخيل بالفتى وأترك » .

– الإصابة (مصطفى محمد) : « أن ترتدي » .

– الإصابة (الشرفية) : « أن ترديني .. وأترك » ، تحريف في الفعل الأول .

– الخزانة (في الموضع الثاني من الصفحة نفسها) : « أن تردد » .

– حاشية الأمير على المغني : « تلتقي الخيل في الوغى وأترك » .

(٢) المصنف : « إذا شئت ... وغلقت مصاريع » . وفي العقد الثمين : « وغلقت » .

– طبقات ابن سلام « ط ١ » ، ومختار الأغاني : « مصاريع » .

– طبقات ابن سلام « ط ٢ »: « غناني .. وغلقت » . ويعني بغناء الحديد : صوته وصلصلته .

– عيون الأخبار : « إذا شئت غناني الحديد وغلقت مغاليق » .

– الشعر والشعراء : « وغلقت مغاليق » . والمغاليق : مفردها مغلاق ، وهو ما يغلق به الباب (المرتاج) .

– فتوح البلدان ، والأغاني ، وتجريده ، ومهذبه ، والتوابين ١٣١ : « وغلقت مصاريع » .

– الطبري (في الموضع الأول : ٤ / ١٢٣ حسينية – ٣ / ٥٤٨ ذخائر):
« مصاريع دوني قد تصم » . وفي كامل ابن الأثير (دار الكتاب) : « مصارع دوني قد تصم ».

– وفي الطبري أيضاً (الموضع الثاني ٤ / ١٣٩ حسينية = ٣ / ٥٧٥ ذخائر):
« مصاريع دوني لا تجيب المناديا » .

– مروج الذهب : فأغلقت مصاريع ».

– رياض النفوس ، ومعالم الإيمان : « وغلقت مصارع أبواب تصم » .

– الاستيعاب (في الموضعين الأول والثاني : من طبعة مصطفى محمد ٤ / ١٨٣ ، ١٨٤ وفي الموضع الأول فقط من طبعة البجاوي ٤ / ١٧٤٧) ، وأسد الغابة : « وغلقت مصارع دوني قد تصم » . وذكر البجاوي هنا أن في نسخة : « غناني » بدل « عناني » . وفي التوابين ١٣٠ : « وغلقت مصاريع دوني قد تصم » . وفي شرح ابن عبدون :

إذا قمت أعياني الحديد وغلقت مصاريع دوني قد تصدّ المناديـــــا

– الاستيعاب أيضاً (في الموضع الثاني من طبعة البجاوي فقط) ، والكشف عن مساوىء الخمر ، والخزانة:

إذا شئت غناني الحديد وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديـــــا

– الحلة السيراء : « وغلقت » .

– البداية والنهاية : « غناني الحديد وغلقت مصاريع »

– شرح شواهد المغني : « إذا شئت ... وغلقت ».

(٣) طبقات ابن سلام، والطبري (في الموضعين)، والأغاني ، والاستيعاب ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وكامل ابن الأثير ، وأسد الغابة ، وتجريد الأغاني ، ومختاره ، والتوابين ١٣٠ ، والخزانة ، ومهذب الأغاني : « فقد تركوني واحداً » .

– الشعر والشعراء : « ذا أهل .... فقد تركوني واحداً » .

– شرح قصيدة ابن عبدون : « فقد تركوني واحداً ».

– المروج : « وثروة فقد تركوني واحداً » .

– البداية والنهاية : « وقد تركوني مفرداً ».

(٤) البيت بهذه الرواية عن : الأغاني ، والاستيعاب ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وتجريد الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه . أما الخزانة ففيها : " شف نفسي " .

(٥) في الاستيعاب : " وينهل " . وفي مختار الأغاني : " وتذهل " مبنياً للمجهول ، وهو جائز . تقول : ذهلت عنه أذهل ذهلا وذهولا : تركته على عمد ، أو غفلت عنه ، أو نسيته لشغل . وأذهلني عنه كذا وكذا . (اللسان) . والرواية المثبتة هي من (الكشف ، والأغاني ، وتجريده ، ومختاره ، ومهذبه) .

(٦) رواية البيت هي من (الأغاني ، والكشف عن مساوىء الخمر ، وتجريد الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه) . وفي الاستيعاب وأسد الغابة " حبسنا " وفي نسخة من الاستيعاب : حبيساً (عن هامش المحقق) وفي الخزانة : " حبست " .

(٧) زيادة من طبقات ابن سلام . وفي الشعر والشعراء : « هلم سلاحي ... لا تزداد ».

(٨) البيت ، بهذه الرواية ، من (الطبري ، والأغاني ، والكشف ، وابن الأثير ، والتوابين ١٣٠ وتجريد الأغاني ، ومختاره ، ومهذبه ، والخزانة) .

وفي المروج ، والاستيعاب ، وأسد الغابة : « فلله عهد » .

وفي الاستيعاب (مصطفى محمد): « الحواليا » . وذكر البجاوي في طبعته أن في نسخة: «الحوابيا».

– ٩ –

– الأغاني : « مبيتهم فدعي الرماح » .

- ١١ -

(٢) في العقد :

فقد أباكرها صهباء صافية طوراً ، وأشربها صرفاً وأمتزج

وفي الأغاني ومهذبه (ترجمة الأقيشر) :

فقد أباكرها صرفاً وأشربها أشفي بها غلّتي صرفاً وأمتزج

لكن في (ط . ساسي) ومهذب الأغاني : " علّتي " بالعين المهملة .

وفي الأغاني ومهذبه (ترجمة أبي محجن) ، والبصرية ، والمختار :

« صرفاً وأمزجها رياً ... وأمتزج » .

وذكر محقق الأغاني (ط . الشعب) أن في نسختين : « صرفاً وأشربها » .

وصدره في قطب السرور : « فقد أباكرها صهباء صافية ».

(٣) في الأغاني ومهذبه (ترجمة الأقيشر) : « لها إذا رجعت في صوتها » . وفي الأغاني ومهذبه « ساسي ، الشعب : ترجمة أبي محجن » وقطب السرور ، والمختار : « منعمة » . وذكر محقق طبعة دار الشعب أن في نسختين « مغنية » ، وفي ثالثة « خود » بدل « فيها » . وفي الأغاني : (الثقافة ، الهيئة : ترجمة أبي محجن) : « منعمة خود إذا رفعت في ». الخود : المرأة الشابة . وذكر محقق طبعة الهيئة أن في نسختين : « فيها إذا رفعت في صوتها ».

(٤) في العقد الفريد : « فتخفض الصوت أحياناً وترفعه ».

وفي الأغاني ومهذبه (ترجمة الأقيشر) : « وترفع الصوت » . وفي حاشية الأغاني (ثقافة – ترجمة أبي محجن) قال المحقق : « في مخطوط : كما يطير ذباب الروضة الرهج ».

وفي العمدة : " [و] ترفع .... الروضة الفرد "، زاد المحقق الواو في أول البيت مصححاً ، ولم يتنبه إلى أن الفاء مشددة لا يحتاج معها إلى الواو .

وفي خزانة ابن حجة : « ترجع العود .. كما يطير ذباب الروضة الفرد »

وفي أنوار الربيع : « ترجع العود .. الروضة الفرد »

- ١٢ -

(١) في المصادر كلها : " أكرمهم سيوفا ".

(٢) في الطبري ، والأغاني ، وكامل ابن الأثير ، وتجريد الأغاني ، ومهذبه :

« وأكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم ...»

وفي المروج ، ومختار الأغاني :

« وأكرمهم دروعا سابغات وأصبرهم ... »

وقال محقق طبعة مصر من المروج : « في نسخة : وأكثرهم دروعاً سابغات » .

(٣) في الطبري وابن الأثير (دار الكتاب) : " وفدهم .. فإن عميوا فسل بهم " . وفي المروج : " وفدهم ... فإن عتبوا فسل بهم " . وفي الأغاني (ثقافة) : " وفدهم ... فإن جحدوا فسل بهم " . وفي بقية طبعات الأغاني ، وتجريده ، ومختاره ، ومهذبه : " فإن جحدوا فسل بهم " . وذكر محقق طبعة الشعب من الأغاني أن في نسختين : " وفدهم " وفي ثالثة : " فإن جهلوا " .

(٤) هذا البيت وتاليه ، بهذه الرواية ، زيادة من الطبري وابن الأثير .

وفي الأغاني (ساسي) ، وتجريده ، ومهذبه : " ولم أكره لمخرجي " . وفي بقية طبعات الأغاني : " ولم أكره بمخرجي ". ويستخلص مما ذكره محقق طبعة دار الشعب أن في نسخة : " ولم أشعر بمخرجي وفي نسخة أخرى : " ولم أكره بمخرجي الصفوفا " . والأخيرة رواية مختار الأغاني .

وقال محقق المروج (ط . مصر) : " في نسخة : وليلة فارس . وفي نسخة أخرى : وفارس ليلة لم يشعروا بي . وقد أثبتنا ما في تاريخ الطبري " .

(٥) في الأغاني ، وتجريده ، ومختاره ، ومهذبه :

س عقد عرفوا بلائـــــــي وإن أطلق أجرعهم حتوفـــــــا

- ١٥ -

(١) ديوان سحيم : « وتمنيا .... استحييا » .

(٢) ديوان سحيم : « وارفض مدمع ... وأذريت دمعي في خلال بكاهما ».

- ١٦ -

(١) (وردت : تروي ، في كل المصادر التالية بالتاء) .

- الاستيعاب (٤ / ١٨٦ مصطفى محمد ، ٤ / ١٧٥٠ بجاوي) ، والكشف عن مساوىء الخمر ٢٩ / ١ ونهاية ابن الأثير ، واللسان (فتع) ، ومختار الأغاني ٥ / ٣٠٤ ، والبرهان ، والخزانة ٣ / ٥٥٥ (في الموضعين) : « إلى جنب »

- معاني القرآن ١ / ١٤٦ ، والشعر والشعراء ، والمروج ، والأغاني (٢١ / ١٤٢ ساسي = ٧٢٣٦ الشعب) و ش ، ل ، هـ (في خبر ابن أبي محجن مع عبد الملك : ١٢٢) ، والبصائر والذخائر ،

وقطب السرور (في الموضعين) ، وذيل زهر الآداب (في الطبعتين) ، والاستيعاب ، ومحاضرات الأدباء ، ومجمع البيان ، والشريشي ، ومعجم البلدان ، وأسد الغابة ، والبصرية ، واللسان ، ومختار الأغاني ٥ / ٣٠٦ ونهاية الأرب ، وتاريخ الإسلام وتفسير القرطبي، والدميري ، والإصابة ، وشرح شواهد المغني للسيوطي (في الموضعين) ، ومنتهى أمل الأريب ، والخزانة ٣/٥٥٠ وشرح الشواهد للبغدادي (المخطوط والمطبوع) ، والأمير على المغني ، والخضري على ابن عقيل ، وذيل ثمرات الأوراق ، وسبحة المرجان : « إلى جنب .... بعد موتي عروقها ».

- الصاهل والشاحج ، والعيني (بهامش الخزانة ، وبحاشية الصبان على الأشموني) وحلبة الكميت ، وشرح لامية العجم : « إلى جنب ... في الممات عروقها » .
- الدرر اللوامع : « إلى جنب ... في الفلاة عروقها » .
- الكشكول : « إلى جنب ... الباليات عروقها » .
- العقد الفريد : « إلى ظل ... بعد موتي عروقها » .
- جمهرة أنساب العرب : « إلى جنب ... عند ذاك عروقها » .
- الأغاني (٢١ / ١٣٧ ساسي ، ١٨ / ٢٨٨ ثقافة ، ٣٧٤/١٨ الهيئة ، ٢٠ / ٧٢٢١ الشعب) : « إلى جنب ... مشاشي بعد موتي عروقها » . المشاش : رؤوس العظام اللينة ، واحدها مشاشة . قال أبو الفرج هنا : " ويروى : « إذا رحت مدفوناً فلست أذوقها » . وفي حاشية طبعة ساسي : " ورَوِّي عظامي " أي بدل " مشاشي " . وفي حاشية طبعة دار الشعب أن في نسختين : " إلى أصل " .
- الأشربة ، والعيون ، والطبري ، والأغاني (٢١ / ١٤٠ ، ١٤٣ ساسي ، ١٨ / ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ثقافة ، ١٩ / ٧ ، ١٠ ، ١٣ الهيئة ، ٧٢٣١/٢١ ، ٧٢٤٠ الشعب) ، وشرح ديوان أبي محجن ١٢٢ ، والكشف عن مساوىء الخمر ٢٩ / ١ (الموضع الأول) ، وأمالي ابن الشجري، ومجلة المورد (ما لم ينشر من الأمالي الشجرية) ، وكامل ابن الأثير ، والتذكرة السعدية ، وتجريد الأغاني ١٩٨٦ ، ومختاره ٥ / ٣٠٢ ، ومهذبه : « بعد موتي عروقها » .

وذكر محقق الأغاني (ط . الشعب : ٧٢٤٠) أن في نسختين : « إلى جنب » .

(٢) في تاريخ الإسلام : « ولا تدفنوني » — وفي شرح الكافية : « فلا تدفنّي » .

- وفي معاني القرآن ١ / ١٤٦ ، والأغاني ١٩ / ٧ (الهيئة) ، والأزهية، وقطب السرور (في الموضعين) والصاهل والشاحج ، وذيل زهر الآداب (وجمع الجواهر) ومجمع البيان ، ونهاية ابن الأثير ، وتجريد الأغاني ، واللسان (قنع) ، ونهاية الأرب ، والمغني ، والدميري ، والعيني (بهامش الخزانة ومع حاشية الصبان) وحلبة الكميت ، وشرح الشواهد للسيوطي ، والخزانة ، وشرح الشواهد للبغدادي (المخطوط ٣٩ ، والمطبوع ١ / ١٣٨) ، والخضري على ابن عقيل ، وذيل ثمرات الأوراق ، والدرر اللوامع : « في الفلاة » . وفي مختار الأغاني : « لأنني أخاف » .
- عيون الأخبار : « .. في الفلاة فإنني أخاف وراء الموت أن لا أذوقها » .
- وفي شرح الشواهد أيضاً (١ / ١٤١ من المطبوع = اللوح ٣٩ من المخطوط) رواية ثانية عن ابن السكيت ، هي :

« ... في الفلاة فإنني يقيناً إذا ما مت لست أذوقها »

– وفي الأغاني (٢١ / ١٣٧ ساسي ، ١٨ / ٢٨٨ ثقافة ، ٢٠ / ٧٢٢١ الشعب ، ١٨ / ٣٧٤ الهيئة) رواية ثانية للعجز ذكرها أبو الفرج نفسه وهي : « إذا رحت مدفوناً فلست أذوقها »

(٣) البيت ليس في نسخ الديوان ، وزدناه – بهذه الرواية – من الطبري ، وابن الأثير .

– في الأغاني (ساسي ٢١ / ١٤٠ ، ثقافة ١٨ / ٢٩٤ ، الهيئة ١٩ / ٧) ، وتجريده ، ومختاره ، ومهذبه: «ليروى بخمر الحص لحمي». وقال محقق طبعة الثقافة من الأغاني: "وفي رواية: المحص لحدي".

– وفي الأغاني (الشعب) ، ومعجم البلدان : « ليروى بخمر الحص لحدي » . وذكر محقق الأغاني (الشعب) أن رواية « لحدي » جاءت في نسختين ، وفي سائر الأصول : (لحمي) .

(٤) في العيني ، وشرح الشواهد للسيوطي ، وشرحها للبغدادي ، والخزانة ، ومنتهى أمل الأريب، وحاشية الأمير على المغني : « يعاجلني عند المساء » .

(٥) في شرح الشواهد للسيوطي ، وللبغدادي أيضاً ، وفي منتهى أمل الأريب : « حق معظم » .

– وفي الخزانة والعيني : « وللكاس والصهباء حق معظم » بتخفيف الهمزة .

– وفي حاشية الأمير : « ... حق معظم ... أن لا تضيع » .

(٦) في الخزانة : « فجرها وفسوقها » . ونقل عن ابن السكيت قوله : « الزق ، بالكسر : ظرف الخمر ... وفجرها : فجورها . والفاجر : المائل عن الطاعة . والطاعة : الوقوف على الأوامر . والفسوق : توسيع ما ضيقه الله من أمر الوالدين » .

(٧) في الخزانة ، وشرح الشواهد للبغدادي : « شرب المدام »

– ١٧ –

(٢) الأنوار : « سرنا إليهم » .

(٨) الحماسة الشجرية : « لم نرم مواقفنا » .

– ١٨ –

(١) في الآداب الشرعية، ونسخة من البهجة : « يأتي من الله ».

(٢) روضة العقلاء : « ألح به العسر » . الأرج وحل العقال : « ألم به الدهر » .

(٣) الأرج : « إذا لاح عسر » .
وانظر رواية أخرى للأبيات في قسم «التخريج»، عن الفرج بعد الشدة ، اقتضت الضرورة ذكرها هناك.

- ٢٠ -

(١) العثمانية ١٢٥ : « سميت » ففيه خرم .

(٢) أسد الغابة : « في العريش » .

(٣) شرح النهج : « سميت خلا وصاحباً » .

- ٢١ -

(٢) ذكر أبو الفرج الأصفهاني « ط . الثقافة والهيئة » أن الغناء فيه : « ويقولان اصطبح معنا » . لكن في طبعتي الساسي ودار الشعب : « ويقولون اصطبح معنا » .

وفي الأغاني (الهيئة) : « فأنادي إنني » . وذكر المحقق أن في ثلاث نسخ . « وأقول » . ورواية طبعة الشعب : « وأقول » ، وذكر المحقق أن في نسخة : « فأنادي » .

(٣) مهذب الأغاني : « مرة » تصحيف .

- ٢٣ -

(١) المغازي : « تهاب » ، ولا يستقيم بها البيت .

(٣) المغازي : « ولقد كانوا » .

- ٢٥ -

(١) محاضرات الأدباء : « يشيح » . وفي مجالس ثعلب والأشباه (في الموضعين) وبعض نسخ البيان : « ألم تسأل فوارس » . وفي العقد ، والكامل ، والميداني (في الموضعين) ، والبصرية : « الفوارس يوم غول » . وفي مجموعة المعاني : « ألم تسأل فوارس ... موار مشح » .

(٢) العقد ، والكامل ، والميداني (في الموضعين) ، والحماسة البصرية : « وهو حر » . وذكر محققو العقد أن في نسخة : « ويحسن فعله الرجل القبيح » .

(٣) العقد، والمجالس، والكامل، والبصائر، والبصرية: "ولم" . وذكر محققو العقد أن في بعض النسخ : " مصالينا " بدل " مصالته " . وفي شرح أدب الكاتب : " ولم ... اللبن الفصيح " ، وهو الخالص الذي أخذت عنه الرغوة – وفي اللسان : " اللبن الفصيح " ثم قال ابن منظور : " ويروى : اللبن الصريح " – وفي مجموعة المعاني : " فلم يخشوا بسالته " – وفي مجمع البيان : " ولم يخشوا مقالته " – وفي مجمع الأمثال ١ / ٤١٤ : " ولم يخشوا مصاولة " وردها الميداني ، مصوباً " مصالته". والمصالة : من قولهم : صؤل البعير صآلة : إذا صار يقتل الناس ويعدو عليهم .

(٤) المجالس ، والكامل ، والعقد ، والبصائر ، والبصرية : « فشد عليهم » .

(٥) الكامل، والعقد : « قتيلا منهم » . وفي المجالس، والبصائر، والبصرية : « وأطلق ... قتيلا منهم ».

- ٢٦ -

(١) عجزه في الوحشيات ، والأشربة ، والكشف ، والشريشي : « ولا يملك الإنسان صرف المقادر ». وفي الطبري ، والبداية والنهاية : « وليس على صرف المنون بقادر » .

(٢) قوله : « صبرت » ذكر محقق الأغاني « الهيئة » أن في نسختين : « ضربت » بالبناء للمجهول . وقوله : « كائناً » في بعض مخطوطات الأغاني « عن ط . الثقافة والشعب » ، ومهذب الأغاني : « جازعاً » . وفي مختار الأغاني : « ضربت ... جازعاً ».

(٣) الطبري ، والبداية والنهاية، والإصابة ، وتهذيب ابن عساكر : « صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي ». وفي روايتي الإصابة والتهذيب بعض تحريف .
وفي نسخة من الأغاني : « وقد فات » – عن ط . الثقافة والشعب .
وفي الوحشيات : « صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي ».
وفي الأشربة ، والكشف :

صبرت ولم أجزع وقدمات إخـــوتي وما أنا عن شرب الطلاء بصابـــر

وهي رواية الشريشي ، لكن فيه : « المدام » بدل « الطلاء » .

(٤) الوحشيات : « فشرابها يبكون » .
البداية والنهاية : « حول المقاصر » ولعلها تحريف .

- ٢٧ -

الأغاني ومختاره ومهذبه : « قد صبحتها »

- ٢٨ -

(٢) في الأغاني (ساسي ، الشعب) ورسالة الملائكة « المندي » : " واجد " وهو الغني . وذكر محقق طبعة الشعب أن في نسخة: " واحد " . كما ذكر محقق طبعة الثقافة أن في مخطوط : " ذراعة " ، ولا معنى لها . وذكر الميمني في هامش رسالة الملائكة أن « واجد » بالجيم أصلح من الحاء .

المحتسب : " واجد ... فوم " – الصحاح (عطار) واللسان : " نزل المدينة ... فوم " – الصحاح (ط . الكبرى) ، وشرح ديوان ابن أبي حصينة ، وتفسير القرطبي (الموضع الثاني) ، والتاج : " واجدٍ نزل المدينة .. فوم " –

وفي خمس رسائل ، ورسالة الملائكة ، وشرح ديوان أبي تمام ، وتفسير البحر ، والإتقان : " قدم المدينة ... فوم " . وصرح ناسخ (خمس رسائل) بأن " واحد " مهملة الحاء ، كما ذكر الجندي محقق رسالة الملائكة أن في بعض النسخ : " واجد " .

وفي طبعة الميمني لرسالة الملائكة : " واجدٍ قدم المدينة من .. " .

وفي تفسير الطبري ، ومجمع البيان ، وتفسير ابن كثير : " قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً... فوم " . وفي الروض الأنف : " قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً سكن ... فوم " . وفي تفسير القرطبي (الموضع الأول) : " قد كنت أغنى الناس شخصاً واجداً ... فوم " – وفي تفسير الشوكاني : " ترك المدينة " .

وفي سؤالات نافع بن الأزرق : « قدم المدينة في زراعة فوم » .

- ٢٩ -

(١) في المحبر وأدب النديم : " مصلحة وفيها ... الكريما " . وفي الأمالي ، والسمط وقطب السرور : " مناقب ... الكريما ". وفي الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه (ترجمة أبي محجن) ، والمثل السائر ، والإصابة : " مناقب تهلك الرجل الحليما " . وذكر محقق طبعة دار الشعب من الأغاني أن في نسختين : " الكريما " وفي الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه (ترجمة قيس) ، ونهاية الأرب :

وجدت الخمر جامحة ، وفيها خصال ، تفضح الرجل الكريما

وفي الاستيعاب ٤ / ١٨٥ (مصطفى) : " وفيها مثالب " وفي طبعة البجاوي ١٧٤٩ : " وفيها خصال تهلك " – وفي الكشف عن مساوىء الخمر ٥ / ٢ : " جامحة " بدل " صالحة " .

وفي البداية والنهاية : « ... منقصة وفيها مقابح تفضح الرجل الكريما

(٢) عجزه في الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه (ترجمة قيس) ، والمحبر ، ونهاية الأرب : " ولا أدعو لها أبداً نديما " . وفي أوائل العسكري :

" صحيحاً ولا أسقي بها أبداً سقيماً " .

وفي الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه (ترجمة أبي محجن) ، والمثل السائر : " ولا أسقي بها أبداً نديما " .

وفي الأشربة ، والاستيعاب ، وأسد الغابة (ترجمة قيس ، فيهما) وتفسيري القرطبي والشوكاني ، وسدرة الأدب : " أشربها صحيحاً " .

(٣) صدره في المحبر : " فلا والله أشربها حياتي " . وعجزه في الأغاني ، وتجريده ، ومهذبه (ترجمة قيس) هو عجز البيت الثاني : " ولا أشفي بها أبداً سقيماً " بالتبديل بين العجزين ، كما مر . وهذا التبديل في نهاية الأرب أيضاً ، لكن فيه : " لها ثمناً " بدل " بها ثمناً " .



الفهارس العامة

أشعار أبي محجن

كما وردت في الديوان وزياداته

آ ــ الديوان

٨٢

ب ـ الزيـــــادات

١ ـ ما نسب إلى أبي محجن :

لما رأينا خيلاً محجّلـــةً ، ... لجـب	٨	المنسرح	٢٠٧
عسى فرجٌ يأتي به الله إنـــه ... أمـــرُ	٣	الطويل	٢٠٨
إن يكن ولّى الأمير فقـــد ... والأثرُ	٣	المديد	٢٠٨
وسميت صدّيقاً ، وكل مهاجر ... منكــرِ	٣	الطويـــل	٢٠٨
صاحبا سوءٍ صحبتُهمـــــا ... أرتحلُ	٣	المديد	٢٠٩
نعاهد أطرافَ القنا فنفي لهـــا ... تحطما	٢	الطويل	٢٠٩
هابت الأعـــداء جانبنـــا ... سلمهْ	٣	المديد	٢١٠
والله لا نُسلِم ، ما حيينـــا ... حصينا	١	الرجز	٢١٠
	٢٦		

٢ ـ ما اختلطت نسبته :

ألم تسل الفوارس مـــن سليم ... مشيحُ	٥	الوافر	٢١١
ألم ترَ أن الدهر يعـــثر بالفتى ... المقادرِ	٤	الطويل	٢١١
يارُبّ مثلك في النساء غريـــرةٍ ... بطلاقِ	١	الكامل	٢١٢
ولقد نظرت إلى الشموس ودونها ... قليلِ	٢	الكامل	٢١٢
رأيت الخمر صالحة، وفيهـــا ... الحليما	٣	الوافر	٢١٣
	١٥		

٣ ـ ما غيّرت قافيتـــه :

قد كنت أحسبني كأغنى واحدٍ ... فـــومِ	١	الكامل	٢١٣

أشعار الدّيوان والزّيادات
مرتبة بحسب القوافي

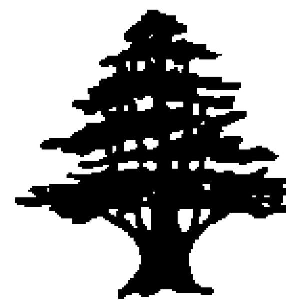
(*) ترتيب القوافي : الضم ، ثم الفتح ، ثم الكسر .



الآيات القرآنية

السورة	الآية	الصفحة	
•إبراهيم	٤٢	١٦٤	« ليوم تَشخَص فيه الأبصارُ » .
الانشراح	٦	١٤٢	« إن مع العسر يسراً » .
•الأنفال	٢٤	١٩٥	« يحولُ بين المرء وقلبه » .
•البقرة	١٢٥	١٦٨	« وإذْ جعلْنا البيتَ مثابةً للناس » .
البقرة	٢١٩	١٠٧	« قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس ، وإثمهما أكبرُ من نفعهما » .
البقرة	٢٧٨	٥١	« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذَرُوا ما بقيَ من الرِّبا إن كنتم مؤمنين » .
البقرة	٢٧٩	٥١	« فإن لم تفعلوا فأْذَنوا بحربٍ من الله ورسوله ، وإن تُبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون » .
•التكوير	١٥	١٧٤	« فلا أقسم بالخُنَّس » .
•التوبة	٣٣	١٧٥	« هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهره على الدين كلِّه » .
•الحجرات	١٣	١٧٠	« إنَّ أكرَمكم عند الله أتقاكُم » .
الزخرف	٣١	٤١ ، ٥٠ ، ٥١	« وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم » .
الشعراء	٢٢٦	٧٢	« وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .
الشعراء	٢٢٧	٧٢	« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .
•طه	٦٣	١٨٣	« بطريقتِكُم المُثْلَى » .
•القيامة	٧	١٦٩	« فإذا بَرِقَ البصرُ » .
المائدة	٩٣	٧١	« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِموا، إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات » .

•النساء	٢	١٧٠	« إنه كان حُوباً كبيراً » .
•النساء	١٠٠	١٨٦	« مُراغَماً كثيراً وسَعَةً » .
•النور	٨	١٩١	« ويَدرأُ عنها العذابَ » .
•النور	٥٥	١٧٥	« وعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض » .
هود	٣١	١٣٩	« ولا أقول للذين تزدري أعينكم : لن يؤتيهم الله خيراً »
•يوسف	٨٢	٢٠٢	« وسَلِ القرية » .



الشواهد الشعرية

﴿ ى ﴾

مضى	الكامل	١	الأسعر الجُعفي	١١٩

﴿ ب ﴾

أجْربُ	الطويل	١	النابغة الذبياني	١٥٢
لَغريبُ	الطويل	١	—	١٦٦
يُختلَبُ	البسيط	١	ذو الرُّمّة	١٦٦
الذّوائبِ	الطويل	٢	عاصية البَوْلانيّة	٢٨ ، ١٦٤

﴿ ت ﴾

خلتّي	الطويل	٣	عروة بن زيد الخيل	١٢٦
خَفِراتِ	الطويل	١	محمد بن عبد الله النميري	١٣٠

﴿ د ﴾

محمودُ	البسيط	١	المرّار الفقعسي	٢٨ ، ١٢١ ، ١٦٣
هُجودُ	الكامل	٢	معاوية بن مالك	١٢٧
مَوْعدِ	الطويل	١	دريد بن الصّمة	١٤٨
وسادي	الوافر	٢	أبو الهندي	١١٣
محمّد	الكامل	٤	مالك بن عوف	٥٥
مُقتادَها	المتقارب	١	الأعشى	١٠٩



فهرس اللغة

اقتصرنا هنا على ما فسره أبو هلال العسكري ، أو أشار إلى تفسيره .

فهرس الأمثال



مسائل العربيّة وعلومها

معجم الخمرة في شعر أبي محجن

• جُمعنا فيه ما ورد في أشعار أبي محجن من ألفاظ وأمور تتعلق بالخمر ، يهتّم بها الدارسون لتطور الخمريات في الشعر العربي : كأسماء الخمر ، وأوصافها ، وآنيتها ، وأوقات شربها ... الخ .



فهرس الأعلام

• لم نعرج على ذكر جمهرة رجال السند أو النسب ، ومن ترد أسماؤهم في التراجم ، ولا على مؤلفي المصادر والمراجع ، الذين تتردد أسماؤهم كثيراً في متن البحث والهوامش .

فهرس الأمكنة والبلدان

* أغفلنا ذكر معظم البلدان التي ترد خلال تراجم الأعلام ، في الحواشي ، لقلة الفائدة منها .



المصادر والمراجع

أولاً – المخطوطات :

- خمس رسائل : لأبي العلاء المعري (– ٤٤٩) – مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق .
- شرح شواهد المغني : عبد القادر البغدادي (– ١٠٩٣) – آيا صوفيا ٤٤٨٩.
- شرح المعلقات : أبو جعفر النحاس (– ٣٣٨) – المكتبة الوقفية بحلب (٨٥٨ عثمانية) .
- الكشف عن مساوىء الخمر : علي بن القطاع الصقلي ؟ (– ٥١٥) – مصورة معهد إحياء المخطوط العربية بالقاهرة .
- منتخب الأغاني : لمؤلف مجهول (١) – المكتبة الوقفية بحلب ، (١١٩٦ أحمدية) .
- منتهى أمل الأريب : أحمد بن محمد ، الشهير بابن الملا الحصكفي (– ١٠٠٣) – المكتبة الوقفية بحلب (٩٠٨ أحمدية) .

ثانياً – المطبوعات :

- الآداب الشرعية : شمس الدين المقدسي (– ٧٦٣) – الطبعة المصورة .
- أبو هلال العسكري : د . بدوي طبانة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠ م .
- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي (– ٩١١) – مصر ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ .
- الأخبار الطوال : أبو حنيفة الدينوري (– ٢٨٢) – القاهرة ١٩٦٠ م .
- أخبار النحويين البصريين : السيرافي (– ٣٦٨) – بيروت ١٩٣٩ م .
- أدب النديم : أبو الفتح كشاجم (– ٣٦٠) : المطبعة الأميرية – مصر ١٢٩٨ هـ .
- الارتسامات اللطاف : شكيب أرسلان (– ١٣٦٦) – مصر ١٣٥٠ هـ .
- الأرج في أدعية الفرج : السيوطي (– ٩١١) . المطبعة الأدبية – مصر . بلا تاريخ .
- الإرشادات الجلية : محمد سالم محيسن – القاهرة ١٣٨٩ هـ .
- الأزهية في علم الحروف : علي بن محمد الهروي (– ٤١٥) – دمشق ١٩٧١ م .
- أساس البلاغة : الزمخشري (– ٥٣٨) – القاهرة ١٩٥٣ م .

---

* إذا تعددت طبعات الكتاب ، فالمذكورة أولا هي المعتمدة في ترجمة أبي محجن ودراستنا لشعره ، إلا إذا أشرنا إلى الطبعة المعنية . وقد اعتمدنا التاريخ الهجري في تحديد وفيات المؤلفين .

(١) نسخت المخطوطة في حيدر آباد بقلم يحيى بن عيسى الأمهي النجفي سنة ١٠٤٣ – ١٠٤٤ هـ .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر (- ٤٦٣) :
  - بتحقيق علي البجاوي - القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م . (مطبعة نهضة مصر) .
  - طبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م (مع الإصابة).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير الجزري (- ٦٣٠) :
  - الجزء الأول: بإشراف محمد صبيح - مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٦٤، وبقية الأجزاء بتحقيق البنا ، وعاشور - دار الشعب ١٩٧٣ م .
  - المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٠ هـ .
- أسماء المغتالين : ابن حبيب (- ٢٤٥) - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م (نوادر المخطوطات) .
- الأشباه والنظائر : الخالديان : سعيد بن هاشم (- ٣٧٠) ومحمد بن هاشم (- ٣٨٠) - تحقيق د . السيد محمد يوسف - القاهرة ١٩٥٨ م .
- الاشتقاق : ابن دريد (- ٣٢١) - القاهرة ١٩٥٨ م .
- الأشربة : ابن قتيبة (- ٢٧٦) - حققه محمد كرد علي - دمشق ١٩٤٧ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني (- ٨٥٢) :
  - طبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
  - المطبعة الشرفية - القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
- الأصمعيات : الأصمعي (- ٢١٦) تح . شاكر وهارون - مصر ١٩٦٤ م .
- الأصنام : ابن الكلبي (- ٢٠٤) - القاهرة ١٩١٤ م.
- الأعلام : الزركلي (- ١٣٩٦) - ط ٢ - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٩ م .
- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني (- ٣٥٦) :
  - تحقيق فراج وآخرين - بيروت ١٩٥٥ - ١٩٦٤ م .
  - طبعة محمد ساسي المغربي - مطبعة التقدم بمصر - تصحيح الشنقيطي .
  - المصورة عن طبعة بولاق - دار الفكر ، بيروت ١٩٧٠ م .
  - طبعة دار الشعب - بتحقيق : ابراهيم الأبياري - القاهرة .
  - المصورة عن طبعة دار الكتب (الأجزاء ١ - ١٦) - القاهرة .
  - طبعة الهيئة المصرية - تحقيق العزباوي (الجزآن ١٨ ، ١٩) .
- اكتفاء القنوع : ادورد فنديك - مصر ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م . (مطبعة التأليف).
- الأمالي : القالي (- ٣٥٦) - مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م .
- الأمالي الشجرية : ابن الشجري (- ٥٤٢) - حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .
- إملاء ما من به الرحمن : العكبري (- ٦١٦) - مصر ١٣٤٧ هـ .
- الإنباه على قبائل الرواة : ابن عبد البر (- ٤٦٣) - القاهرة ١٣٥٠ هـ (مع القصد والأمم) .

- إنباه الرواة – القفطي (– ٦٤٦) تحقيق " محمد أبو الفضل " – القاهرة ١٣٦٩ – ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٠ – ١٩٥٥ م .
- الأنساب : السمعاني (– ٥٦٢) – مكتبة المثنى – بغداد ١٩٧٠ م .
- أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين بن معصوم (– ١١٢٠) – بغداد . تح. شاكر هادي شكر .
- الأوائل : أبو هلال العسكري (– بعد ٣٩٥) :
  - تحقيق محمد السيد الوكيل : مطبعة دار أمل – طنجة – المغرب الأقصى .
  - تحقيق محمد المصري ووليد قصاب – دمشق ١٩٧٥ م .
- الإيناس بعلم الأنساب : ابن المغربي (– ٤١٨) – الدار المصرية – القاهرة .
- البداية والنهاية : ابن كثير (– ٧٧٤) – مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨ هـ .
- البرهان في علوم القرآن : الزركشي (– ٧٩٤) – القاهرة : ١٩٥٧ – ١٩٥٨ م.
- البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي (– ٤٠٠) – تحقيق الكيلاني . دمشق .
- بغية الوعاة : السيوطي (– ٩١١) – تحقيق « أبو الفضل » – القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٥ م .
- بهجة المجالس : ابن عبد البر (–٤٦٣) – تحقيق الخولي – القاهرة ١٩٦٧ .
- البيان والتبيين : الجاحظ (– ٢٥٥) – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٤٨ – ١٩٥٠ م .
- تاج العروس : مرتضى الزبيدي (– ١٢٠٥) – الطبعة المصورة .
- تاريخ الآداب العربية : كارلو نالينو (– ١٣٥٧) – دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م.
- تاريخ آداب اللغة العربية : زيدان (– ١٣٣٢) – مكتبة الحياة – بيروت .
- تاريخ الأدب العربي : بلاشير – ترجمة الكيلاني – دمشق ١٩٧٣ م .
- تاريخ الأدب العربي : بروكلمان (– ١٣٧٦) – ترجمة النجار – دار المعارف ١٩٦٠ م .
- تاريخ الإسلام : الذهبي (– ٧٤٨) – القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- تاريخ الأمم والملوك : ابن جرير الطبري (– ٣١٠) :
  - ذخائر العرب : تحقيق " أبو الفضل " – دار المعارف بمصر .
  - المطبعة الحسينية المصرية – الطبعة الأولى .
- تاريخ الخلفاء : السيوطي (– ٩١١) – مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢ م .
- تاريخ خليفة بن خياط (– ٢٤٠) : تحقيق أكرم العمري – النجف ١٩٧٦ م .
- تاريخ العرب : حتّي ورفيقاه – دار الكشاف – بيروت : ١٩٦٥ م .
- تاريخ عمر بن الخطاب : ابن الجوزي (– ٥٩٧) – مصر ١٩٢٤ م – ١٣٤٢ هـ .
- تاريخ النقد الأدبي : د. عبد العزيز عتيق – بيروت ١٩٧٢ .
- تبصير المنتبه : ابن حجر العسقلاني (– ٨٥٢) – تحقيق البجاوي – القاهرة ١٩٦٦ م .
- تجريد أسماء الصحابة : الذهبي (– ٧٤٨) – حيدر آباد ١٣١٥ هـ .
- تجريد الأغاني : ابن واصل (– ٦٩٧) – مطبعة مصر ١٩٥٧ م .

- التذكرة السعدية : محمد العبيدي (من القرن الثامن) - ج ١ ، تحقيق عبد الله الجبوري - النجف ١٩٧٢ م، ١٣٩١ هـ .
- تطور الغزل : د. شكري فيصل - دار العلم - بيروت ١٩٦٩ م .
- تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (- ٧٥٤) - الطبعة المصورة .
- تفسير الشوكاني (فتح القدير) : الشوكاني (- ١٢٥٠) - مصر ١٩٦٤ م .
- تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري (- ٣١٠) - دار المعرفة - بيروت .
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (- ٧٧٤) - دار إحياء الكتب العربية .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي (- ٦٧١) - الطبعة المصورة : ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- تقريب التهذيب : ابن حجر (- ٨٥٢) - القاهرة ١٩٦٠ م .
- تقويم البلدان : أبو الفداء (- ٧٣٢) - مصورة عن طبعة باريس - مكتبة المثنى ببغداد .
- التمثيل والمحاضرة : الثعالبي (- ٤٢٩) - تحقيق الحلو - القاهرة ١٩٦١ م.
- تهذيب تاريخ دمشق : عبد القادر بدران - بيروت ، الطبعة المصورة .
- تهذيب الألفاظ : ابن السكيت (- ٢٤٤) - بيروت ١٨٩٥ م ، المطبعة الكاثوليكية .
- التيارات المذهبية : د. أحمد الحوفي - الدار القومية للطباعة .
- الجامع الصغير : السوطي (- ٩١١) - تعليق عمارة - مصر ١٣٧٣ هـ .
- جبار ثقيف : د. رياض رويحة - بيروت ١٩٦٣ - مطابع دار الأندلس .
- جمع الجواهر : الحصري القيرواني (- ٤٥٣) - تحقيق البجاوي - القاهرة : ١٩٥٣ م . (وطبع من قبل بعنوان : ذيل زهر الآداب - المطبعة الرحمانية القاهرة ١٣٥٣ هـ) .
- جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (- بعد ٣٩٥) - تحقيق أبي الفضل وقطامش - القاهرة ١٩٦٤ م .
- جمهرة أنساب العرب : ابن حزم (- ٤٥٦) :
  - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م (تحقيق هارون) .
  - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٨ م (تحقيق بروفنسال) .
- جوامع السيرة : ابن حزم - تحقيق عباس والأسد - دار المعارف بمصر .
- حاشية الخضري على ابن عقيل : طبعة البابي الحلبي بمصر ١٣٤١ هـ .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني :
  - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة . (مع شرح الشواهد للعيني) .
  - المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٤ هـ .
- حركة الفتح الإسلامي : د . شكري فيصل - دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٢ م .
- حلبة الكميت : شمس الدين النواجي (- ٨٥٩) - مصر ١٩٣٨ م .

- الحلة السيراء : ابن الأبار (– ٦٥٨) – تحقيق حسين مؤنس – القاهرة ١٩٦٣ م .
- حماسة البحتري (– ٢٨٤) : دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٦٧ م .
- حماسة ابن الشجري (– ٥٤٢) :
  - طبعة حيدر آباد الدكن : ١٣٤٥ هـ .
  - طبعة وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠ (تحقيق الملوحي والحمصي) .
- الحماسة البصرية : صدر الدين البصري (– ٦٥٩) – تعليق : د. مختار الدين أحمد – حيدر آباد ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م .
- حياة الحيوان : الدميري (– ٨٠٨) – القاهرة ١٩٦٦ م – دار التحرير .
- الحيوان : الجاحظ (– ٢٥٥) – تحقيق هارون – القاهرة : ط ٢ .
- خزانة الأدب : البغدادي (– ١٠٩٣) – القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- خلاصة تذهيب الكمال – الخزرجي (– ٩٢٣) – تحقيق : محمود فايد – مكتبة القاهرة : ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م .
- دائرة المعارف : بإشراف : فؤاد أفرام البستاني – بيروت (المجلد الخامس) .
- دائرة المعارف الإسلامية (١) : دار الشعب – القاهرة ١٩٦٩ (النسخة العربية) .
- الدرة الفاخرة : حمزة الأصفهاني – تحقيق عبد المجيد قطامش ، مصر ١٩٧١ – ١٩٧٢ م.
- الدرر اللوامع : أحمد الشنقيطي (– ١٣٣١) – بيروت ١٩٧٣ م .
- ديوان أبي تمام (٤) : شرح التبريزي (– ٥٠٢) – تحقيق عزام – دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي محجن : (في مجموعة طرف عربية) – جمع عمر السويدي – ليدن ١٣٠٣ هـ – ١٨٨٦ م.
- ديوان أبي محجن : مطبعة الأزهار البارونية – مصر (بلا تاريخ) .
- ديوان أبي محجن : نشره د. صلاح الدين المنجد – بيروت ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م .
- ديوان أبي نواس : تحقيق الغزالي – مطبعة مصر – القاهرة ١٩٥٣ م .
- ديوان الأعشى : شرح د. محمد حسين – القاهرة ١٩٥٠ م .
- ديوان أمية بن أبي الصلت : جمعه بشير يموت – بيروت ١٩٣٤ م .
- ديوان ذي الرمة (١) : تحقيق " أبو صالح " – دمشق ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
- ديوان سحيم : تحقيق الميمني – القاهرة ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .
- ديوان عنترة : تحقيق المولوي – بيروت ١٩٧٠ م – المكتب الاسلامي .
- ديوان كثير عزة : جمعه د. إحسان عباس – بيروت ١٩٧١ م – دار الثقافة .
- ديوان كعب بن زهير : (الطبعة المصورة) – القاهرة ١٩٦٥ – الدار القومية .
- ديوان المعاني : أبو هلال العسكري (– ٣٩٥) – مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٢ هـ.
- ديوان النابغة الذبياني : تحقيق د. شكري فيصل – بيروت ١٩٦٨ م.
- ذيل ثمرات الأوراق : ابراهيم الأحدب (– ١٣٠٨) – القاهرة ١٩٥٣ م .

- رباعيات عمر الخيام : ترجمة نويل عبد الأحد - دمشق ١٩٥٨ م.
- رحلة ابن جبير (- ٧١٤) ، تحقيق حسين نصار - دار مصر ١٩٥٥ م.
- رسالة الصاهل والشاحج : المعري (- ٤٤٩) - تحقيق بنت الشاطىء - مصر ١٩٧٥ م .
- رسالة الملائكة : المعري (- ٤٤٩) :
  - تحقيق سليم الجندي - الطبعة المصورة - المكتب التجاري - بيروت .
  - تحقيق الميمني - القاهرة ١٣٤٥ هـ .
- رصف المباني : أحمد المالقي - تحقيق أحمد الخراط - دمشق ١٩٧٥ م.
- رغبة الآمل : سيد المرصفي (- ١٣٤٩) - الطبعة المصورة ١٩٦٩ م .
- الروض الأنف : أبو القاسم السهيلي (- ٥٨١ هـ) :
  - طبعة دار النصر - القاهرة - (تحقيق عبد الرحمن الوكيل) .
  - مطبعة الجمالية - مصر ١٣٣٢ هـ ، ١٩١٤ م .
- روضة العقلاء : محمد بن حبان البستي (- ٣٥٤) - تحقيق الفقي - القاهرة ١٩٥٥ م.
- رياض النفوس (١) : المالكي (- ٤٥٣) - تحقيق د. حسين مؤنس - القاهرة ١٩٥١ م .
- زاد المعاد : ابن قيم الجوزية - الطبعة المصورة - بيروت .
- سؤالات نافع بن الأزرق : تحقيق إبراهيم السامرائي - بغداد ١٩٦٨ .
- سبائك الذهب : محمد أمين البغدادي (- ١٢٤٦) - المكتبة التجارية بمصر .
- سبحة المرجان في آثار هندستان : غلام علي آزاد - طبعة حجرية ١٣٠٣ هـ.
- سدرة الأدب في متشابهات العرب : حسن الجريدلي - مصر ١٩٠٩ م .
- سمط اللآلي : أبو عبيد البكري (- ٤٨٧) - تحقيق الميمني - القاهرة ١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٦ م .
- السيرة الحلبية : علي الحلبي (- ١٠٤٤) - الطبعة المصورة - بيروت .
- السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام (- ٢١٣ أو ٢١٨) :
  - تحقيق : مصطفى السقا ورفيقيه - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
  - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة حجازي - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- السيرة النبوية : ابن كثير (- ٧٧٤) : تحقيق مصطفى عبد الواحد - القاهرة ١٩٦٤ م .
- شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي (- ١٠٨٩) - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- شرح أبيات سيبويه : أبو جعفر النحاس (- ٣٣٨) - تحقيق أحمد خطاب - حلب ١٩٧٤ م .
- شرح أبيات مغني اللبيب (١) : البغدادي (- ١٠٩٣) - تحقيق رباح والدقاق - دمشق ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م .
- شرح اختيارات المفضل : التبريزي (- ٥٠٢) - تحقيق : د. قباوة - دمشق ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.
- شرح أدب الكاتب : الجواليقي (- ٣٩٥) - القاهرة ١٣٥٠ هـ .

- شرح أشعار الهذليين : السكري (– ٢٧٥) – تحقيق فراج – القاهرة .
- شرح ديوان ابن أبي حصينة : المعري (– ٤٤٩) – حققه : محمد أسعد طلس – المطبعة الهاشمية – دمشق ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م .
- شرح ديوان الحماسة : التبريزي (– ٥٠٢) – حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة حجازي بالقاهرة .
- شرح ديوان الحماسة : المرزوقي (– ٤٢١) – نشره : أحمد أمين ، عبد السلام هارون – مطبعة لجنة التأليف – القاهرة ١٣٧٣ هـ .
- شرح ديوان صريع الغواني: أبو العباس الطبيخي الأندلسي (– ٣٥٢) – تحقيق الدهان – مصر ١٩٧٠.
- شرح شواهد المغني : جلال الدين السيوطي (– ٩١١) :
  - المطبعة البهية بمصر : ١٣٢٢ هـ .
  - نشرة لجنة التراث العربي – دمشق ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .
- شرح القصائد التسع المشهورات : أبو جعفر النحاس (– ٣٣٨) – تحقيق أحمد خطاب – بغداد ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
- شرح القصائد العشر : التبريزي (– ٥٠٢) – تحقيق قباوة – حلب ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م . (المكتبة العربية) .
- شرح قصيدة ابن عبدون : عبد الملك الحضرمي البسّي (– بعد ٦٠٨) – مصر ١٣٤٠ هـ .
- شرح الكافية : الرضي الاستراباذي (– ٦٨٤) – الشركة الصحافية ١٣١٠ هـ .
- شرح ما يقع في التصحيف والتحريف : أبو أحمد العسكري (– ٣٨٢) – تحقيق عبد العزيز أحمد – مصر ١٩٦٣ م .
- شرح المفصل : ابن يعيش النحوي (– ٦٤٣) – إدارة الطباعة المنيرية بمصر .
- شرح مقامات الحريري : الشريشي (– ٦٢٠) – تحقيق الخفاجي – القاهرة ١٩٥٢ م – ١٣٧٢ هـ.
- شرح مقصورة ابن دريد : التبريزي (–٥٠٢) – دمشق ١٩٨٠ هـ – ١٩٦١ م .
- شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد (– ٦٥٥) – بيروت ١٩٥٤ م – دار الفكر .
- شعر الفتوح الإسلامية : النعمان القاضي – الدار القومية – القاهرة ١٩٦٥ .
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة (– ٢٧٦) :
  - بإشراف : إحسان عباس ، ويوسف نجم – دار الثقافة – بيروت ١٩٦٤ م .
  - تحقيق : أحمد محمد شاكر – ط ١ – القاهرة ١٣٦٤ هـ (دار إحياء الكتب) .
  - تحقيق : أحمد محمد شاكر – ط ٢ – القاهرة ١٣٨٦ هـ (دار المعارف) .
- الشعراء الفرسان : بطرس البستاني – مطابع الاتحاد – بيروت ١٩٤٤ م .
- شواهد التوضيح والتصحيح : ابن مالك النحوي (– ٦٧٢) – تحقيق فؤاد عبد الباقي – دار العروبة – القاهرة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .
- صبح الأعشى : القلقشندي (– ٨٢١) – الطبعة المصورة – مصر .
- الصحاح : الجوهري (– ٣٩٣) :
  - تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار – دار الكتاب العربي – القاهرة ١٣٧٦ – ١٣٧٧ هـ .
  - المطبعة الكبرى – مصر ١٢٩٢ هـ .

- الصناعتين : أبو هلال العسكري – تحقيق البجاوي وأبي الفضل – القاهرة ١٩٥٢ م.
- الطبع والصنعة في الشعر : محمد الهمياوي (– ١٣٦٢) – القاهرة ١٣٥٨ هـ .
- طبقات الشعراء : ابن المعتز (– ٢٩٦) – تحقيق فراج – مصر ١٩٥٦ م .
- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام (– ٢٣١) – شرحه محمود محمد شاكر – ط ١ : دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م ، و ط ٢ : القاهرة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م(١) .
- الطبقات الكبرى : ابن سعد (– ٢٣٠) – دار التحرير – القاهرة ١٩٦٨ م .
- طيف الخيال : الشريف المرتضى (– ٤٣٦) – تحقيق : حسن كامل الصيرفي – القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م .
- العثمانية : الجاحظ (– ٢٥٥) – تحقيق هارون ، مصر ١٣٧٤ هـ .
- عجالة المبتدي : الحازمي الهمذاني (– ٥٨٤) – حققه : عبد الله كنون – الهيئة العامة – القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م .
- العقد الثمين : تقي الدين الفاسي المكي (– ٨٣٢) تحقيق الفقي وسيد والطناحي – القاهرة ١٩٥٨ – ١٩٦٩ م .
- العقد الفريد : ابن عبد ربه (– ٣٢٨) – شرح : أحمد أمين ورفاقه – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة المصورة .
- العمدة : ابن رشيق (– ٤٥٦) – حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م .
- عنصر الصدق في الأدب : محمد النويهي – معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٥٩ م .
- العيني (المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية) : محمود العيني (– ٨٥٥) القاهرة ١٢٩٩ هـ. (على هامش الخزانة) .
- عيون الأخبار : ابن قتيبة (– ٢٧٦) – دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م .
- الفائق في غريب الحديث : الزمخشري (– ٥٣٨) تحقيق « أبو الفضل » والبجاوي – القاهرة ١٩٧١ م .
- الفارس الضائع : سليمان العيسى – بيروت ١٩٦٩ م – منشورات عويدات .
- الفاروق عمر : محمد حسين هيكل – مطبعة مصر – القاهرة ١٣٦٤ هـ .
- فتوح البلدان : البلاذري (– ٢٧٩) :
  - نشرة : صلاح الدين المنجد – مطبعة لجنة البيان – القاهرة ١٩٥٧ م .
  - تحقيق : عبد الله الطباع وأخيه عمر – بيروت ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م .
  - نشرة رضوان محمد رضوان – المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ – ١٩٣٢ م .
  - نشرة دي خويه – مطبعة بريل – ليدن ١٨٦٦ م .
- فتوح الشام : الواقدي – المكتبة الأهلية – بيروت ١٩٦٦ م .
- فجر الإسلام : أحمد أمين – مكتبة النهضة – القاهرة ١٩٦٤ م .

---

(١) أحلنا في ترجمة أبي محجن على الطبعة الأولى ، وفي تخريج شعره على الطبعة الثانية .

- الفرج بعد الشدة : المحسن بن علي التنوخي (- ٣٨٤) :
- نشرة مكتبة الخانجي بمصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- طبعة بيروت ، بتحقيق عبود الشالجي ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- فرحة الأديب : الأسود الغندجاني (- ٤٣٠) تحقيق سلطاني - دمشق ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- الفروسية : ابن القيم (- ٧٥١) - القاهرة ١٣٦١ هـ ، ١٩٤٢ م .
- الفروسية في الشعر الجاهلي : نوري القيسي - بغداد ١٩٦٤ م . دار التضامن .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري (- ٤٨٧) - تحقيق عباس وعابدين - بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- فضل الخيل : الدمياطي (- ٧٠٥) - تصحيح الطباخ - حلب ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .
- فن الشعر الخمري : إيليا حاوي - دار الثقافة : بيروت (ط ٢) .
- الفهرست : ابن النديم (- ٤٣٨) - مطبعة الاستقامة - القاهرة .
- فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي (- ٧٦٤) - حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١ م .
- في منزل الوحي : محمد حسين هيكل - القاهرة ١٩٥٧ م .
- قادة فتح الشام ومصر : محمود شيت خطاب - دار الفتح - بيروت ١٩٦٥ م .
- قادة فتح العراق والجزيرة : محمود شيت خطاب - دار القلم - القاهرة .
- القادسية : أحمد عادل كمال - دار النفائس - بيروت ١٩٧٣ م .
- القاموس المحيط : الفيروزابادي (- ٨١٧) - مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- قطب السرور في أوصاف الخمور : الرقيق النديم (- ٤١٧) - دمشق ١٩٦٩ م .
- قواعد تحقيق المخطوطات : د. صلاح الدين المنجد - بيروت ١٩٧٠ م .
- القيان والغناء في العصر الجاهلي : د. ناصر الدين الأسد - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .
- الكامل (في التاريخ) : ابن الأثير الجزري (- ٦٣٠) :
- طبعة دار الفكر - بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- الكامل في اللغة والأدب : المبرد (- ٢٨٦) - تحقيق : مبارك وشاكر ١٣٥٥ - ١٣٥٦ هـ .
- كتاب التوابين : ابن قدامة المقدسي (- ٦٢٠) - تحقيق الأرناؤوط - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
- كتاب سيبويه : سيبويه - طبعة بولاق ١٣١٦ هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل: الزمخشري (- ٥٣٨) - مصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- كشف الظنون : حاجي خليفة (- ١٠٦٧) - طهران ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ .
- الكشكول : بهاء الدين العاملي (- ١٠٣١) - تحقيق طاهر الزاوي - دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- كنى الشعراء : محمد بن حبيب (- ٢٤٥) - تحقيق هارون - القاهرة ١٩٥٥ م (نوادر المخطوطات) .
- لسان العرب : ابن منظور (- ٧١١) - طبعة داري صادر وبيروت -.
- لطائف المعارف : الثعالبي (- ٤٢٩) - تحقيق الأبياري والصيرفي . القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

- ما رأيت وما سمعت : خير الدين الزركلي – مصر ١٣٤٢ هـ – ١٩٢٣ م .
- المؤتلف والمختلف : الآمدي (– ٣٧٠) :
  - تحقيق : عبد الستار فراج – القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .
  - تصحيح : المستشرق كرنكو – القاهرة ١٣٥٤ هـ – نشر مكتبة القدسي .
- المبهج : ابن جني (– ٣٩٢) – دمشق ، مطبعة الترقي ١٣٤٨ هـ .
- المثل السائر : ابن الأثير الموصلي (– ٦٣٧) : :
  - تحقيق الحوفي وطبانة – القاهرة ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م (ج ٢) .
  - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م (ج ٢) – مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
  - المطبعة البهية بمصر : ١٣١٢ هـ .
- المثنى بن حارثة : محمد فرج – القاهرة ١٩٦٤ (أعلام العرب) .
- مجالس ثعلب : ثعلب (– ٢٩١) – تحقيق هارون – القاهرة ١٩٦٠ م .
- المجتمعات الإسلامية : د. شكري فيصل – بيروت ١٩٦٦ – دار العلم .
- مجمع الأمثال : الميداني (– ٥١٨) – حققه محيي الدين عبد الحميد – القاهرة : ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م مطبعة السعادة .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي (– ٥٤٨) – بيروت ١٣٧٩ هـ .
- مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول – الجوائب ١٣٠١ هـ .
- محاضرات الأدباء : الراغب الأصفهاني (– ٥٠٢) – بيروت ١٩٦١ .
- المحبر : محمد بن حبيب – مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ.
- المحتسب : ابن جني (– ٣٩٢) – تحقيق النجدي ورفيقيه – القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- المحكم (٢) : ابن سيده (– ٤٥٨) – تحقيق فراج ، مصر ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- مختار الأغاني : ابن منظور (– ٧١١) – الدار المصرية – القاهرة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ م .
- المختار الثقفي : علي حسني خربوطلي – القاهرة ١٩٦٢ م (أعلام العرب) .
- المختصر في أخبار البشر : أبو الفداء (– ٧٣٢) – المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٥ هـ.
- المخلاة : بهاء الدين العاملي (– ١٣٠١ هـ) – مصر ١٩٥٧ م .
- مراصد الاطلاع : عبد المؤمن البغدادي (– ٧٣٩) – تحقيق علي البجاوي – القاهرة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ م
- المرجع (معجم وسيط) : عبد الله العلايلي – بيروت ١٩٦٣ م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي (– ٣٤٦) :
  - طبعة دار الأندلس – بيروت : ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .
  - طبعة القاهرة (تحقيق محيي الدين عبد الحميد) : ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م (ط ٣) .
- المزهر في علوم اللغة : السيوطي (– ٩١١) – تحقيق جاد المولى ورفيقه . دار إحياء الكتب العربية – (بلا تاريخ).
- المشتبه في الرجال : الذهبي (– ٧٤٨ هـ) – تحقيق البجاوي ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- المصنف : عبد الرزاق الصنعاني (– ٢١١) – بيروت ١٩٧٢ م.

- المعارف : ابن قتيبة (– ٢٧٦) – تصحيح الصاوي ، مصر ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م ، المطبعة الإسلامية .
- معالم الإيمان : عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي الدباغ (– ٦٩٦) – تصحيح شبوح ، مصر ١٩٦٨ م.
- معاني القرآن (١) : الفراء (– ٢٠٧) – تحقيق نجاتي والنجار – القاهرة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م .
- معجم البلدان : ياقوت الحموي (– ٦٢٦) – طبعة داري صادر وبيروت .
- معجم الشعراء : المرزباني (– ٣٨٤) – تحقيق فراج – القاهرة ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م .
- معجم ما استعجم : أبو عبيد البكري (– ٤٨٧) – حققه مصطفى السقا – القاهرة : ١٣٦٤ هـ – ١٩٤٥م.
- معجم المطبوعات العربية : يوسف سركيس – مصر ١٣٤٦ – ١٩٢٨ م .
- المغازي : الواقدي (– ٢٠٧) – دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .
- مغني اللبيب : ابن هشام (– ٧٦١) :
  - بحاشية الأمير – القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) .
  - بحاشية الدسوقي – مصر ١٣٥٨ هـ .
- مفتاح السعادة : طاش كبري زاده (– ٩٦٨) – تحقيق البكري وأبي النور – القاهرة ١٩٦٨ م .
- المفضليات : المفضل الضبي (– ١٦٨) :
  - تحقيق شاكر وهارون – دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م .
  - شرح الأنباري (– ٣٠٨) وتعليق لايل – بيروت ١٩٢٠ م .
- مقاييس اللغة : ابن فارس (– ٣٩٥) – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٣٦٦ – ١٣٧١ هـ .
- المقتضب (٤) : المبرد (– ٢٨٦) – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، دار التحرير – القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : د. حسين عطوان – دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .
- المنجد في الأدب والعلوم : فردينان توتل – بيروت ١٩٥٦ م .
- مهذب الأغاني : محمد الخضري – مطبعة مصر (بلا تاريخ) .
- المواهب الفتحية (١) : حمزة فتح الله – المطبعة الأميرية بمصر ١٣١٢ هـ .
- الموسوعة العربية الميسرة : باشراف محمد شفيق غربال – القاهرة ١٩٦٥ م .
- نثر النظم : أبو منصور الثعالبي (– ٤٢٩) – مصر ١٣١٧ هـ .
- النجوم الزاهرة (ج ١١) : ابن تغري بردي (– ٨٧٤) – الطبعة المصورة – القاهرة .
- نزهة الألباء : أبو البركات الأنباري (– ٥٧٧) – تحقيق «أبو الفضل» – دار نهضة مصر – القاهرة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٧ م .
- نقد الشعر : قدامة بن جعفر (– ٣٣٧) – تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .
- نكت الهميان : الصفدي (– ٧٦٤) – تحقيق أحمد زكي – مصر ١٩١١ م .
- نهاية الأرب : النويري (– ٧٣٣) – النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب .
- النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير (– ٦٠٦) – تحقيق : الزاوي والطناحي – القاهرة ١٩٦٣ .
- هدية العارفين : إسماعيل البغدادي (– ١٣٣٩) – طهران : ١٩٦٧ م – ١٣٨٧ هـ .
- همع الهوامع : السيوطي (– ٩١١) دار المعرفة – بيروت ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
- الوحشيات : أبو تمام الطائي (– ٢٣١) – تحقيق الميمني – القاهرة ١٩٦٣ م .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان (– ٦٨١) – حققه د. إحسان عباس – دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ – ١٩٧٢ م .

ثالثاً – المجـــــلات :

١ – الرسالة : العدد ٢١ سنة ١٩٣٣ (مقال الزيات) .

٢ – الرسالة : العدد ٢٩٧ سنة ١٩٣٩ (مقال لأحمد أمين) .

٣ – العربي : العدد ٧٠ سنة ١٩٦٤ (استطلاع عن الطائف).

٤ – المعرفة (الطبعة العربية المترجمة) – القاهرة – العدد ١٠٦ ص ١٦٨١ .

٥ – المجلة العربية (الرياض) : العدد ٣ السنة ٣ : شباط – آذار ١٩٧٩ .

٦ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد ٤٨ سنة ١٩٧٣ – ص ٦٩٣ .

٧ – مجلة (المورد) العراقية – المجلد الثالث – العدد الأول ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .



تذييل واستدراك

١٤ / ٢ على مخطوطَي

١٥ / ١٩ لو انتَقَدنا

١٨ / ٢٣ قصّرت حروف المطبعة في صحة رسم « وسائلي » كما هي في الأصلين المخطوطين حيث وضعت فيهما قطعة الهمزة وكسرتها معاً تحت كرسي الهمزة .

١٩ / ٤ رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي رحمةُ الله وغفرانُه عليه .

٤٠ / ١٢ ومَصيفُها بالطائفِ

٥١ / ٣ تحذف العبارة : « وهو عمّ أبي عبيد الثقفي ، والد المختار بن أبي عبيد » . ويضاف إلى الحاشية ٣ في الصفحة نفسها ما يلي : « بن أبي عبيد الثقفي ، وإنما هو عمّ والده أبي عبيد . وأبو عبيد هو ابن عم أبي محجن » .

٩٨ / ٧ وفاته فيما بعد

١١٦ / ١٦ يفتخر بهذا العم

١١٨ / ١٥ ابن عبد العُزّى

١٣٣ / ١٣ آ ـ شعره ...

١٤٤ / ٩ أي حرّكهُ عن

١٤٥ / ٥ إنّكَ إنْ يُصرع

١٦٨ / ١٥ بعد الجَدْبِ

١٨١ / ٢ وسَراةُ القومِ

١٩١ / ١٢ وقال ليَ النَّدْمانُ

١٩٦ / ١٢ معتب الثقفي

١٩٧ / ٦ وردت أبيات غيلان وحدها في كلٍ من تاريخ الطبري ١٠٧/٦ والأوائل للعسكري ٥٦/٢ « الثقافة » . ثم أعاد العسكري روايتها في الأوائل ٢٢٨/٢ مع خبر غيلان وكسرى .

٢١٧ / ٧ البيت الثامن في « المحاسن والمساوئ » للبيهقي ١ / ٤٥٢ ، ط . القاهرة ، ١٩٦١ م، ورواية عجز البيت فيه : « ويكتسي الغصنُ بعد اليُبس بالورَق ». وتضاف هذه الرواية إلى السطر الذي قبل الأخير ص ٢٣٧ مع رواية « حماسة البحتري » .

٢٢٣ / ١٥ الأبيات الثلاثة من القطعة ١٨ : في « الفرج بعد الشدة » لابن أبي الدنيا ص٣٩ بلا نسبة . (ط . الهند ١٣٢٣ هـ). والأول وحده ص ٢٦ ، ٣٢ بلا نسبة أيضاً . ورواية الثالث فيه ٣٩ : « إذا لاح عسرٌ ... يتبعه يُسرُ » . وتضاف هذه الرواية إلى السطر الذي قبل الأخير ص ٢٤٦ مع رواية « الأرج » .

٢٤١ / ٢١ يضاف إلى السطر ما يلي : « وفي كتاب التوابين ١٢٥ (ط . المعهد الفرنسي بدمشق): (إذا شئتُ عنّاني الحديد وغُلّقت مصاريع ...). وفي نسخة كما في الهامش : (إذا قمت) . وفيه أيضاً ١٢٣ : (وغلّقت مصاريع دوني قد تصمُّ) . وفي بعض نسخه ، كما في هامش ص ١٢٣ : إذا قمت عيّاني حديدٌ وغلّقت ... » . وفي نسخة أخرى : (تضمُّ) بالضاد » .

٢٤٢ يزاد بعد السطر ٢٥ على روايات البيت الثامن ما يلي : « وفي هامش كتاب التوابين ١٢٣ ط . المعهد الفرنسي أن في بعض النسخ : (لا أحيس بعهده...) وفي أخرى : الحوانيا » .

المحتوى

القسم الثاني : شعر أبي محجــن

الفهارس العامــــــة

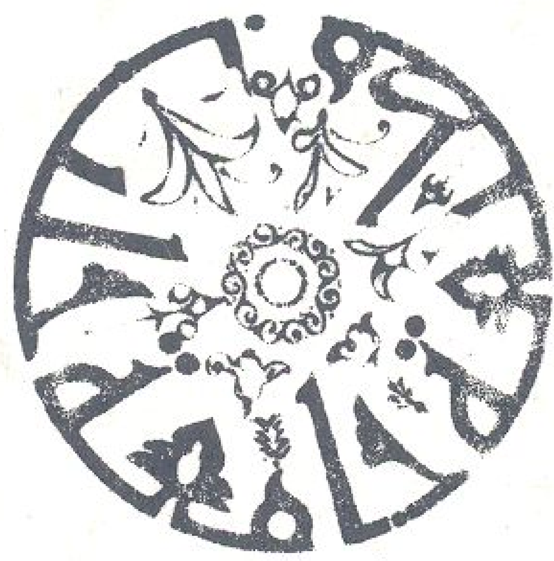
من مؤلفات صاحب الكتاب

١ – الموسيقي الأعمى – للثالث الإعدادي	وزارة التربية – دمشق ١٩٦٩
٢ – سفينة الشعراء	حلب: ١٩٧٠، ١٩٧٥، ١٩٧٩
٣ – صفة الصفوة – لابن الجوزي (تحقيق)	حلب ، القاهرة ١٩٦٩/١٩٧٣
٤ – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري	بيروت ١٩٧٩
٥ – منتخبات من كتابي الحيوان والأمالي	كلية الآداب بحلب : ١٩٨١
٦ – موسيقا الشعر العربي	كلية الآداب بحلب : ١٩٨١
٧ – محاضرات في الأدب العثماني	كلية الآداب بحلب : ١٩٨١
٨ – أبو محجن الثقفي – حياته وشعره	كلية الآداب بحلب : ١٩٨٢

بالاشتراك :

٩ – المعين في الأدب العربي الحديث	حلب : ١٩٦٣
١٠ – المعين في النحو والصرف	حلب : ١٩٦٣
١١ – المعين في الدراسة الأدبية	حلب : ١٩٦٤
١٢ – المنهل من علوم العربية	بيروت : ١٩٦٨
١٣ – القواعد – للثاني الإعدادي	وزارة التربية–دمشق ١٩٦٨
١٤ – دروس في اللغة العربية	حلب ١٩٧٨ ، ١٩٨٠
١٥ – الأغراض الشعرية عند الأخطل	كلية الآداب بحلب ١٩٧٩
١٦ – دروس ونصوص في اللغة العربية وآدابها (١)	كلية الآداب بحلب ١٩٨٢
١٧ – دروس ونصوص في اللغة العربية وآدابها (٢)	كلية الآداب بحلب ١٩٨٢
١٨ – سيرة ابن سينا (تحقيق)	دمشق ١٩٨١ – ١٩٨٢
١٩ – المُغْرِب – للمطرّزي « معجم لغوي » (تحقيق)	حلب ١٩٧٩ – ١٩٨٢





صدر هذا الكتاب تحت اشراف
لجنة انجاز الكتاب الجامعي
١٩٩٦